الكتاب للجميع

١٧

د. مصطفى جواد

قل ولا تقل

(الجزء الأول)

الكتاب للجميع

١٧

د. مصطفى جواد

قل ولا تقل

(الجزء الأول)

الطبعة الأولى عام ١٩٨٨

طبعة خاصة

دار المدى للثقافة والنشر

٢٠٠١

الكتاب للجميع

سلسلة شعبية تعيد اصدارها

دار المدى للثقافة والنشر

رئيس مجلس الادارة والتحرير

فخري كريم

الاشراف الفني

محمد سعيد الصكار

الاشتراك:

٦٠ دولار في البلدان العربية

١٠٠ دولار في اوروبا والامريكيتين

العنوان

سوريا - دمشق صندوق بريد: ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦

تلفون : ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦

فاكس : ٢٣٢٢٢٨٩

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، المتعالي القديم أفتتح الجزء الأول من كتابي " قل ولا تقل" ، وأقدمه إلى محبي اللغة العربية ، في مختلف البلاد ، التائقين إلى بقائها ، كريمة الضرائب ، مسعفة بالمطالب ، رائقة المشارب ، نقية من الشوائب ، سليمة من لحن المتهاونين ، بريئة من غلط المترجمين ، ناجية من عبث المستهزئين ، سائرة في سبيل التطور الطبيعي البارع ، آخذة بالاقتباس المفيد والقياس النافع ، مستمدة اشتقاقها الجليل ، من مركبها الأصيل ومجازها العريض الطويل ، مضيفة الجديد الصحيح إلى تراثها النبيل .

"والعربية لغة جسيمة عظيمة قوية ، لأمة كريمة عظيمة ، وقد حافظت على قوامها ونظامها وكلامها بقرآنها العزيز وتراثها الأدبي البارع ، طوال العصور التي انصرمت بين زمن الجاهلية وهذا العصر ، وهي لا تزال قوية الكيان ، عليّة المكان ، مستمرة الازدهار ، مستدامة الإيثار ، عند أهلها وحماتها من عرب صليبة ، ومستعربة نجيبة ، ولقد

أصابها من الشوائب ما لم يكن لها منه منتدح من ضرورات شعرية أو سجعية وأوهام للخواص والعوام ، وترجمة للأعجام والأغتام ، قد تداركها الأدباء القدامى بالتأليف والتنبيه والتصنيف ، من جمع النسرائر ، وبيان للأوهام وإصلاحها ، وكشف عن اللحن وإيضاح للهجات ، وأكثر ما ألف وما صنف في هذا الموضوع مطبوع متداول ، فيه الغث والسمين ، والرخيص والثمين ، بحسب الحاجة إليه ،وبالنسبة إلى المقبلين عليه ، فلكل عصر جمل ومفردات ، وتعابير ومصطلحات ومجازات واستعارات ، تتحكم بالكاتب المقلد ولا يتحكم بها ، إلا أن عصرنا هذا قد باين جميع عصور اللغة العربية المنصرمة بالظلم العبقري الذي أصابها فيه ، مع إنه قد سمي عصر النهضة العربية ، واليقظة الأدبية ، وذلك أنه ظهرت فيه طبقة من المترجمين ، أتقنوا اللغات الأعجمية واستهانوا باللغة العربية وأهلها فلم يتقنوها ، وبنوا في العالم العربي ترجمتهم الفاسدة لعلوم الغرب وفنونه وآدابه وسياسته وتاريخه وعلم اجتماعه ، وقد امتاز منهم بهذا الإثم اللغوي مترجمو البلاغات الحربية ، ومن جرى مجراهم وهم أهل " الصمود والتطويق والتعرض والعكس "[١] وغيرهن من الترجمة الفاسدة ، بغلطهم الفظيع ، وتهاونهم الشنيع .

ونشأت طبقة الكتاب الرواسميين " أي أهل الأسلوب الكلايشي" فهؤلاء قد حفظوا جملا بأعيانها مترجمة أو مبدعة لكتّاب بارعين كالدكتور طه حسين وعبد العزيز البشري ومحمود تيمور وعباس محمود العقاد والسباعي ومصطفى لطفي المنفلوطي وأحمد حسن الزيات ، ودأبوا على استعمالها في كتاباتهم من غير أن يتعلموا مبادئ النحو والصرف ، ولم يشعروا بفساد أذواقهم في المجاز والاستعارة وأوهامهم النحوية والصرفية التي يرتكبونها في نادر خروجهم عن تلك الرواسم التي حفظوها ، ومع هذا الشين المبين فيهم تجدهم يطالبون بأن

(١) أرادوا بهن "الثبات والإحاطة والتحريض والإعراب" .

يوصفوا بالكتاب الفَوّقة ، والأدباء الحذقة ، وما هم إلا عالة وورثوا كلالة ومتهاونون بالعربية ، ومطالبون بما ليسوا أهلا له .

ومن أشد الرزايا التي أصابت اللغة العربية أن أناسا من الكتّاب والشعراء يكتبون وينظمون وينشرون كلماً غير مشكول ، واللحن في غير المشكول لا يظهر ، فإذا قرؤوا كتابة أنفسهم ونظمهم بان عوارهم ، وانكشف لحنهم في أقبح الصور ، وقد سمعت شاعرا مبدعا يحب أن يقرن اسمه بالكبير ينشد قصيدة له فإذا هو لحانة يكسر المفتوح ويفتح المضموم وينوّن الممنوع من الصرف ويكسر المضموم ، ويضم المفتوح ويفتح المكسور ، ويضم المكسور ، ويفعل غير ذلك من الأوهام الصرفية دون النحوية لأن قواعد النحو معروفة محدودة ، وأما الضبط الصرفي فيحتاج إلى معجم مشكول أو سماع منقول مقبول . وهؤلاء قد حفظوا كلماً ملحونا فيه من قوم لحانين وبقوا على جهالتهم .

وظهرت طبقة من الحكاة المعروفين بالممثلين ابتليت بهم اللغة العربية فهم لها جاهلون ، وبها عابثون وبإفسادها عائشون ، فمن يجعل العربية أداة لعيشه وذريعة لكسبه يجب عليه أن يحسنها بعد درس لقواعدها العامة إجادة لاستعمال معجماتها اللغوية ، ليتحقق صحة ما أشكل عليه ، ومن وهنت همته فعليه في الأقل أن يسترشد العالمين بها قبل العمل .

ومن أشد الرزايا التي نزلت بالعربية أيضا أن أساتذة في التاريخ والجغرافية والعلوم لم يتعلموا من قواعدها ما يصون أقلامهم وألسنتهم من الغلط الفاحش واللحن الفظيع وإذا عوتبوا أو ليموا ـ وهم مليمون حقا ـ قالوا نحن ندرس التاريخ والجغرافية والعلوم ، ولا يخجلون من هذا الاعتذار ، مع أنهم أصبحوا سخرية الساخرين وضحكة الضاحكين ولا سيما مشاهدي"التلفزيون" مع أنهم يعلمون أن الانكليزي العام ـ على سبيل التمثيل ـ لايخطئ الصواب في لغته ولو كان الخطأ الواقع منه في حرف جر لتناولته الألسن والأقلام باللوم والتقريع والتأنيب والتثريب .

ونرى في " تحريرات" الدوائر ودواوين الحكومة أغلاطا تبعث على الأسف ، فرفع المجرور والنصب المرفوع من الأمور المألوفة فيها ، ولا سيما الإعلانات والتنبيهات ، فضلا عن السقيم من العبارات ، وإني لأتذكر أني قرأت في العهد الملكي الزائل على باب مكتب اللجنة الطبية بمعسكر الرشيد هذه الجملة "ممنوع دخول القلم حفظا لتفشي الأسرار" فتأمل جهل المنبه للتركيب التعبيري ، أراد "منعا لتفشي الأسرار" فوضع مكانه" حفظا لتفشي الأسرار" ولم يخطر بباله "حفظا للأسرار" فهو أوجز وأدل على المراد وأوفى بالمقصود .

ولا تسأل عن مترجمي الأفلام السينمية فهؤلاء أكلة السحت ، يرتكبون من اللحن والغلط الشنيعين ما أصبح مخشيا كل الخشية على العربية وطلاب المدارس ، والشداة من الدارسين ، وليت شعري كيف تجيز لجنة رقابة الأفلام وهي لجنة منتخبة من موظفي الدولة ومنهم موظف من وزارة التربية والتعليم المهيمنة على شؤون الثقافة اللغوية فلما ترجمة لغته فاسدة مفسدة ، ناقضة لقواعد اللغة العربية ، وأكثر المختلفين إلى دور السينما هم من طلاب المدارس والمعاهد والكليات ؟! .

وليس وكدنا بهذا الكلام أن ننعى على ناس معينين أوهامهم ، ولا ندعي العصمة من الخطأ فربما أصلحنا ما أخطأنا نحن أنفسنا فيه ، فالعربية صارت منذ عصور صناعة تتعلم قواعدها وتدرس أساليبها وتحفظ مفرداتها وتشرح عباراتها القديمة ، وأسلوب متعلمها يتأثر بكتابات عصره المكررة كثيرا من دون أن يشعر المتعلم بذلك ، وإنما نريد أن ننبه على الغلط ونذكر الصواب ، ونشير إلى الفصيح ونذكر الفصيح ، ونعيب على المصرين على الخطأ خطأهم فليست اللغة ميراثا لهم وحدهم فيعملوا بها ما يشاؤون ، من عبث وعيث ."

وإن من الأغلاط ما ارتكبه أدباء كبراء كالدكتور طه حسين وعباس محمود العقاد وتابعهما عليه مقلدوهما غير عالمين بها لأنهما قدوتهم وموضع ثقتهم ، فالفعل الشائع اليوم في أقوال الكتّاب "تعرض"

والخطأ في استعماله ، إنما ظهرا في كتاب الأيام منذ سنة١٩٣٩ ، ففي الصفحة ١٥٦ج٢منه قول الكاتب" وكان ذكاؤه واضحا وإتقانه للفقه بيّناً وحسن تصرفه فيه لا يتعرض للشك[١]" .وفي الصفحة "٢١" قوله : "وكان الأزهر قد تعرض لألوان مختلفة من النظام"[٢] وقولهم "اضطرد وهو مضطرد"[٣] وارد فيه "ص١٥٢" . وقولهم "حبا فيه"[٤] مذكور فيه . وفيه العامود بدلا من العمود"ص٤٢ ،١٩٧" والملىء بدلا من المملوء "ص٢٨" والمتجول بمعنى المجوّل"ص٩٥" وتسرب إليه بمعنى "تسرب فيه" ـ ص٤٥ـ ومشترك بمعنى "مشارك" ـ ص٣٤ـ و"خصصه له" بدلا من خصصه به"ص١٠٤ ،١٢٩ ،١٨٦" وقد وهم الوهم نفسه قبله الشيخ إبراهيم اليازجي" لغة الجرائد" ـ ص٩٢ـ وقوله "يكفي ليفعل" بمعنى يكفي في أن يفعل "ص١٩٥ ،١٩٩"و"ذات مساء"[٥] بدلا من ذا مساء"ص١٧١" وأمامه بمعنى"بازائه وقبالته وتجاهه" ـ ص٣٩ ،١١٨ـ ووقع في هذا الغلط الشيخ اليازجي"لغة الجرائد ص٧٤" في أوهامه وما يطول إثباته .

وقولهم : "بين آونة وأخرى" وارد في قول العقاد في "عبقرية خالد"ـ ص١٢"ـ وقد أراد ـ رحمه الله ـ "بين أوان وآخر" غير عالم أن الآونة جمع أوان مثل" أزمنة وزمان" وقولهم «الفرسان البواسل» مثبت فيه ص١٦ـ قال : إن بعض الفرسان البواسل وإنما البواسل جمع باسلة للمرأة وباسل للحيوان كالأسد ، وللرجال يقال"البسلاء والباسلون" .

وقولهم"غيورون" من أقواله فيه" ص١٩" والصواب على حسب القواعد العربية "غُيُر" بضم الغين والياء ، وقد اقترحت على مجمع اللغة

---

(١) الصواب"لا يعرض للشك" بالبناء للمجهول أو"لا يعرض له الشك" .

(٢) الصواب"كان الأزهر معرضا لألوان . . "أو "كان عرضة لألوان . ." ومثله قول العقاد في عبقرية خالد . ص١٢ـ ، للنضال الذي يتعرض له" وفي ص٤ "قد تعرض للمؤاخذة من عمر" .

(٣) الصواب"اطرد ومطرد"فليس أصل الفعل"ضرد" بل طرد .

(٤) الصواب"حبا له" لأنه يقال أحبه . واسم المصدر مثله

(٥) في مختار الصحاح"وأما قولهم ذات مرة وذا صباح فهو ظرف زمان غير متمكن تقول ، لقيته ذات يوم . . وذا صباح وذا مساء بغير تاء فيهما" .

بمصر إجازة "غيورين" ليسلم العقاد وغيره من غلط أثبتته القواعد العربية القديمة ، وفيه الفوضى ـ ص٢٠ـ والفوضى صفة وليست اسما فقال"الحال الفوضى وهم فوضى" .

وقولهم "كلا" بمعنى "لا" واردة فيه ـ ص٣١ ـ وقولهم "أنجبه" و"أنجبته" بدلا من "أنجب به وأنجبت به"هو من تعبيره فيه ـ ص٣٨ـ وقولهم"المكائد"بمعنى "المكايد"لأن الياء أصلية لا تبدل ألفا هو من استعماله ـ ص٤٢ ـ ، وحديث أغلاط الكتّاب الكبار طويل ، والأمر كما قال بشار"كفى المرء نبلا أن تعد معايبه"ومنهم من إن نبهته إلى غلطه أجابك بالشتم لسوء تربيته وفساد مجتمعه فلا يتهيأ لك إلا التزام السكوت وتحمّل الأذى .

وقد وصف أكثر النقاد اللغويين العصريين بالتزمت والتشدد ، وهو وصف صحيح ، والسبب في ذلك إما التشبع[١] بعلم اللغة وإما التقليد ، ولذلك يحسن ألاّ يكتب اللغوي نقدا لغويا إلا بعد الاكتهال ، فذلك أبعث له على التروية والاعتدال والنظر بحكمة وإيمان بالتطور ، وتبحر في اللغة ، وآخر من كتب في هذا الموضوع الأستاذ الجليل أنيس المقدسي : أستاذ الأدب العربي في الجامعة الأمريكية ببيروت وأحد أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر فقد نشر مقالا في مجلة العربي الكويتية عنوانها"التزمت في النقد اللغوي"[٢] بعد اطلاعه على كتاب نشر بعنوان"اللغة الصحيحة" ذكر أنه"لأديب فاضل غيور على تصفية اللغة الكتابية من الشوائب وأنه كتاب جزيل الفائدة لولا أن مؤلفه تابع السابقين من متزمتي النقاد فأعاد ما زعموه بعد أن جرفه تيار التطور ثم أضاف إليه ما زعمه هو من شوائب الكتاب كقوله مثلا ـ وهو قليل من كثيرـ : أسف للأمر والواقع أن أسف للأمر أي ندم عليه وهو المقصود لا أسف عليه أي حزن ، وقولهم : مآكل شهية فأصلحها بأكل شهية وشتان

(١) في مختار الصحاح : "والمتشبع : المتزين بأكثر مما عنده . يتكثر بذلك ويتزين بالباطل ، وفي الحديث : المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور" .

(٢) الجزء ١٢١ الصادر بشهر رمضان سنة١٣٨٨ ص٤٢-٤٥ .

ما بينهما في حسن الاستعمال ، وقولهم : بؤساء جمع بائس وهو يفضل بؤس على بؤساء ؟ وختم مقاله بقوله :"وتجريحهم على النسبة إلى الجمع المكسر بإرجاعه إلى المفرد كقولهم في النسبة إلى الدول دُولي مع أنهم ينسبون إلى أمم وعقائد وعمال. إلخ فيقولون أممي وعقائدي وعمّالي ، وبالنسبة إلى الجمع هي الأدل (كذا) على المعنى وما التقيد بالرجوع إلى المفرد إلا تزمت مناقض لناموس بقاء الأنسب" .

وقد ضمّن مقاله آراءً سديدة مفيدة إلا أنه لم يحسن الاستدلال ولا أحاط علما بحقيقة الاختلال ، فقد ذكر أن"أسف للأمر" بمعنى ندم عليه ، ولم يذكر شاهدا للندم من كلام الفصحاء ، ولا كتاب لغة فيه نص على"أسف" بمعنى ندم عليه ، فهذا الفاضل ارتكب وهمين في إرادته ومحاولته للرد على من عدّه متزمتا في النقد اللغوي ، يعني متشدداً . ودونك تفصيل الكلام على"أسف عليه وأسف له" .

أسف عليه وأسف له

قال الراغب الأصفهاني في غريب القرآن : "الأسف : الحزن والغضب معاً ، وقد يقال لكل واحدٍ منهما على انفراد ، وحقيقته:ثوران دم القلب شهوة الانتقام ، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضبًا ، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزنًا" . وقال الله تعالى في سورة يوسف :﴿وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾. فالأسف في الآية بمعنى الحزن ، وصحبه حرف الجر"على" ومعنى هذا أننا نستطيع أن نقول"إن يعقوب أسف على يوسف - ع ." وقال ابن فارس في كتابه"المقاييس" : الهمزة والسين والفاء أصل واحد يدل على الفوت والتلهف ، وما أشبه ذلك : يقال : أسف على شيء يأسف أسفاً مثل"تلهف . وورد في لسان العرب"الأسف : المبالغة في الحزن والغضب وأسف أسفاً وأسفان وآسف وأسوف وأسيف والجمع أسفاء ، وقد أسف على ما فاته وتأسّف أي تلهف ، وأسف عليه أسفا أي غضب . . .ابن الأنباري : أسف فلان على كذا وكذا ، وتأسف ، وهو

متأسف على ما فاته ، لأن الأسف عند العرب الحزن ، وقيل أشد الحزن ، وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ معناه حزناً ، والقول الآخر أن يكون معنى (أسف على كذا وكذا) أي جزع على ما فاته ، وقال مجاهد : أسفا أي جزعا ، وقال قتاده : أسفا غضبا . وقوله - عز وجل - : يا أسفا على يوسف أي يا جزعاه . . . ومنه حديث معاوية بن الحكم : فأسفت عليها[1] وقد آسفه وتأسف عليه" . فجميع هذه النصوص اللغوية لم يرد فيها الأسف بمعنى الندم كما ادّعى الأستاذ أنيس المقدسي ، ولم يستعمل مع الأسف حرف جر غير"على" .

وأعطف القلم على الواقع اللغوي وهو ميدان الاستعمال ، قال ابن عباس بعد سماعه كلاماً تكلم به علي بن أبي طالب - ع - ولم يتمه : "فوالله ما أسفت على كلام كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين - ع - بلغ منه حيث أراد[2]" .

ومن خطبة له أوردها المبرد في الكامل"مات من دون هذا أسفا" قال المبرد : "يقول تحسُرا فهذا موضع ذا" . ومن كتاب للإمام إلى ابن عباس"فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فاتك منها[3]" ومن وصيته - ع - للحسن والحسين - ع - لما ضربه ابن ملجم"اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها يزوي عنكما[4]" وقال عفان بن شرحبيل التيمي :

أحـــببت أهل الشـــام من بين الملا

وبكيت من أسفٍ على عــثـــمـــان(٥)

---

(١) في أمالي المرتضى ،١ : ٧٤ "وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون ولكني غضبت" والخبر فيه بتمامه .

(٢) شرح نهج البلاغة"مج ١ ص٦٨ طبعة الحلبي الأولى" .

(٣) الشرح المذكور"مج٢ ص١٢٠" .

(٤) المذكور"٤ : ١١١" .

(٥) المذكور"١ : ٢٠١" .

وقال عبد الله الزرودي :

أسف على عسّ الهـــبـيـــد وشـــربه
لقـــد حـــرمـــتنيـــه صـــروفُ المقـــادر

ولـو أنـني إذ ذاك كـنـت شـــــربتـــــه
لأصـبـحت في قـومي لهم خـيـر شـاعـر[١]

وقـــال أبو مـــريم السلولي وقـــيل الحنفي : "إنما يأسف على الحب النساء[٢]" .

وذكـر المرتضى في خـبـر مـعـاوية بن الحكم الذي أشرنا إليـه آنفاً قـوله : وأنا رجل من بني آدم آسـف كـمـا يأسـفـون لـكني غـضـبـت . . "وقال : "وأما قوله : أنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون . فـمـعناه أغضب كما يغضبون[٣] ، قال محمد بن حبيب . وأنشد للراعي . :

فـمـا لحـقـتني الـعـيس حـتى وجـدتني
أسـيـفـــا على حـــاديهم المتـــجـــرّد

والأسف أيضا الحزن . قال ابن الأعرابي : الأسف الحزن والغضب ، قال كعب :

في كـل يوم أرى فـــيـــه منيـــتـــه
يكاد يســـقـط مني منة أســـفـــا[٤] .

وقال البحتري :

(١) جمهرة أشعار العرب" ص٢٥ بمطبعة الاتحاد المصري" .
(٢) الكامل" ٢ : ٢٤١ بالمطبعة الأزهرية" .
(٣) قال مصطفى جواد : لو أراد بالأسف الغضب ما قال بعد ذلك "لكني غضبت" ولبطل الاستدراك
(٤) أمالي المرتضى" ٤ : ٧٤"

كلف يكفكف عـــبـــرة مـــهـــراقـــة

أسفاً على عهد الشباب وما انقضى(١)

وأورد المرتضى قول بعض الشعراء :

ولا بد من مـوتٍ فـإمـا شـبـيـبـة

وإمـا مـشـيب والشـبـيـبة أصلح

قال المرتضى : "فمعنى قوله : والشبيبة أصلح ، أن الإنسان إذا مات شاباً كان أكثر للحزن عليه والأسف على مفارقته . فإذا أسنّ برم به أهله وهان عندهم فقده(٢)" .

فهذه عدة شواهد للواقع اللغوي للفعل"أسف" ومصدره من النثر والشعر لم نجد فيها معنى "الندم"الذي زعمه الأستاذ المقدسي ، ولا حرفا مصاحبا لهما غير"على" . فضلاً عن أن الندم نفسه وفعله يستصحبان حرف الجر"على"لا اللام ، وبذلك يسقط وجه التضمين . وقد يحتج الأستاذ المعترض بأنه أي الفعل آسف إنما يأتي بمعنى الندم إذا صحبته اللام لا"على" ، ومع ذلك فنحن نجاريه ونأتي له بشاهدين للام أحدهما مروي عن أبي عبيدة في قصة أبي دهبل الجمحي الفارس الشاعر جاء في آخرها"فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزنا عليه وأسفا لفراقه(٣)" ، والآخر قول بعض الشعراء :

فـيـا عـجـبـا من آسف لامـرئ ثوى

ومـا هو للمـقـتـول ظلمـاً بآسف(٤)

فكلا الشاهدين يفيد الحزن لا الندم ، مع وجود اللام ، ومما قدمنا

(١) المرجع المذكور"٤ : ٤٧" .

(٢) المذكور"٢ : ١٧٠، ١٧١" .

(٣) نوادر أبي علي القالي ص ١٨٨ طبعة دار الكتب المصرية .

(٤) طوق الحمامة "ص ١١٠" .

يظهر تجني المتحذلقين على ناس من اللغويين المخلصين في نقدهم ، تفصياً من تبعة الخطأ أو غير الفصيح وادّعاءاً باطلاً للتطور والتقدم قال الشيخ إبراهيم اليازجي : ولكن من العجب أنه لا يزال في جنب أولئك (المتنبّهين) فريق من الكتاب لم ينتقلوا عن موقفهم ولم يزيلوا ما عرفوا به من الغثاثة واللحن والتورك على الألفاظ السوقية والتراكيب العامية ، بل قد تجد فيهم من يتبجح بمثل ذلك . .لكن لا أقل من أن يعبروا عن كل معنى باللفظ الموضوع له . . وإلا فإذا كان كل كاتب يضع لنفسه لغة خاصة ويجازف في استعمال الألفاظ ، على ما يخيل له أو على ما سبق إلى فهمه فكيف تبقى اللغة لغةً تصلح للتفاهم بين جمهور أربابها ، وما القاعدة التي يرجع إليها ، والحالة هذه في فهم مقاصد المتكلم[1]" ؟ ولا نود أن نطيل الكلام بعد إيضاحنا هذا الاختلاق اللغوي ، بل نريد أن نتكلم على كلمة أخرى ذكرها هذا الشيخ الفاضل .

معنى البؤساء

فقد عاب من جَدَب[2] استعمال "البؤساء" بمعنى البائسين وقد ذكرناه آنفا قال : "وقولهم : بؤساء جمع بائس وهو - أي الناقد - يفضل بؤس على بؤساء وهل يمكن أن يغري الكتاب باستعمال بؤس بدلاً من بؤساء ؟" قلنا : له الحق في استغرابه الدعوة إلى استعمال جمع مكسر غريب ولكن الذي خطأ من استعمل البؤساء جمع بئيس لا بائس والبئيس الأيد الشجاع ، كما ورد في كتب اللغة ، جاء في لسان العرب"ورجل بئِس : شجاع" . بئِس بأسا وبؤس بأسة . أبو زيد في كتاب الهمز فهو بئيس على فعيل أي شجاع" ويأتي البئيس بمعنى الشديد الذي لا يطاق من غير الإنسان . ومن الأمور الصرفية المسلّمة أن"بئيسا" يجمع على بؤساء لأنه فعيل بمعنى فاعل ، فأنى لمترجم "قصة

(١) لغة الجرائد"ص١٢٠، ١٢١" .

(٢) يستعملون"شجب" مكان"جدب" .

البائسين"التي لفكتور هوكو إلى العربية جمع"البائس على بؤساء" فلم يرد في كلام العرب المسموع ولم يجز في القياس ؟ وقد شذ جمع الفاضل على فضلاء والشاعر على شعراء والباسل على بسلاء ، والحقيقة أن"الفضلاء" جمع"الفضيل" فاستعير للفاضل ، وأن"الشعراء"جمع"الشعير" ولكن العرب لم تستعمل هذه الصفة لأنها تلتبس بالشعير من الحبوب المعروفة وأكره ما تكره العرب في لغتها الالتباس ، فالسبب في شيوع هذا الخطأ هو استعمال مترجم القصة المقدم ذكرها لهذا الجمع الذي بعثه وهمه الصرفي على اتخاذه .

وربما قال محتج بأن"البئيس" وإن ورد في النصوص اللغوية فليس له واقع لغوي أي استعمال في أدب العرب فهو كالميت ولذلك أخذ المترجم جمعه أو استعاره للبائس ، فنقول له : لا بل له واقع لغوي ، وليس من التطور في شيء قتل لفظ مفرد حي يشاركه في وزنه عشرات ألوف من الألفاظ وسلب جمعه ، وشواهد الواقع اللغوي التي قرأناها هي ما ورد في حديث أهل الكوفة المؤيدين للمختار قالوا : فإن جامعنا إبراهيم ابن الأشتر على أمرنا رجونا القوة بإذن الله فإنه فتى"بئيس" وابن رجل شريف وله عشيرة ذات عز وعدد[1] وقال أبو سعيد الصيقل : وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط . . وكان شجاعا بئيسا[2] وقال أشياخ من علماء قضاعة : "اجتمع بنو رئام ذات يوم في عرس لهم وهم سبعون رجلا كلهم شجاع بئيس[3]" . وقال ذو الأصبع العَدواني :

إني رأيت بني أبيـ . . ك يجمحون إليَّ شوسا
حنقـــــــــا علـــي ولـــن تــرى
لي فـــيـــهم أثرا بئـــيـــســـا[4]

(١) أنساب الأشراف"طبعة الجامعة العربيةص٢٢٢وتاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري٧ ٩٨١بالمطبعة الحسينية" .

(٢) تاريخ الطبري المذكور"٧ : ١٤٢" .

(٣) أمالي القالي"١ : ١٢٦" .

(٤) الأغاني"٣، ١٠٢ طبعة دار الكتب المصرية" .

وقال أبو الطيب المتنبي :

في خـمـيس من الأسـود بئـيس

يفـتـرسـن النفـوس والأمـوال

فالبئيس الوارد صفة للإنسان الواحد في هذه الشواهد من الواقع اللغوي يجمع على" بؤساء"

أما"البائس" فله جمعه المذكر السالم"البائسون" ويجمع أيضا مكسرا على"بؤّس" كركّع وسجّد . أنشد ابن بري :

ترى صـواه قـيـمـاً وجلسـاً

كـمـا رأيت الاسـفـاء البـؤسـا[١]

وقال رجل من قضاعة مرتجزا :

يا صـاحـبي ارتحـلا ثم أملسـا

لا تحـبـسـا لدى الحضين محـبـسـا

إن لدى الأركـان بأسـا بؤسـا[٢]

قال الأخفش : حفظي بأسا أبأسا ، وكذلك في أنساب الأشراف١ ٥؛ ومع هذا ففيه شاهد لجمع بائس على بؤس على إحدى الروايتين . فإن كان هذا الجمع ثقيلا غريبا فالجمع السالم أحق بالاستعمال ، أعني"البائسون والبائسين" على اختلاف إعرابه .

أما بالنسبة إلى "الدول"جمعا فلا وجه للاعتراض عليها لأن النحاة الكوفيين أجازوها بغير قيد ولا شرط ، وأما البصريون فقد أجازوها إذا كان الجمع موازيا لمفرد من المفردات فالدول على وزن"عمر وصرد وزفر وخزر" وما يطول إثباته ، وأما قول الأستاذ المقدسي - وقد سلخ عشرات

---

(١) مادة أسف من لسان العرب .

(٢) الكامل"٣-١٦٨" .

سنين في تدريس الأدب العربي . : والنسبة إلى الجمع هي الأدل . فماذا يقول للناقد اللغوي إذا قال له : كيف جعلت خبر"النسبة" وهي مؤنثة مذكرا أي"الأدل" أو لم تعلم أن المطابقة واجبة إذا كان اسم التفضيل محلى بالألف واللام كالأدل ؟ فالصواب إما تجريد الكلمة من الألف واللام فتكون"أدل"وإما إيراد"الفعلى" كالعظمى مؤنث الأعظم والكبرى مؤنث الأكبر والصغرى مؤنث الأصغر والفضلى مؤنث الأفضل ، وقد جعل مجمع اللغة العربية بمصر التأنيث هذا مقيسا مطردا لمقابله"الأفعل"فالصواب"والنسبة إلى الجمع هي الدُلى" ألا ترى أن الكلام لو كان خاصا بالأفضلية لوجب أن يقول"والنسبة هي الفضلى" ولم يقل"الأفضل" .

وهنا أختم هذه التوطئة وهذا التمهيد بعد أن عرضت ضرباً من التجني على النقاد اللغويين قائما على الهوى والدفاع عن ضعف الملكة اللغوية ، وهذا أوان أن أتكلم على الأغلاط اللغوية الشائعة وغير الفصيح من اللغة مما استفاض وفشا على الألسنة والأقلام وأسأل الله تعالى التسديد والتأييد ، والإصابة بالقول الرشيد .

الدكتور مصطفى جواد

قل : الجُمهور والجُمهورية .

ولا تقل : الجَمهور والجَمهورية .

وذلك لأن المسموع من العرب والمأثور في كتب لغتهم هو"الجُمهور" بضم الجيم ولأن الاسم إذا كان على هذه الصيغة وجب أن تكون الفاء أي الحرف الأول مضمومة لأن وزنه الصرفي عند الصرفيين هو فعول كعُصفور وشُعرور أى شويعر ، وإذا صغنا اسماً من الجمهور صناعيا ، وهو الذي يسميه الصرفيون"المصدر الصناعي"وهو تساهل منهم وذلك بإضافة ياء مشددة وتاء تأنيث إليه فهو الجمهورية كالإنسانية والبشرية والعائدية والفاعلية .

وإذا كان الحرف الثاني من الاسم أو الصفة مضعفاً أي مكرراً فإن الحرف الأول نفسه يكون مفتوحا لا مضموما مثل عبود وخرّوب ودبّوس وقيّوم . وشذّ من ذلك سبوح وقُدوس فإن ضم أولهما شاذ ، قال الجوهري في معجم الصحاح : "وسبوح من صفات الله تعالى قال ثعلب : كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلاّ السبوح والقدوس فإن الضم

فيهما أكثر وكذلك الذُروح وقال سيبويه : ليس في الكلام فعول بالضم"وقال الجوهري أيضا : "الذُراح بوزن التُفاح والذُروح بوزن السُبوح : دويبة حمراء منقطة بسواد وهي من السموم والجمع الزراريح وقال سيبويه : واحد الزراريح ذرحرح وليس عند سيبويه في الكلام فعول . وكان يقول سبّوح وقدّوس بفتح أوائلها قال الراجز :

قلـــت لـــه وريـــاً إذا تـــنـــحـــح
ياليـــتـــه يُســـقى على الذُرحـــرح

وفصّل الجوهري الكلام في مادة القدس من الصحاح ، قال :

" وقُدوس اسم من أسماء الله تعالى وهو فُعول من القدس وهو الطهارة ، وكان سيبويه يقول قدّوس وسبّوح بفتح أوائلها . قال ثعلب : كل اسم على فعّول فهو مفتوح الأول مثل سفّود وكلّوب وسمّور وشبوط وتنور ، إلا السُبوح والقُدوس فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان ، وكذلك الذُروح وقد يفتح" . انتهى .

وإذا نقل فَعّول إلى وزن فُعْلول فإنه يكون مضموم الأول كالخُرنوب ثمر الشوك ، فإن نقل صار "الخُرنوب" .

قال الجوهري :"والخرّوب بوزن التنّور نبت معروف والخُرنوب بوزن العُصفور لغة ، ولا تقل الخرنوب بالفتح" انتهى قوله . ومن هذا القول يفهم أن الفتح هو من اللغة العامية العراقية القديمة الباقية حتى هذا العصر فإن العامة تقول : العصفور أي العُصفور ، أما زيدون وخلدون وحمدون وأمثالهم فهي مفتوحة الأوائل سماعا ، لأن الوزن مقتبس وليس أصيلا .

قل : فلان مُؤامِر **ولاتقل** مُتآمِر .

لأن حق الواحد المفاعلة أي المؤامرة ، تقول : آمر فلان فهو مؤامر كما تقول حارب فهو محارب ولا تقول : متحارب ، وشارك فهو مشارك ولا تقول : متشارك ، ورافق فهو مرافق ولا تقول : مترافق ، وإذا قلت :

تآمرا وتآمروا قلت : هما متآمران وهم متآمرون ، فمتفاعل من هذا الوزن وهذا المعنى لا يستعمل إلا مثنى أو جمعا فإذا أريد استعمال المفرد وحده يرد إلى مفاعل تقول : هو مُؤامر وهي مُؤامِرة .

قل : وقف في المستشرف أو الروشن أو الجناح

ولا تقل : وقف في الشرفة .

فالشرفة هي أجزاء متساوية من البناء ناتئة على حافة السطح بعضها متصل ببعض ، وهي في الغالب محددة الأطراف ، وتعد زينة للسطوح ، وقد يقف عليها طائر أما الإنسان فكيف يقف أو يقعد على ناتئة من البناء في حافة السطح ؟ وقد وصف ابن الرومي شرفات بعض القصور التي كانت على دجلة قال :

ترى شرفاته مثل العذارى
خرجن لنزهة فقعدن صفاً
عليهن الرقيب أبو رياح
فلسن لخوفه يبدين حرفاً

فالمراد إذن "المستشرف" وهو الموضع الذي يشرف منه الإنسان على ما حوله ، أو الروشن وهو معروف عند الغربيين بالبالكون ، ويجوز أن يقال"المشرف"وقد ظهر لنا أن بعض المترجمين الضعفاء ترجم البالكون بالشرفة ولم يعرف الروشن ولا المستشرف ، وكذلك يجوز استعمال الجناح مكان الشرفة بالمعنى المغلوط فيه .

قل : أيّما أفضل العلم أم المال

ولا تقل : أيهما أفضل العلم أم المال

وذلك لأن"هما" في قولك"أيهما" ضمير يعود إلى اسم ظاهر متأخر

عنه لفظا ورتبة عوداً غير مجاز . مضافا إلى أن التركيب مخالف للمنطق اللغوي . فأي للاستفهام ، و"هما"إخبار ، ويكون الاستفهام عن الظاهر أول مرة ، فإذا كرر الظاهر جاز لنا أن نستفهم عن ضميره ، ولما لم يذكر الظاهر في هذه الجملة وضعنا مكانه"ما" فقلنا : أيما أفضل العلم أم المال ؟

قل : صَمَد العدو وصمد له صمدا

ولا تقل صَمَد له صموداً

قل : الثبات **ولا تقل** : الصمود

وذلك لأن الصَّمد هو القصد ، وهو تحرك وسير ومشي إلى أمام ، ولا يجوز إطلاق فعل من أفعال الحركة ولا اسم من أسمائها على السكون والوقوف واللبث والمكث ، لأن ذلك ضد المعنى المراد ، فإذا أريد الوقوف في الحرب على سبيل المقاومة والمواقفة والمناهضة قيل : ثبت في الحرب والقتال والمقاومة ثباتا ، قال الله تعالى في سورة الأنفال : "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" . والشاهد على أن"صمد صمدا"معناه تقدم ، في جميع كلام العرب ، ومنه قول علي (ع) وهو يحثّ أصحابه على التقدم والقتال : "وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنَّب فاضربوا ثبجه ، فإن الشيطان كامن في كسره ، وقد ينجلي لكم عمود الحق وأنتم الأعلون ، والله معكم ولن يترك أعمالكم" قال ابن أبي الحديد : "وقوله عليه السلام : فصمداً صمداً أي اصمدوا صمدا . (يقال) صمدتُ لفلان أي قصدت له" . فالصمد حركة وسير وتقدم . قال الجوهري في كتابه الصحاح : "وصمده يصمُده صمدا أي قصده . والصمد بالتحريك لأنه يُصمد إليه في الحوائج . .» وجاء في مختار الصحاح «الصمد السيد لأنه يُصمد إليه في الحوائج أي يقصد ، يقال : صمده من باب نصر أي قصده" .

وقال ابن فارس في كتابه"مقاييس اللغة" : "الصاد والميم والدال أصلان : أحدهما القصد والآخر الصلابة في الشيء . فالأول الصمد :

القصد ، يقال صمدته صمداً ، وفلان مصمّد إذا كان سيدا يقصد إليه في الأمور ، وصمد أيضا ، والله جل ثناؤه الصمد لأنه يصمد إليه عباده بالدعاء والطلب" وقال الزمخشري في كتابه الفائق في قصة بدر عن معاذ بن عمرو الجموح (رضي) أنه قال : نظرت إلى أبي جهل في مثل الحرجة (فصمدت له) حتى إذا أمكنتني منه غرة حملت عليه . . قال الزمخشري"الصمد : القصد" ، وورد الخبر في لباب الآداب (ص١٧٥) . وقال في أساس البلاغة : "صمده قصده وصمد صمّد هذا الأمر اعتمده ، وسيد صمد ومصمود والله الصمد » ، وقال المطرزي في المغرب : «الصمد القصد من باب طلب ، ومنه حديث المقداد ما رأيت رسول الله (ص) صلى إلى عود أو عمود إلا جعله على حاجبه الأيمن أو الأيسر ، ولا يصمد له صمدا أي لا يقابله مستويا مستقيما بل كان يميل منه . وقوله : صمد لجبة خز أي قصد بالإشارة إليها" .

وقال الفيروز آبادي في القاموس : "الصمد : القصد . . والمصمّد كمعظّم : المقصود . . " . وقال المبارك بن الأثير في النهاية : "وفي حديث معاذ بن الجموح في قتل أبي جهل : فصمدت له حتى أمكنتني منه غرّة . أي ثبت له وقصدته وانتظرت غفلته . ومنه حديث علي : فصمداً صمداً حتى يتجلي لكم عمود الحق"

والمبارك ابن الأثير هو العالم الوحيد الذي أضاف"ثبت" إلى تفسير حديث معاذ بن الجموح ، وقد ناقض نفسه بهذه الإضافة وخالف واقع اللغة العربية فكيف يثبت له ويقصده بفعل واحد وكيف تجتمع الحركة والسكون أو السكون والحركة في فعل واحد ؟ وقد روى الزمخشري قبله الحديث في الفائق ولم يزد في شرحه على قوله"الصمد : القصد" فابن الأثير في هذه الإضافة كان واهماً وكذلك كل من نقل من كتابه ، جاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقري"وبعث علي (ع) خليدا إلى خراسان ، فسار خليد حتى إذا دنا من نيسابور بلغه أن أهل خراسان قد كفروا ونزعوا يدهم من الطاعة وقدم عليهم عمال كسرى ، فقاتل أهل نيسابور فهزمهم وحصر أهلها وبعث إلى علي بالفتح والسبي ثم

(صمد لبنات كسرى) فنزلن على أمان" وجاء فيه"ثم بعث علي إلى حنظلة ابن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب ـ وهو من الصحابة ـ فقال : يا حنظلة أعليّ أم لي ، قال : لا عليك ولا لك . قال : فما تريد ؟ قال : أشخص إلى الرها فإنه فرج من الفروج ، (أصمد له حتى ينقضي هذا الأمر" . وجاء فيه"ولم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة[1] إنسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم ، ولجج ابن بديل في الناس وصمم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى إلى عبد الله بن عامر واقفا"

وجاء فيه"عبأ معاوية تلك الليلة أربعة آلاف وثلاثمائة من فارس وراجل معلّمين بالخضرة أن يأتوا عليا(ع) من ورائه فقطنت لهم همدان فواجهتهم وصمودا إليهم ، فباتوا تلك الليلة يتحارسون[2]" . وقال البلاذري في حصار مسلم بن عقبة المدينة المنورة : "فأمر مسلم بفسطاط عظيم فضرب له ثم زحف إلى أهل المدينة و(صَمَد) بمن معه صمد ابن الغسيل فحمل ابن الغسيل بالرجال حتى كشف الخيل[3]" وجاء في كتاب معقل بن قيس الرياحي إلى الأمام علي(ع) "ورفعنا لهم راية أمن فمالت إلينا طائفة منهم وثبتت طائفة أخرى فقبلنا أمر التي أقبلت وصمدنا إلى التي أدبرت فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم[4]" . وجاء في كتاب لزياد بن خصفة إليه"ثم زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فقصدونا و(صمدنا صمدهم) فاقتتلنا قتالا شديدا" . وفي أقوال هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص المر قال يحث على القتال"وامشوا بنا إلى عدونا على تؤدة رويداً واذكروا الله لا يسلمن رجل أخاه ولا تكثروا الالتفات واصمدوا صمدهم وجادلوهم محتسبين[5]" . وقال عمرو بن كلثوم :

(١) سترجع كتابتها بصورة"منة" قال أبو حيان الأندلسي وكنت أكتبها كثيرا"منة" .

(٢) كتاب صفين"١١ ، ٩٧ ، ٢٤٥ ، ٢٢١طبعة المؤسسة العربية بالقاهرة" .

(٣) أنساب الأشراف"٢ ، ٣٥٠طبعة الجامعة العبرية" .

(٤) شرح نهج البلاغة ، مج١ص٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٤٨٦طبعة الحلبي الأولى" .

(٥) المرجع المذكور"مج٢ ص٢٧٨" .

إذا صـــمـــدت حـــمـسيـــاها أريبـــاً
من الفـــتــــيـــــان خلت به جنونا[(١)]

وجاء في أخبار يوم الربذة"وقدم حبيش بن دلجة فعسكر بالجرف وكان مروان أمره أن لا يعرض لأهل المدينة وأن لا يكون صمده وقصده إلا لمن يوجهه ابن الزبير للمحاربة[(٢)]" .

وقال المبرد : "وروى عن النبي (ص) أنه نظر إلى رجل ساجد إلى أن صلى النبي (ص) فقال : ألا رجل يقتله ؟ فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه ، ثم رجع إلى النبي (ص) فقال : أأقتل رجلا يقول : لا إله إلا الله ؟[(٣)] وجاء في أخبار الفتوح قول أبي جعفر الطبري ناقلا : "ولما توجه علقمة إلى غزة وتوجه معاوية إلى قيسارية وصمد عمرو بن العاص إلى الأرطبون ومرَّ بإزائه[(٤)]" . وقال الواقدي في أخبار بدر : "فاجتمعت بنو مخزوم فأحدقوا بأبي جهل فجعلوه مثل الحرجة وأجمعوا أن يلبسوا لامة أبي جهل رجلا منهم فألبسوها عبد الله ابن المنذر بن أبي رفاعة (فصمد له) علي - ع - فقتله وهو يراه أبا جهل ومضى عنه وهو يقول : أنا ابن عبد المطلب[(٥)]" . وجاء في كتاب عبد الحميد الكاتب إلى بعض قادة مروان الحمار" . . . متوكلا على الله فيما صمدت له ، واثقا بنصره . . . ثم اصمد لعدوك المتسمّي بالإسلام[(٦)]" .

فهذه شواهد ليست بقليلة من واقع العربية تدل على أن الصمد هو القصد لا الثبات .

---

(١) جمهرة أشعار العرب"ص١٥٨" . بطبعة الاتحاد ، قال مؤلفه : "صمدت قصدت" .

(٢) أنساب الأشراف"١ : ١٥١" .

(٣) الكامل في الأدب"٣ : ١٢٩ا طبعة المطبعة الأزهرية" .

(٤) تاريخ الأمم والملوك"٤ : ١٥٧" .

(٥) شرح نهج البلاغة"مج٢٢٧" .

(٦) جمع الأعشى"١ : ٢٠٩ ، ٢١٠" .

قل : يجب عليكم الصَّمد للعدو .

ولا تقل : الصمود للعدو .

وقد ذكرنا أن الفعل"صمد"معناه قصد ، ومصدره"الصمد" لا الصمود الذي ابتدعه ذوو الجمود ، والسبب في ذلك أن الصمد هو حركة على خط مستقيم نحو الصمود أي المقصود ، والمصادر التي تعني هذا المعنى تكون قصيرة لتمثل السير في أقصر الخطوط وهو الخط المستقيم ، ولذلك قالت العرب "قصد قصداً" و"نحا ينحو نحواً" و"رام يروم روماً" و"عمد يعمد عمداً" و"هدف هدفاً" و"سبق سبقاً" و"أمَّ أمّاً" و"صمَد صمْداً" و"سار سيراً" . وهذا من أسرار العربية ومن دقائقها وعجائبها التي لا تحصى ، ولقائل أن يقول : ولماذا لم يقولوا : ذهب ذهباً ؟ فنقول له : لأنه لا يشترط في الذهاب ولا في الإياب أن يسير الذاهب والآيب على أقصر الخطوط وهو الخط المستقيم ، ولذلك طال المصدر ، والظاهر أن الذي ابتدع"الصمود" حسبه بمعنى"الثبات" فأطال مصدره كالجلوس والقعود والوقوف والثبوت والثبات ، وفي قصر مصدر الفعل"صمد" ومشابهته للمصادر التي من النوع الذي ذكرناه دليل على أنه يعني الحركة لا السكون والتقدم لا الوقوف والإقدام لا الإحجام .

والعجيب في إصرار كثير من العرب العصريين المعتزين بالعروبة وهو تركهم ما أمر الله تعالى به في القتال وهو قوله : "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" ولم يقل "فاصمدوا"وقال تعالى : "ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً" ولم يقل «صمّدناك" وقال : "و"يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة" . ولم يقل : "يصمدهم بالقول الصامد" . وقال : "قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا" ولم يقل "ليصمدهم" . وقال تعالى : "وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام" . ولم يقل"ويصمد به الأقدام" وقال : "ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم" . ولم يقل"ويصمد أقدامكم"وقال : وكلاً نقص عليكم من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك" وقال : « كذلك لنثبّت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » وقال : ولما برزوا

لجالوت وجنوده قالوا : ربنا افرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » ولم يقل «وصمّد أقدامنا » وقال : «وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » وقال : "إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا" . فما معنى هذه الرغبة عن لغة القرآن ؟ فهل هو تجديد في العروبة ؟

قل : اعتزل العرش

ولا تقل : تنازل عن العرش

والسبب في ذلك أن"تنازل"فعل اشتراك في المسموع والمدون من اللغة العربية ، ومعناه النزول من الإبل إلى القتال بين اثنين أو أكثر منهما ، قال مؤلف أساس البلاغة"ونازله في الحرب وتنازلوا" وقال الجوهري في الصحاح "والنزال أن يتنازل الفريقان"وقال مؤلف المصباح المنير"ونازله في الحرب منازلة ونزالا وتنازلا" "نزل كل واحد منهما في مقابلة الآخر" . وقال مؤلف القاموس"والنزال : أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا . وقد تنازلوا"ويقال في مثل هذا المعنى أيضا"انتزل الفارسأن وانتزلت الفرسان أي تنازلا وتنازلوا ، وموضع الانتزال هو "المنتزل" قال ابن الزّبعري :

وسرابيل حسان شققت
عن كمات غودروا في المنتزل

واشتقت العرب من "النُزل على وزن العمر (وهو طعام الضيف فعلا فقالوا[1] تنازل القوم" أي أكلوا عند هذا نزلة وعند ذاك نزلة . وعلى هذا يجوز لقائل أن يقول : إن باب الاشتقاق مفتوح وأنت ممن يذهب إليه ،

---

(١) انظر لقولنا"فقالوا"بعد تقديمنا"اشتقت العرب ، ما جاء في سورة يوسف"وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم ،

فلماذا لا نقول :"تنازل عن العرش" ؟ والجواب هو أن القياس ينبغي فيه أن يكون ملائما لطبيعة اللغة العربية و"تفاعل" إذا جاز اشتقاقه للواحد من نزل دل على الرياء والتكلف مثل"تمارض وتماوت وتغافل وتجاهل"فمعنى"تنازل عن العرش" على هذا القياس"تكلف النزول عنه وخادع به وراءى" مع أن المراد"اعتزاله العرش"وتركه إياه وتنحيه عنه وتخليه ، وفي غير العرش يجوز أن يقال"نزل عنه" كقولهم"نزل عن حقه" قال في أساس البلاغة"وانزل لي عن هذه الأبيات" وفي المصباح المنير"نزلت عن الحق : تركته" فتأمل ذلك . ولا عبرة بما ورد في شرح البسامة لابن بدرون"ص٢٠)" .

قل : هؤلاء السُيّاح جواسيس

ولا تقل هؤلاء السوّاح جواسيس

وذلك لأن السياح جمع تكسير"للسائح" والسائح اسم فاعل من الفعل"ساح في الأرض ، سياحة وسيوحا ، وسيحا وسيحاناً" كما في لسان العرب ، والمصدر المشهور هو"السياحة" لزيادة أحرفه ، المستوجبة زيادة معناه ، وليس السائح من ساح يسوح المفقود حتى يجمع على سواح ، مثل قائد وقواد ، بل هو مثل"غائب وغُياب" و"عاب وعياب" ، وأما الجمع المصحح للسائح فهو السائحون والسائحين ، بحسب أنواع الإعراب ، ويعمد إلى جمع المذكر السالم عند إرادة الحدث ، كأن يقال"كان السياح سائحين في أمريكا" و"إنا السائحون اليوم ، وإنكم السائحون غدا" ؛ وغير الفصيح في مثل هذا المعنى أن يقال

"كان السياح سياحا في أمريكا" و"إناالسياح اليوم وإنكم السياح غدا"إذا أريد فعل السياحة أيضا .

قل : هذا رجل رُجعي ورجوعي **ولا تقل** : رَجعي .

ويقولون للرجل المتمسك بالأمور القديمة العقيمة وللأمر القديم

العقيم "رَجعي" لبيان أنه ضد التقدمي ، وذلك خطأ ، لأن "الرَّجعي" منسوب إما إلى الرجع وهو مصدر الفعل المتعدي"رجعه يرجعه رجعا"

وإما إلى "الرَّجعة" وهي الحياة الثانية في الدنيا . ومنها قولهم : فلان يقول بالرجعة ويعتقدها وهو من أهل الرجعة . أي ممن يؤمنون بأن ناسا من الموتى سيعودون إلى الحياة بعد الموت ، ويحيون حياة ثانية . . جاء في مختار الصحاح "وفلان يؤمن بالرجعة أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت" .

فالرجعة صارت مصطلحا ،وذلك ضد ما يريد القائل . لأن الحياة بعد الموت هي تجدّد وتقدّم ، فاستعماله خطأ مبين . والذي منع من استعمال "الرَّجعي" منسوبا إلى مصدر الثلاثي المتعدي هو أن المراد الفعل اللازم لإفادة النكوص والتأخر ، ومصدره «الرجوع والرُجعى» ليقابل الفعل اللازم "تقدم ومصدره التقدم" وهما غير تقدمه المتعدي ومصدره التقدم أيضا ، غير المرادين هنا ، فالرجوعي واضح المعنى ، وبقي "الرُجعي"وهو منسوب إلى"الرُجعى"على وزن الدنيا وهو مصدر الفعل اللازم"رجع"جاء في مختار الصحاح"والرُجعى : الرجوع" . ومنه قوله تعالى"إن إلى ربك الرجعى" .

قل : الجنود المرتزِقة ، والجنود المرتزِقون ، وهؤلاء المرتزِقة ، وهؤلاء المرتزِقون .

ولا تقل : المرتزَقة ولا المرتزَقون ، بهذا المعنى .

وذلك لأن الفعل"ارتزَق"يأتي على وجهين ، أحدهما وجه اللزوم ، وهو من باب"افتعل"الذي بمعنى اتخذ لنفسه أصل الفعل ، أي اتخذ لنفسه رزقا ، فيكون "ارتزق فلان" بمعنى أصاب رزقا أو نال رزقا ، أو جعل لنفسه رزقا ، فهو مثل"اقتدر"أي اتخذ طبيخا في قدر ، والوجه الآخر وجه التعدي ، وهو" ارتزقه أي افتعله ، بمعنى طلب منه أصل الفعل ، وهو

الرزق ، فيكون "ارتزقه" بمعنى طلب منه رزقا ، مثل "اختدمه" أي طلب منه خادما ، قال الجوهري في الصحاح "الرَّزقة" بالفتح المرة الواحدة ،

والجمع الرَّزقات ، وهي أطماع الجند ، وارتزق الجند ، أي أخذوا أرزاقهم" . وقال ناصر المطرزي في معجمه (المُغرب في ترتيب المعرب) : "الرِّزق ما يخرج للجند عند رأس كل شهر ، وقيل يوما بيوم ، والمرتزِقة : الذين يأخذون الرزق ، وإن لم يثبتوا في الديوان"وقال الفيومي في المصباح المنير"رزق الله الخلق يرزُقهم . . وأرتزق القوم : أخذوا أرزاقهم فهم مرتزِقة"وجاء في لسان العرب : "يقال : رزق الخلق رَزقا ورزقا . . وارتزقه واسترزقه : طلب منه الرزق . . وارتزق الجند : أخذوا أرزاقهم . . ورزق الأمير جنده فارتزقوا ارتزاقا . . ويقال : رُزِق الجند رَزْقةً واحدة لا غير ، ورزقوا رَزْقتين أي مرتين"

ومما نقلنا يظهر الخطأ في قولهم : مُرتزَقة ، بفتح الزاي ؛ لأن المرتزَق هو المطلوب منه الرزق ، أي الذي يعطي الرزق أي الرازق ، مع أن المراد هو العكس ، أي طالب الرزق وآخذه ، فالصواب كسر الزاي فقل : المرتزِقة والمرتزِق ، ولا تقل : المرتزَقة والمرتزَق للمعنى المراد .

قل : دحرنا جيش العدو ، فجيش العدو مدحور .

ولا تقل : اندحر جيش العدو فهو مندحر .

وذلك إذا كان هزمه وكسره ناشئين عن حرب ، وخسرانه في الحرب . وهو من باب المجاز . قال مؤلف لسان العرب ناقلا : "دحره يدحره دحرا ودحورا : دفعه وأبعده . . والدحر : تبعيدك الشيء عن الشيء . . والدحر : الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال ، وفي الدعاء : اللهم ادحرْ عنا الشيطان ، أي ادفعه واطرده ونحّه ، والدّحور :

الطرد والإبعاد ، قال الله عز وجل : "اخرج منها مذؤوما مدحورا"أي مقصّى وقيل مطرودا" انتهى .

والفصيح أن يقال : كسرنا جيش العدو ، أو هزمناه أو شتتنا شمله أو فللناه . ومع هذا فقد شاع في العصر الحاضر"دحرنا جيش العدو" أي دفعناه بعنف وطردناه ، أما"اندحر" فلم يرد في كتب اللغة ، ولكننا ينبغي لنا أن لا نكون جامدين على النصوص اللغوية ، فلغتنا العربية الزاهرة الباهرة قياسية اشتقاقية ، وقد ذكرنا في كلام لنا أن"انفعل" في اللغة ، يصاغ لرغبة الفاعل في الفعل ، إرادية كانت كانصرف وانطلق وانحاز وانضم ، أو طبيعية كانجاب الغيم وانقشع واندفن النهر ، لا بتأثير مؤثرالخارج ، وهو ما سموه المطاوعة ، ونحن لا نطاوعهم فيها ، فعلى هذا يجوز اشتقاق"اندحر" بمعنى انهزم وانكسر ، أي هرب من ساحة الحرب بغير قتال ، جبناً وفشلا وخيوما ، أما إذا أردنا"اندحر" من الدحر ، الذي هو الطرد الحقيقي العنيف ، فلا يجوز اشتقاقه ، لأن الإنسان لا يرغب في أن يكون طريدا ، ولا يريد ذلك ، ألا ترى أن الفصحاء لا يقولون "انطرد فلان" كما يقولون "انصرف وانطلق وانحاز وانضم" فرغبة الفاعل وإرادته وميله الطبيعي أوشبهه ، يجب أن تكون متوفرة في الفعل ، جاء في لسان العرب : "ويقال طردت فلانا فذهب ، ولا يقال فاطّرد ، قال الجوهري : ولا يقال من هذا انفعل ولا افتعل إلا في لغة رديئة" انتهى .

ذكر ذلك ولم يذكر السبب المانع من القياس ، ثم إنه قال في مادة خ س أ : "وخسأ الكلب يخسؤه خسأً أو خسوءاً فخسأ وانخسأ : أي طرده ، قال (الشاعر) كالكلب إن قيل له اخسأ انخسأ ، أي إن طردته انطرد" استعمل"انطرد" مع أنه قال في مادة ط ر د : إنه لغة رديئة"

والصحيح أن "انطرد" و"انخسأ" من اللغة الرديئة ، ولا يستعملان إلا عند الضرورة كضرورة الشعر والسجع ، لأن المنطرد والمنخسئ لا يريدان الانطراد ولا الانخساء ، وليسا من الأمور الطبيعية لهما .

وخاتمة القول أنه لا يقال : اندحر جيش العدو ، إلا إذا هرب قبل القتال فَشِلاً خائما خائراً .

قل : هذا الحزب محلول ، وهذه الجمعية محلولة إذا كانا قد نسخ قيامهما بأمر آمر ، وقهر قاهر ، من غير أعضائهما .

ولا تقل : هذا الحزب منحل ، وهذه الجمعية منحلة إذا كان قد بطل قيامهما وزال قوامهما ، من تلقاء أنفسهما .

والسبب في ذلك أن وزن "انفعل" في اللغة العربية يمثل رغبة الفاعل في الفعل ، إرادية كانت أو طبيعية ، كما قلنا نحو"انطلق فلان وانصرف" وانحاز وانضم وانهوى" ومن ذلك"انقشع الغيم ، وانجاب السحاب ، وانكشف الظلام ، وانكسر الغصن ، وانداح الشيء" وكذلك ما جرى مجرى انفعل من الأفعال الأخرى كتفعل اللازم نحو"تدلى الغصن ، وتولى فلان هاربا ، وتدنى وتعلّى ، وتثنى ، وتغنجت فلانة وتزينت وتبرّجت وتحلّت وتدللت" وقد مر في دحر .

وهذا من الأمور التي يثبتها ويؤكدها الواقع اللغوي ، ويحمل الحمق والجهل أحيانا محمل العقل ، في هذا المعنى من باب حمل الضد على الضد مثال ذلك"انخنقت الشاة" ، قال الجوهري في الصحاح : "وانخنقت الشاة بنفسها ، فهي منخنقة" ، وزاد في لسان العرب"فأما الانخناق فهو انعصار الخناق في خنقه ،والاختناق فعله بنفسه" . وقال الجوهري في ج ب ر : "وجبر العظم بنفسه أي انجبر" ، فسّر الفعل الذي قام به الفاعل في نفسه ، بوزن انفعل ، وقال أي انجبر . وهذا الوزن "انفعل" موجود في اللغة الأكدية ، وهي لغة سامية من أخوات اللغة العربية ، ألا أنه جاء بصورة "افعّل" ، ثم استثقل التشديد في العربية ، فأبدل أحد الضعفين نونا ، لأن النون من الحروف الخفيفة ، ولذلك اختير للتنوين التنكيري

وغيره من التناوين ، ألا ترى أن القدماء قالوا "قُبَّرة وقُنبرة" ، بإبدال النون من الباء ، وهي أحد الضعفين ، ولولا أن وجود الضعفين معا في الفعل ضروري لإفادة معاني التضعيف لأبدل أحد الضعفين نونا في أفعال كثيرة ، وهو ظاهر في اللغة العامية كقولهم جندله لجدّله ، وخنطل فلان لخطّل ، وصَنْقر لصقر ، أما الإبدال في الأسماء عند العوام فكثير كما عند الفصحاء ، كالدنبوس للدبّوس ، والعنجور للعجّور والزّمّارة للزمارة والإنجاص للاجاص والأترنج للأترج .

قل : تأكدتُ الشيء تأكدا **ولا تقل** : تأكدت من الشيء .

والفعل "تأكد" لم يرد في كلام العرب إلا لازما بمعنى توكّد فقد قالوا : تأكد الأمر أي ثبت ثبوتا وثيقا ، وجاء في لسان العرب "وكّد العقد أو العهد : أوثقه ، والهمز فيه (أي أكد) لغة ، يقال : أوكدته وأكدته وآكدته ايكادا ، وبالواو أفصح أي شددته ، وتوكد الأمر وتأكد بمعنى (واحد) . ويقال : وكّدت اليمين ، والهمز في العقد أجود" . ولما كانت اللغة العربية سائرة في طرقها الاشتقاقية نشأ فيها "تأكّد" المتعدي في كلام الكتّاب وكتاباتهم قياسا على "تفعل فلان الشيء" أي أصابه بأصل الفعل ، مثل "تبين فلان الأمر" أي أوقع عليه البيان ، وتحققه أي أوقع عليه التحقيق ، فتأكد فلان الشيء بمعنى أوقع عليه التأكيد وهذه الأفعال المتعدية الثلاثة هي غير اللازمة التي هي بوزنها نحو "تأكد الأمر" أي ثبت ثبوتا وثيقا وتبين أي ظهر واتضح وتحقق أي بانت حقيقته ، فالأول قياسي والثاني والثالث سماعيان قياسيان .

ولذلك لا نجد موضعا لاستعمال "من" في قولهم "تأكد فلان من الأمر ومن المبلغ" لكن كثرة استعمال هذا الغلط جعلتهم لا يفكرون في تركيب جملته ، وتحري الصحة فيه ، لأنهم فكروا في تأدية المعنى حسبُ ،

وليس من شأن المتكلم إن لم يكن لغويا أن يفكر في دقائق التركيب بعد أن يجده منطبقا على قواعد الإعراب العامة ، والعرب تستعمل"من" في مثل هذه الجملة عند استعمال المصدر أو الاسم لوصولهما بما يفيد تمام المعنى مثل"أنا على بينة من هذا الأمر ، وأنتم على ثقة من أمركم" .

قل : ملأ الوظيفة الشاغرة ، وينبغي ملء الشواغر .

ولا تقل : إملاء الشواغر .

وذلك لأنك تقول : ملأ الوظيفة الشاغرة ، ومصدر ملأ المشهور هو الملء لا الإملاء ، والإملاء يكون مصدرا لفعلين مختلفين ، أحدهما"أملى فلان على الكاتب شيئا إملاءاً" ، أي ألقاه عليه ليكتبه ، والآخر"أملأه الغداء إملاء" أي أصابه بالملأة ، وهي الزكام ، أوثقل يأخذ في الرأس من امتلاء المعدة" والثلاثي منه هو مليء يملأ"نحو زكم يزكم ، فهو مملوء ومزكوم" فالإملاء هو الزكام ، قال السيد محمد مرتضى الزبيدي ، في تاج العروس : "الملاءة ممدودا والملاء كغراب والملأة كمتعة . . . الزكام يصيب من الامتلاء أي امتلاء المعدة ، وقد مليء (فلان) كعُني مبنيا للمفعول ، وملؤ مثال كرُم ، واملأه الله تعالى إملاءاً ، أي أزكمه فهو مُملأ . . " .

فقل : ملء الشاغر أو الشواغر ، ولا تقل : إملاء الشواغر .

قل : تخرّج فلان في الكلية الفلانية .

ولا تقل : تخرّج من الكلية الفلانية .

وذلك لأن تخرج في هذه الجملة وأمثالها بمعنى"تأدب" و"تعلم" وتدرب فيقال : "تعلم في الكلية" و"تأدب فلان في الكلية وتدرب" ولا محل لحرف الجر"من" فليس المقصود الخروج من الكلية في قولنا"تخرج في الكلية" ولو كان المقصود الخروج ، لكان لكل طالب في اليوم خرجة أو خرجتان ، ولذهب المعنى المقصود .

والعجيب أن"التخرُج" لا يزال في اللغة العامية العراقية يفيد معنى العلم وحسن التصرف فالعوام يقولون في ذكر من يسيء التصرف والعمل ، ويرتبك في الأشغال "فلان ما يتخرَّج بهذا الشغل ، وفلان يتخرَّج" إلا أن استعمال النفي هو الغالب عليه .

قل : الطبيب الخافر ، وطبيب الخَفْر ، والجندي الخافر وجندي الخفر .

ولا تقل : الطبيب الخَفر ولا الجندي الخَفَر .

وذلك لأن الخافر اسم فاعل ، من خفره وخفر به وخفر عليه أي أمّنه وحَمَاه وأجاره وحرسه فيكون لفظ "الخافر" مستعملاً على سبيل المجاز للطبيب وعلى سبيل الحقيقة للجندي أما «الخَفَر» فهو مصدر الفعل "خفرت المرأة تخفر خفرا وخَفارة أي استحيت أشد الحياء ؛ فهي خفرة وخفير ومخفار" ومن البديهي أن الذي يستعمل الخَفْر لا يريد خَفَر المرأة ، ولا يخطر ذلك بباله ، بل يريد صاحب النوبة والرقيب والموكل بالتدبّر أو النظر أو الحراسة ، ويجوز أن يكون الأصل في هذا الاصطلاح "الطبيب ذو الخَفر" وهو بمعنى الطبيب الخافر ، باعتبار أن المراد باسم الفاعل هو النسبة إلى الفعل ، فقولهم "ذو الخفْر" هو رجوع إلى الأصل ، فينبغي أن يقال إذن "الطبيب ذو الخَفْر" أو طبيب الخفْر بإضافة الاسم إلى فعل صاحبه وذلك أثقل من"الطبيب الخافر" وكذلك القول في"الجندي ذي الخِفْر وجندي الخفر" فتسكين الفاء واجب لئلا يلتبس الخفر الذي هو الحفظ والحراسة بالخَفَر الذي هو الحياء ، ثم إنه لا يجوز أن يكون الخَفَر جمعا ، قياسا على حارس وحرس ، وخادم وخدم ، وطالب وطَلَب ، وقاعد وقعد ، وسامر وسمر وناشئ ونشأ ، لأن المقصود خافر واحد لا جماعة ولا جمعية واستعمال الجمع مكان المفرد هو من اللغة العامية إذا

كان المفرد غير مجزأ كقولهم ، فلان أشقياء ، وأبناء الثلاثين ، وفلان أرباب .

قل : نُقول الموظفين ونقلاتهم **ولا تقل** : تنقلاتهم .

وذلك لأن "التنقلات" جمع المصدر "التنقل" ، المشتق من "تنقّل فلان" ومضارعه "يتنقل فلان" أي انتقل من شيء إلى آخر ، ومن مكان إلى آخر ، ومن بلدة إلى أخرى ، عدة مرات بحسب رغبته وهواه ، ومن ذلك قول الشاعر : "تنقل فلذات الهوى في التنقل" فتنقلات الموظفين ليست مكررة عدة مرات في تلك المرة ، ولم تكن برغبة منهم وعلى هواهم ، فالصواب "النقول والنقلات" أي نقلات الموظفين ، ولكل موظف "نقلة" والنقلة مصدر المرة ، كما تقول في الخرجة خرجات ، وفي السفر سفرات ، وفي الطلعة طلعات ، وفي الحملة حملات ، وفي الدخلة دخلات ، وتقول في النقلة نقلات ، لأن الموظف إذ ذاك نُقل نقْلة واحدة ، وجمع النقلة نقلات كما ذكرت آنفا ، فقل : نَقَلات الموظفين ، كما تقول : سفرات الموظفين ، وحملات الجيش ، والفرق بينهما أن النقلة مضافة إلى مفعولها وتلك مضافة إلى فاعلها ، ولا تقل : تنقلات الموظفين بهذا المعنى ، فتنقلات الموظفين تكون في أيام إجازاتهم أواستراحاتهم ، أو تفتيشهم وتحقيقاتهم ، أي حينما يتنقلون مرة بعد مرة ، باختيار أو بإذن للاعتبار والاختبار .

قل : القَطّاع **ولا تقل** : القِطاع ولا القُطاع .

وذلك لأن القطّاع من اصطلاحات الهندسة القديمة وقد استعير للتقسيمات الاقتصادية باعتبار أن مجموع الاقتصاد دائرة والقطاع يقطع جزءاً منها ويفرزه ، قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب من أهل القرن الرابع للهجرة : "الشكل القطّاع - بفتح

القاف وتشديد الطاء - قطعة من دائرة ، رأسها إما على مركزها وإما على محيطها مثل هذين[1] الشكلين[2]" .

وهذه التسمية من باب تسمية الكل بالجزء كما قالت العرب"الحائط" للبستان مع أن الحائط هو جداره وكما سمى العصريون عدة أشياء بالمنطقة من غير أن يشترطوا الاستدارة في الشيء المسمى وذلك خطأ قبيح لأن المنطقة كالحزام فتستعمل للاستدارة لا للانبساط ، فقولهم"المنطقة الاستوائية" من الأرض صحيح ، لأن الخط دائر مع خط الاستواء كالنطاق وإن كان متصوّرا ، وقولهم"المنطقة المحرمة" من البلاد خطأ لأنها لا استدارة فيها . أما القِطاع آلة القطع أو طائفة من الليل والدراهم فلا محل لها في ارادة هذا المعنى .

قل : تعرّفت الشيء والأمور ، وتعرّفت إلى فلان واعترفت إليه ، واستعرفت إليه ، وقالت العامة . تعرفت بفلان .

ولا تقل : تعرفت إلى الشيء والأمور ولا تعرفت عليها .

وذلك لأن لغة العرب تميز في هذا الفعل بين الإنسان وغيره ، كما تميز بين مدلولي صيغة الفعل"تفعّل . في هذه العبارة ، فتعرفت الشيء وتعرفت الأمور هما على وزن "تفعّل" ولكن مدلوله غير مدلول "تعرفت إلى فلان" .

أي تفعّل أيضا مع مخالفة مدلول هذا الفعل لمدلول ذاك ، فلغة العرب لغة اشتقاقية وأوزان أفعالها أي صيغ أفعالها محدودة معدودة والمعاني كثيرة ، فلم يكن بد من أن تدل الصيغة الواحدة والوزن الواحد على أكثر من معنى واحد للوفاء بالمعاني وأدائها ، ومن تلك الصيغ المشتركة

(١) لم يرد شكلا في الكتاب المطبوع بمصر .

(٢) مفاتيح العلوم"ص٢٠ ١طبعة إدارة الطباعة المنيرة بمصر" .

المعاني "تفعَل" التي جاء على وزنها "تعرّف" فقولنا "تعرّفت الشيء والأمور" هو"تفعّل" الذي بمعنى أوقعت أصل الفعل على المفعول أي أوقعت المعرفة عليه بعد أن كان مجهولا ، وأقول بعبارة أخرى هو بمعنى"أصبه بالمعرفة" . وأما قولنا "تعرّفت إلى فلان" ففيه تعرّف بمعنى أظهر الفعل من نفسه خاصة مرة بعد مرة أي أظهر معرفة نفسه بتكرار لتأكيد الفعل ، فهو لازم ملازم لفاعله ، وشواهد الأول أعني"تعرّفته" كثيرة ، أنا ذاكرها بعد النصوص اللغوية ، قال الجوهري في الصحاح : "وتعرّفت ما عند فلان أي تطلّبت حتى عرفت وتقول : أيت فلانا فاستعرف إليه حتى يعرفك" وكرره مؤلف لسان العرب ناقلا . وذكر قول طريف العنبري :

تعرّفوني أنني أنا ذاكم

شاكٍ سلاحي في الفوارس مُعلمُ

وتعرَّفه قد أورده الفيروز أبادي في القاموس كايراد الجوهري له في الصحاح .

أما الواقع اللغوي فمنه ما ورد في أخبار الخوارج من الكامل للمبرد من قول القائد العظيم المهلب بن أبي صفرة لهريم بن عدي المجاشعي ،"إني لا آمن أن يكون قطري كاذباً بترك موضعه فاذهب فتعرّف الخبر" . وقول بعض الفصحاء في موضع آخر منه : "يتعرّفه النصر ويساعده الظفر" . ومنه قول بعض الفصحاء في أخبار ابن مسجح في الأغاني"وما منعني من عتقه إلا حسن فراستي فيه ولئن عشت لأتعرَّفن ذلك" ومن قول بعضهم في أخبار ابن المولى"فلما أفاق ابن المولى من علته ونهض دخل عليه يزيد بن حاتم متعرفا خبره" . ومنه قول الجاحظ في كتابه الحيوان : "جعلها في موضع امتحان إخلاصهم وتعرُّف صدق نياتهم" . وأما قولهم "تعرَّف فلان إلى فلان" فقد ورد في كتب اللغة الموثوق بها المعتمد عليها مثل لسان العرب وفي تعابير الفصحاء ، فقد جاء في كتاب الأغاني في أخبار معبد المغني الكبير الشهير : "غنيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيت وذكر فقلت : لآتينَّ

مكة فلأسمعن من المغنين بها ولأغنِّيَنَّهم ولأتعرفن إليهم" . وقال الأديب الكبير أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال "لا الملك معرفة ولا البحر جار أي لا تتعرف إلى الملك ولا تجاور البحر" . أما تعرّف به "فقد نقل الأستاذ" رينهارد دوزي" المستشرق في معجمه المستدرك للغة العربية بالعربية والفرنسية من كتاب تاريخ الموحدين لابن صاحب الصلاة قوله ، "حين دخل بغداد وتعرّف بسلطانها" فهذا شاهد"تعرّف به" ونقل من مرجع آخر قول القائل "تعرّف بالناس" . والظاهر أن "تعرّف به" أي صار معروفا عنده هو من التعابير العامية ومن العامية ما هو فصيح ولا يزال عوام بغداد يستعملونه في كلامهم كقولهم"إتعرَّفت بي"وتأويله اللغوي ، أن المتعرف كان مجهولا فلما اتصل به صار معروفا ، فإذا كان ذلك بالنسبة للمجرور كان التعبير صحيحا وإذا كان بالنسبة للفاعل كان من سوء التعبير .

قل : هذا يرمي إلى الإصلاح ويستهدفه .

ولا تقل : يهدف إلى الإصلاح .

وذلك لأن "هدف للشيء" لا يؤدي هذا المعنى ، وله معنى آخر لا تستغني عنه اللغة العربية ومن أجله اشتق الفعل من الهدف قال الزمخشري في أساس البلاغة : "وهدف للخمسين وأهدف : قارب" وجاء في لسان العرب"ويقال : هل هدف إليكم هادف أو هبش هابش ؟ يستخبره هل حدث ببلده أحد سوى من كان به ؟ . وهدف إلى الشيء : أسرع" . وجاء في القاموس"وهل هدف إليكم هادف : هل حدث ببلدكم أحد سوى من كان به . وهدف إليه : دخل وهدف للخمسين : "قاربها كأهداف" . وجاء في المعجم الوسيط"هدف إليه هدفا : دخل . وهدف فلان للخمسين : قاربها . وهدف إلى الشيء : جعله هدفا له ، مولّد" . وهذا المولد خطأ ، لأن جميع معاني"هدف" المتقدمة على هذا المعنى تعني قرب الوصول والدخول وما أشبههما ،

على حين أن "رمى" إلى الشيء لا يعني القرب منه ولا أصابته وإنما يعني الاجتهاد والسعي لإصابته ، فالهدف يكون بعد الرمي وهو مقاربة النجاح ، يقال"رمى إلى النجاح فهدف له"أي قاربه .

أما"استهدفه" فمعناه اتخذه هدفا ، وقد ورد ذلك في كلام الإمام علي (ع) على إحدى روايتين ، وهي في قوله : "دار بالبلاء محفوفة . . وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة . ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها" قال عز الدين بن أبي الحديد : "ومستهدِفة بكسر الدال : منتصبة مهيأة للرمي ، وروي مستهدَفة بفتح الدال على المفعولية كأنها قد استهدفها غيرها أي جعلها أهدافا[1]" . ونقل ذلك فخر الدين الطريحي ولم يشر إليه قال في مجمع البحرين : "فيه أغراض مستهدِفة بكسر الدال : المنتصبة[2] ، واستهدفت أي طلبت اتخاذ هدف وهو كل شيء مرتفع من تراب أو رمل ، ومنه مستهدَفة بفتح الدال"

وقال أسامة بن منقذ : "وكان قد هدف من العرب الينا خلق كثير[3] أي قصد إلينا . وأسامة كان من رجال القرن السادس للهجرة ، ولا يقوم كلامه لمناهضة كلام العرب الفصحاء الذي ضُمنته معجمات اللغة .

قل : الشيء الذي ذكرته آنفا أو سالفا أو المذكور آنفا .

ولا تقل : الشيء الآنف الذكر .

جاء في مختار الصحاح"وقال كذا آنفا وسالفا"وهو أسلوب القرآن الكريم ، قال تعالى : "ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك

---

(١) شرح نهج البلاغة"مج٢ ص٨٢ . ٨٤" .

(٢) الصواب "منتصبة" لأن المفسر نكرة .

(٣) الاعتبار لأسامة بن منقذ"ص٤٠" .

قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا ؟[١] فالصواب"المذكورآنفا" ، و"المذكور سالفا وهو أدل على المعنى إذا أريد زمن مضي الشيء ، قال الراغب الأصبهاني : "واستأنفت الشيء : أخذت أنفه أي مبدأه ، ومنه قوله - عز وجل - : ماذا قال آنفا أي مبتدأ[٢]" . وجاء في كليلة ودمنة"وعجَزت رأيي في سيرتي بما تكلمت به آنفا[٣] وقال أشعب في ذكر زيد بن عمرو بن عثمان زوج سكينة بنت الحسين (ع) أنه قال له : غنني ويحك غير هذا فإن أصبت ما في نفسي فلك حلتي هذه وقد اشتريتها آنفا بثلاثمائة دينار[٤]" . وقال ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة في الكلام على مادة أ ن ف : "الهمزة والنون والفاء أصلان منهما تتفرع مسائل الباب كلها ، أحدهما : أخذ الشيء من أوله ، والثاني أنف كل ذي أنف وقياسه التحديد . فأما الأصل الأول فقال الخليل : استأنفت كذا أي رجعت إلى أوله وائتنفت ائتنافا ، ومؤتنف الأمر : ما يُبتدأ فيه . ومن هذا الباب قولهم : فعل كذا آنفا . كأنه ابتداؤه ، وقال الله تعالى : قالوا ماذا قال آنفا" .

قل : فلان يبهرج البضاعة ويزاول البهرجة وهو مبهرج بضاعة .

ولا تقل : فلان يزاول القجغ والتهريب .

وذلك لأن كلمة "القجغ" كلمة أعجمية ، تركية الأصل واللفظ وصورتها"قاجاق" والمزاولة لهذا الضرب من العمل تسمى"قاجا قلق" أي البهرجة ، جاء في لسان العرب"وفي الحديث أنه أتي بجراب لؤلؤ بهرج" . قال القتيبي : أحسبه بجراب لؤلؤ أي عدل به عن الطريق المسلوك خوفا من العشار . قال الأزهري : "وبهرج بهم إذا أخذ بهم في غير المحجة" . وقد نقل صاحب اللسان هذا النص اللغوي وشرحه من

---

(١) سورة محمد - ص١٦" .

(٢) مفردات القرآن ص٢٨ طبعة مصطفى البابي .

(٣) ص٩٢ طبعة المرصفي .

(٤) الأغاني "٣ : ٢٦٧ طبعة دار الكتب المصرية" .

كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر و فيه ذكر للمآتي ونصه : وفي حديث الحجاج أنه أتى بجراب لؤلؤ بهرج" . وورد في المصباح المنير"وبهرج الشيء : بالبناء للمفعول : أخذ به على غير الطريق" .

ومن المعلوم أن بضاعة"القجغ" مأخوذ بها على غير الطريق تفصيا من آداء العشر أو المكس ، أما التهريب فإن صح استعماله فإنما يصح للإنسان فهو الذي يهرب أي يفر ، والبضاعة لا تفر ولا وجه لاستعمال الهرب المجاري لها البتة .

قل : عرَّض فلان للتعذيب والعقوبة والأذى وجعل عرضةً لها .

ولا تقل : تعرّض لها .

وأصل هذا الغلط في استعمال"تعرض" ما ذكرناه من كلام الأديب الكبير المقدم ذكره في المقدمة وهو من ذوي الأساليب التي اقتدي بها وشاعت بين فريق من الكتاب ، والسبب في غلط الاستعمال أن"تعرَّض" يدل على رغبة الفاعل في الفعل والمفعول به إن وجد ، والمعذب أو المعاقب أو المؤذى كائنا ما كان الأذى لم يرغب في العذاب والعقوبة والأذى ، وإنما قهر وأجبر على مكابدتها . ولو صح أن الذي عرَّض لهذه البلايا راغب فيها وتائق إليها لم يكن معذبه أو معاقبه أو مؤذيه ملوما ، قال ابن فارس في المقايس : "وتعرّض لي فلان بما أكره ورجل عرِّيض أي متعرض" وورد في الصحاح ومختاره "وتعرّض لفلان تصدى له . يقال : تعرّضت (لهم) أسألهم" : . وجاء في المصباح المنير"وتعرّض للمعروف وتعرّضه ، يتعدى بنفسه وبالحرف إذا تصدى له وطلبه ، ذكره الأزهري وغيره ومنه قولهم : تعرض في شهادته لكذا أي تصدى لذكره"وقال قبيل ذلك : "وما عرضت له بسوء أي ما تعرّضت" وفي لسان العرب"ويقال : انطلق فلان يتعرض بجمله السوق إذا عرضه على البيع ، ويقال : تعرّض أي أقامه في السوق . . وأنشد ابن الأعرابي :

وقوما آخرين تعرَّضوا لي ولا أجني من الناس اعتراضا . . والعرب تقول : عرض لي الشيء واعرض وتعرض واعترض بمعنى واحد . . ورجل عريض مثل فسيق يتعرض الناس . . وتعرّض معروفه وله : طلبه . . وقال الليث : يقال : تعرّض لي فلان بما أكره" فهذه النصوص اللغوية للتعرّض بمعنى الاعتراض وهي تدل على أن الفعل "تعرّض" ومصدره التعرّض يفيدان رغبه الفاعل والمفعول به ، وقد تركت نصا واحدا ورد في الصحاح ومختاره يخالف واقع اللغة وأني ذاكره بعد إيرادي شواهد واقع اللغة أي استعمال "تعرّض" في كتب الأدب وكتب التاريخ قال رجل من قيس عيلان : "كان الأعشى يوافي سوق عكاظ وكان المحلق الكلاب مئناثا مملقا ، فقالت امرأته : يا أبا كلاب ما يمنعك من (التعرّض) لهذا الشاعر . .[1]" . وجاء في خبر هبار بن الأسود "فقال : رسول الله - ص - وهبار يعتذر إليه : إن الإسلام محا ذلك ونهى عن التعرّض له[2]" وقال الجاحظ : "وسأضرب لك مثلا قد استوجب أغلظ منه وتعرضت لأشد منه ولكنّا نستأني بك وننتظر أوبتك[3]" . وجاء في أخبار صفين لنصر بن مزاحم المنقري من أهل القرن الثالث للهجرة :

إلا أن تتعرض للبلاء - ص٢٩ -" . وجاء في الأكليل" عن أبي الحسن الشامي عن عكرمة عن عباس عن ابن أخي النجاشي قال : قال : عمر ابن الخطاب وفدت على النعمان - وأنا غلام شاب - في فتية من قريش من أهل مكة نتعرّض لمعروفه[4]" . وورد في خبر نصر بن حجاج الشاب الجميل الذي نفاه عمر بن الخطاب (رض) "وأتته يوما أم نصر حين اشتدت عليها يوما غيبة ابنها فتعرضت لعمر بين الأذان والإقامة فقعدت على الطريق[5]" .

---

(١) الأغاني" ٦ : ١٢١ طبعة الكتب المصرية" .

(٢) شرح البلاغة لأبن أبي الحديد نقلا من كتاب الواقدي" مج٤ ص٢١٧" .

(٣) الحيوان" ١ : ٢١٨" .

(٤) الأكليل" ج٨ ص٢٥ طبعة مطبعة السريان ببغداد" .

(٥) شرح البلاغة" مج٤ ص١٠" .

وجاء في سيرة الوزير يحيى بن هبيرة قول سبط ابن الجوزي : "وقال جدي الشيخ أبو الفرج في كتاب المنتظم : وكان الوزير يسأل الله تعالى الشهادة ويتعرّض لأسبابها[1] .

فهذه شواهد الواقع اللغوي للفعل "تعرّض"ومصدره التعرض تؤكد أن التاء"تفيد رغبة الفاعل في الفعل ، أما الشاهد المخالف للواقع اللغوي فهو ما ورد في الصحاح ومختاره وهو "عرَّضه لكذا فتعرّض له" ونقله منه صاحب اللسان وهو من دعوى وجود"المطاوعة" التي أصبحت حديث خرافة ولم نجد عربيا فصيحا قال "عرّضت فلانا للعقوبة فتعرّض لها" دليل على الإجبار في إيقاعها عليه ، وهذا تناقض ظاهر ، وقد يقع في كلام المولدين الذين يتكلمون بلغة العامة التي لا باعث عليها ، ولا ملجئ إليها لأنها مخالفة لجميع أقوال الفصحاء ، والفرق بينها وبين اللغة الفصيحة حذف قليل كما رأيت .

ومن شواهد الواقع اللغوي للفعل"عرضه تعريضا" أي جعله عرضة وهدفا قول ناس من بني عجل لعتيبة بن النهاس العجلي لما صرف الحطياة ولم يعطه شيئا : "لقد عرَّضتنا ونفسك للشر . قال : وكيف ؟ قالوا : هذا الحطياة وهو هاجينا أخبث هجاء[2]" . ولم يقولوا تعرضنا بك للشر لأنهم لم تكن لهم رغبة فيه . وقال إبراهيم الموصلي للخليفة الهادي :

يا ابن خـــيــــر الملوك لا تتـــــركني
غـــرضـــا للعـــدو يرمي حـــيـــالي

فلقـــــــد في هواك فـــــارقت أهلي
ثم عـــرَّضت مـــهـــجـــتي للزوال[3]

(١) وفيات الأعيان"٢ : ٢٩٧" . طبعة إيران .
(٢) الأغاني"٢ : ١٦٨ الطبعة المذكورة آنفا" .
(٣) المرجع المذكور"٥ : ١٦٢" .

وقال أبو حيان التوحيدي : "وإذا حفظ الصحة فلقد أفاده كسب الفضائل وفرّغه وعرّضه لاقتنائها[١]" وهو على سبيل الاستعارة ، أراد « وأعانه على اقتنائها » .

قل : هؤلاء الطّغام والطّغامة .

ولا تقل : الطّغمة .

ويقولون للعصبة الشريرة أو الرديئة : هذه الطغمة ويؤكدون رداءتها أحيانا فيقولون : هذه الطغمة الرديئة أو الفاسدة ، والصواب "الطغام والطغامة" وهما مستعاران من أراذل الطير والسباع كالرعاع وأصله النعام والهَمَج وأصله الذباب الصغار يقع على وجوه الحمير وعيونها أو الغنم المهزولة ، قال ابن منظور في لسان العرب : الطغام والطغامة : آراذل الطير والسباع ، الواحدة طغامة للذكر والأنثى مثل نعامة ونعام ، ولا ينطبق منه بفعل ولا يعرف له اشتقاق ، وهما أيضا أرذال الناس وأوغادهم أنشد أبو العباس :

إذا كـــان اللبـــيب كـــذا جـــهـــولا
فـــمـــا فـــضل اللبـــيب على الطغـــام

الواحد والجمع في ذلك سواء ويقال : هذا طغامة من الطغام ، قال الشاعر :

وكنت إذا همـــمـــت بفـــعـل أمـــر
يخـــالفني الطغـــامـــة والطغـــام

وقول علي (رض) لأهل العراق : يا طغام الأحلام . إنما هو من باب إشفى المرفق . " وقول الإمام الذي أشار إليه ورد في خطبته بالنخيلة يحث على الجهاد ، ذكرها المبرد في أول كتابه الكامل . قال : "وقوله يا

(١) الامتاع والمؤانسة٣ ، ١١٦ .

طغام الأحلام فمجاز الطغام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده وكانوا يقولون طغام أهل الشام كما قال :

فما فضل اللبيب على الطغام[1]"

ومن رجز أيام صفين قول الحر بن سهم بن طريف :

إني لأرجو إن لقينا العاما
جمع بني أمية الطغاما
أن تقتل العاصي والهماما[2]

وقول الإمام علي (ع) من القصيدة متمثلا :

فلو أني أطعت عصمت قومي
إلى ركن اليمامة أو شمام
ولكني متى أبرمت أمرا
منيت بخلف آراء الطغام[3]

وقال في شأن الحكمين : "جفاة طغام عبيد أقزام ، جمعوا من كل أوب ، وتُلقطوا من كل شوب" .

قال ابن الحديد : "جفاة جمع جاف أي هم أعراب أجلاف ، والطغام أوغاد الناس ، الواحد والجمع فيه سواء ، ويقال اللئام ، والأشرار عبيد وإن كانوا أحرارا[4]" .

أما الطغمة فقد ذكر البستاني في محيط المحيط أنها "الزمرة من

(١) الكامل"١ : ١٦ . ٠ ايالمطبعة الأزهرية" وفي نهج البلاغة "حلوم الأطفال" وأشار الشارح إلى نقل المبرد "شرح ابن أبي الحديد مج١ : س١٤١ ، ١٤٢" .
(٢) الشرح المذكور"١ : ٢٧٧نقلا من أخبار صفين لنصر بن مزاحم" .
(٣) المذكور"٢٤٣" .
(٤) المذكور «٢ : ٢٨٦» .

الناس شأنهم واحد" والظاهر أنها من الألفاظ النصرانية ، إلا أنها لا تستعمل إلا في المدح وللأخيار لأنه ذكر بعد ذلك"طغمات الملائكة" أي طبقاتهم ، وليس في الملائكة أشرار ولا أردياء ، وهل من سبب وجيه معقول يبعث الكاتب العربي على ترك لفظة عربية فصيحة قديمة خاصة بالأنذال واستعمال كلمة نبطية اصطلاحية ، لا أحسبه موجودا .

قل : دعسته السيارة دعسا وداسته دوسا .

ولا تقل : دهسته دهسا .

ويقولون لمن داسته السيارة بعجلاتها "دهسته السيارة" بتعدي الفعل"دهس" إلى مفعوله به واحد مع نصب هذا المفعول ، واشتقاق مصدر له هو"دهس" . وقد مرت عشرات سنين على هذا الفعل الغريب ومصدره . ودخلا في سجلات الحوادث في دواوين الشرطة ودواوين المحاكم ، وذاعا في صحف الأخبار ، واستعملا في القصص والآثار ، مع أنهما ليس لهما بالدعس ولا بالدوس صلة وثيقة ولا واهية حتى يحتج محتج لهما بضرب من الاستعارة ، يضاف إلى ذلك الوهم القبيح واختلاق ما ليس من لغة العرب أن الفعل"دهس" إنما يستعمل للون وهو لازم لا متعدٍّ ، كسائر أفعال الألوان لاستقرار الفعل في الفاعل ، فما يدري الناقد اللغوي ماذا يذكر من المعايب ؟ قال ابن فارس في كتابه المقاييس : "الدال والهاء والسين أصل واحد يدل على لين في مكان ، فالدَّهس المكان اللين وكذلك الدهاس ، والدهسة لون كلون الرمل"وورد في لسان العرب"الأصمعي : الدَّهاس كل لين جدا ، وقيل الدهس : الأرض السهلة يثقل فيها المشي ، وقيل هي الأرض التي لا يغلب عليها لون الأرض ولا لون النبات . وأدهس القوم : ساروا في الدَّهس كما يقال أوعثوا : ساروا في الوعث . . والدّهس والدّهاس . . المكان السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملا وليس هو بتراب ولا طين ورمال دُهس ، وفي الحديث : أقبل من الحديبية فنزل دهاسا من الأرض . ومنه

حديث دريد بن الصمة : لا حزْن ضِرس ولا سهل دِهس" .

وفي النصوص اللغوية بيان لما ذكرت ، فلا وجود للفعل دهس إلا للون الذي يشبه لون الرمل ، ومثله "ادهاسّ ادهيساسا" ، وأما "أدهس إدهاسا" فمعناه سار في الدهس وهي الأرض اللينة السهلة التي تسوخ فيها الأقدام بعض السوخ فمن أين أتى المتحذلق المختلق "بدهسه" بمعنى "دعسه وداسه" ؟ ولماذا ترك الفعل الشائع بين العامة والخاصة "داسه يدوسه دوسا" ألان العامة تستعمله ؟ وهو فصيح مليح ؟ ومع هذا يتهمون اللغويين بالتحذلق والأغراب وهم يتحذلقون فيما لا وجود لمعناه في لغة العرب ، فيجب أن يقال في الأقل "دعسته السيارة دعسا" جاء في لسان العرب "الدعس : شدة الوطء ودعست الإبل الطريق تدعسه دعسا ، وطئته وطئا شديدا . . وطريق دعس . دعسته القوائم ووطئته وكثرت فيه الآثار" وإذا وطئت السيارة الإنسان وطأً شديدا قتلته أو كسرت بعض أعضائه فصار عائها أي ذا عاهة .

ومما يضحك في استعمالهم "دهسه" بمعنى داسه ودعسه أنه لو حسبنا أن "دهس" موجود وأنه متعد أو أنه موجود وعديناه بالهمزة وقلنا "دهسته السيارة أو أدهسته إدهاسا" لكان ذلك بمعنى "لينته وأزالت خشونته" فانظر بعد ذلك كيف يكون تليين الإنسان وإزالة خشونته ؟ .

قل : إنسان شيِّق أو شيِّق القلب وكتاب شائق الموضوع ، وموضوع شائق .

ولا تقل : كتاب شيق الموضوع ولا موضوع شيق .

ذلك لأن "الشيق" معناه المشتاق ، كالقيم بمعنى المستقيم ، ولأن الكتاب لا يكون مشتاقا ، قال ابن فارس في كتاب المقاييس : "الشين والواو والقاف ، (أصل) يدل على تعلق الشيء بالشيء ، يقال : شُقت الطنب إلى الوتد ، يعني شددت حبل البيت إلى الوتد ، واسم ذلك

الخيط هو (الشياق) ، والشوق مثل النَّوط (وزنا ومعنى) ، ثم اشتق من ذلك الشوق ، وهو نزاع النفس إلى الشيء ، ويقال : شاقني يشوقني(شوقا) ، وذلك لا يكون إلا عن علق حب" .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : "وبلغت مني الأشواق ، وما أشوقني إليك ، وقلب شيق" . وقال الفيومي في المصباح المنير : "شاقني الشيء شوقا من باب قال . واشتقت إليه ، فأنا مشتاق وشيق" . فالشيق معناه المشتاق كما ذكرنا آنفا ، ولذلك قال صاحب المصباح المنير"فأنا مشتاق وشيق" . والشيق بمعنى المشتاق كالقيم بمعنى المستقيم ، ومنه كتب قيمة بمعنى مستقيمة ، فليس معناها أنها"ذوات قيمة" ، وقال أبو زيد الطائي ، من قصيدة أنشدها عثمان بن عفان ، (رضي الله عنه) :

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا
أن الفؤاد إليهم شيِّق ولع

وقال أبو الطيب المتنبي :

ما لاح برق أو ترنم طائرٌ
إلا انثنيت ولي فؤاد شيق

فالفؤاد الشيق في البيتين هذين ، هو الفؤاد المشتاق ، وأما استعمال الشائق فدليله ما ورد في لسان العرب ، قال مؤلفه : "يقال : شاقني الشيء يشوقني فهو شائق ، وأنا مشوق ، وجاء في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : "وأنشأ فلان معنى شائقا" ، وقال العماد الأصفهاني في جريدة القصر وجريدة العصر «وهي أبيات شائقة وقال أبو الحسن الخزرجي ، في كتابه العسجد المسبوك في ترجمة القاسم بن أبي الحديد المدائني : "وأشعاره كثيرة رائقة ، ومعانيه بديعة شائقة" ، ويجوز فَسْر الشيق بالمشوق كفَسْر الصّين بالمصون وفسر الرّيض بالمرُوض .

قل : ضدٌّ وضداً وضدٍّ .

ولا تقل : «ضدَّ» دائماً .

قل : فلان يكافح الاستعمار ويحاربه .

ولا تقل : يكافح ضد الاستعمار ويحارب ضده .

ويستعملون "الضد" منصوبا دائما كأنه ظرف منصوب على الظرفية ، ويقولون ذلك اتباعا للفرنج كقول الإنكليز "أكينست" والفرنسيين "كونتر" والضد في العربية صفة حشرها التطور مع الأسماء وهي مشتقة من "ضادَّه يضاده مضادة وضداداً أي خالفه" ثم اشتق منه صفة أخرى انتقلت إلى الاسمية أيضا وهي "ضديد" وهاتان الصفتان المنتقلتان إلى الاسماء قياسيتان عندي من كل "فاعل يفاعل" بحسب الحاجة إليهما ، وعدم الالتباس في استعمالهما وثبوت الوصف فيهما : كالشبه والشبيه والمثل والمثيل والند والنديد وما لا يأتي عليه الاحصاء فكيف يكون الاسم المعرب كسائر الأسماء مقصورا على الظرفية منصوبا أبدا ؟ فالصواب إعرابه بأنواع الإعراب الثلاثة للأسماء وتثنيته وجمعه فيقال "هذا تلقيح ضدُّ الجدري" برفع ضد أي بضم الدال ، و"بدؤوا تلقيحا ضدَّ الجدري" بنصب ضد ، "وابتدؤوا بتلقيح ضدِّ الجدري" بجر الضد و"هذان تلقيحان ضدا المرضين" و"هذه تلقيحات أضداد الأمراض المتوطنة" .

وأقبح مما ذكرنا قولهم "فلان يحارب ضد الاستعمار" هو "يحارب مخالف الاستعمار" وأمثاله ، فينعكس المعنى عليهم ؛ وينطقون بضد ما يريدون ، لأن معنى "يحارب ضد الاستعمار" هو "يحارب مخالف الاستعمار" فهو مؤيد إذن للاستعمار ، فتأمل الجهل كيف يجعل الإنسان ينطق بخلاف ما يريد من المعاني لسوء الترجمة من اللغات الإفرنجية ؟ ويقولون "لفق ضده كذا كذا" أي اختلق وزور ، وهو تعبير فاسد منظور فيه إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية المقدم ذكرهما ، والصواب عند

العرب "لفّق عليه" مثل "زوّر عليه" واختلق عليه وولّد عليه ، فالصواب وضع"عليه"موضع"ضده"في هذا التعبير وأمثاله .

ونحن إنما ذكرنا مثالا فالنبيه يقيس على المثال فلا يقول"فلان يدافع ضد المتألبين عليه"لأنه بمعنى ينصرهم ويؤيدهم بل يقول"يدافع المتألبين" . ومن الوكلاء . أي المحامين عند أهل العصر من اقتبس التعبير الفرنسي ويقول "أنا أدافع فلانا في المحكمة" وهو يريد "أدافع عن فلان" والعبارة الأولى تفيد ضد ما يريد ، فإنه إذا دافع موكله فقد نصر خصمه عليه ، وأصل العبارة المختصرة الصحيحة : "دافع عن فلان"هو"دافع عن فلان خصمه"ولكون الخصم معلوما في هذه العبارة استغني عن ذكره كما يقال"حافظ عليه"وأصله"حافظ المعتدي عليه"أي غالبه في الحفظ .

قل : يرأس اللجنة والقوم ولا تقل : يرئسهم .

ويقولون : رأس فلان اللجنة أو القوم يرئسها ويرئسهم بكسر الهمزة ، أي صار رئيسها أو رئيسهم ، وإنما اقتدوا في ذلك بالضبط الوارد في المنجد ، تأليف الأب النصراني لويس معلوف اليسوعي ، والرجل لم يكن لغويا بل اختار كلم معجمه من محيط المحيط للبستاني وزينه بصور ، بله أن المنجد لا يعتمد عليه في ضبط الكلم وبخاصة الأفعال الثلاثية فأمرها عسير ، ولم أعلم أنى له كسر عين المضارع من الفعل"رأس" ؟ فالمسموع المدون والمقيس فيه فتحها ، أما المدون ، فقد جاء في مختار الصحاح"رأس فلان القوم يرأسهم بالفتح رئاسة فهو رئيسهم ويقال أيضا ريس بوزن قيّم" . وورد في المصباح المنير"ورأس الشخص يرأس ، مهموز بفتحتين رأسة : شرف قدره فهو رئيس والجمع رؤساء مثل شريف وشرفاء" . وفي لسان العرب"ورأس القوم يرأسهم بالفتح رآسة وهو رئيسهم ، إذا زاحم عليها وأرادها . وفي حديث القيامة : ألم أذكر ترأس وتربع ؟ رأس القوم : صار رئيسهم ومقدمهم" .

فالنصوص المسموعة المدونة مجمعة على أن عين مضارع الفعل"رأس" أي يرأس مفتوحة وأما القياس فهو فتح عين المضارع الثلاثي إذا كانت العين أو اللام من أحرف الحلق وهي الهاء والحاء والعين والغين والهمزة ، مثل نهج ينهج ونده ينده وقحل يقحل ومنح يمنح ، وفعل يفعل ونفع ينفع ، وشغل يشغل ودمغ يدمغ ،وسأل يسأل ودرأ يدرأ ، إلا ما نص اللغويون على خلافه ، والمكسور العين من غير المثال قليل أو نادر مثل رجع يرجع ونزع ينزع وخطأ يخطئ على إحدى لغتين ، ودمغ يدمغ على إحدى ثلاث لغات ، ومما ذكروا من الوارد بلغتين : فتح العين وضمها برأ يبرأ يبرؤ وجنح يجنح ورعدت السماء ترعد ورعف يرعف وسلخ يسلخ وشجب يشجب وصلح يصلح وفرغ يفرغ ومخض يمخض ومضغ يمضغ وهنأ الإبل يهنأها ويهنؤها وقيل ورد فيه أيضا الكسر وزأر الأسد يزأر ويزئر ، وشحج البلغ يشحج وشهق الرجل يشهق ورضع الطفل يرضع ونطح ينطح ومنح يمنح ونبح ينبح . وزادت لغة ثالثة نحت ينحت ونبغ ينبغ ونهق ينهق ورجح يرجح ونحل ينحل وسحاه يسحوه ويسحيه وشح يشح ولغى يلغى ويلغي ويلغو . ولم يكن"يرأس" من هذا النادر المنصوص عليه فالمنجد هو الذي أفشى هذا الغلط ، فينبغي للأديب أن لا يعتمد عليه عند الالتباس واختيار الصحيح من الضبط والتصريف .

قل : أمل فلان النجاحَ يأمُلهُ .

ولا تقل : أمِل النجاحَ يأمَله .

لأنه من باب"نصر ينصُرُ" فالشيء مأمول ومنه قول كعب بن زهير"والعفو عند رسول الله مأمول" وتقول أيضا أمّلت الشيء أؤمّله تأميلا بمعنى رجوت الحصول عليه وفيه ضرب من المبالغة وهو شدة توقان النفس إلى إدراكه والاحتواء عليه . فلا تقل أمِل يأمَل لأنه لم يرد في السماع ولا أجازه القياس .

قل : اسْتُشْهِدَ فلان في الحرب .

ولا تقل : استشهد فلان في الحرب .

أي قُتِل فيها شهيدا ورزُق فيها الشهادة ، فهو من الأفعال المبنية للمجهول ، كقولك"احتُضِر فلان" إذا حضره الموت ، واستلحم إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصا ، وارتُث فلان إذا حمل من المعركة رثيثا أي جريحا وبه رمق ، واستُهتِر بالشيء إذا أولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره ، واستُغرِق في الضحك إذا بالغ فيه ، واستُطير إذا ذُعر ورُعِبَ .

قل : خرج فلان عن القانون أو حاد عنه أو عدل عنه أونَكَب عنه نكوباً أو نكّب تنكيباً أو تنكّبه تنكّباً .

ولا تقل : خرج على القانون .

وذلك لأن الخروج يستلزم استعمال حرف المجاوزة والمجانبة والابتعاد وهو"عن" ، أما"على" فتستعمل في مثل"خرج فلان على الدولة" أي ثار عليها ، ووثب بأصحابها ، ومن ذلك اسم الخوارج ، وهم الذين خرجوا على الدولة الإسلامية ، في خلافة الإمام (ع) . ومن شواهد استعمالهم"خرج عنه" بمعنى حاد عنه ما جاء في كليلة ودمنة ، من أقوال ابن المقفع الكاتب البليغ المشهور ، كقوله : وما هو عليه من الخروج عن العدل" ، وما ورد في تجارب الأمم ، للفيلسوف المؤرخ الأديب مسكويه ، وهو قوله"تقدم الجيش البختياري . . زحفا بغير أمر ، وفارق المصافّ وخرج عن النظام" ، وجاء في العقد الفريد : "فطرب القوم حتى خرجوا عن عقولهم" .

ولا يقتصر الخطأ في قولهم"خرج فلان على القانون" على مخالفة التعبير الصحيح ، بل يفيد عكس المراد ، لأن معنى"خرج فلان على القانون" ، وهو سيره على حسب ما يوجبه القانون . قال الشريف

الرضي في الكلام على الحديث النبوي الشريف ، الخاص بالخيل ومنافعها"ظهورها حِرز وبطونها كنز" : "وهذا القول خارج على طريق المجاز" . يعني أنه سائر في طريق المجاز ، وظاهر على طريق المجاز وقال ابن جني في الخصائص ١ : ١٥٦ :"وإن ضيون إنما خرج على الصحة" فقل : خرج فلان عن القانون أو حاد عنه أوعدل عنه أو نكب عنه أو تنكّب عنه .

قل : كان الحاكم جبّاراً ذا حكم جبّاري .

ولا تقل : كان دكتاتوريا وكان حكمه دكتاتوريا .

وذلك لأن كلمة "جَبار" العربية تقابل كلمة "دكتاتور" في اللغات الإفرنجية ، قال تعالى في سورة هود"وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد" . وقال تعالى في سورة ق :"نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار" .

والدكتاتور هو الآمر الذي لا معقب لأمره وكذلك الجبار وبه وصف الله تعالى نفسه في قوله : "هو الله الذي لا إله هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبّر" . قال في لسان العرب"الجبار : الله عزّ اسمه ، القاهر خلقه على ما أراد من أمر ونهي . . قال الأزهري : جعل ابن الأنباري جبارا في صفة الله تعالى أو في صفة العباد من الإجبار وهو القهر والإكراه لا من جَبَرَ" ثم قال صاحب اللسان :" وقيل كل عات جبار وجبيّر ، وقلب جبار لا تدخله الرحمة ، وقلب جبار ذو كبر لا يقبل موعظة ورجل جبار : مسلط قاهر قال الله تعالى : وما أنت عليهم بجبار أي بمسلّط فتقهرهم على الإسلام والجبار الذي يقتل على الغضب والجبار القتّال في غير حق ، وفي التنزيل العزيز :" وإذا بطشتم جبارين ، وكذلك قول الرجل لموسى في التنزيل العزيز : أن تريد ألا تكون جبارا في الأرض أي قتّالا في غير حق ، وكله راجع إلى معنى التكبّر" انتهى المراد نقله من اللسان . فالجبار فيه

معنى الدكتاتور وأكثر منه والحكم الجباري فيه معنى الحكم الدكتاتوري وأكثر منه والجبّار والجبّاري أخف تلفظا وأقل أحرفا وأقصر لفظا من الدكتاتور والدكتاتوري .

والدكتاتور كلمة رومية أي لاتينية كانت تطلق على القضاة الحكام في روما في أحوال عصيبة أو خاصة ومرتبكة وكان لمجلس الأعيان الرومي قدرة على نزع الجمهورية من الشعب بإظهار دكتاتور وإسناد الحكم إليه وقتيا ، لا تزيد مدته على ستة أشهر ، يكون في أثنائها غير مسؤول عن تبعة أعماله وله أن يفعل كل ما يشاء مما يراه جالبا للمنفعة العامة ومن الدكتاتوريين المشهورين أي الجبارين المشاهير "سنسيناتس" الرومي في القرن الخامس قبل الميلاد وكاميل الرومي أيضا المتوفى سنة ٣٩٠ قبل الميلاد ، وقيصر الذي أخذ من اسمه اسم قياصرة الروم وهو جول قيصر المقتول بمؤامرة مجلس الشيوخ سنة٤٤ قبل الميلاد ، فكلمة دكتاتور ليست حديثة حتى يقال : لا يترجم الحديث بالقديم ولا الجديد بالعتيق .

قل : ثُكنة الجند والجيش .

ولا تقل : ثَكنة الجند والجِيش .

وذلك لأن العرب نطقت بها مضمومة التاء ساكنة الكاف ، قال الفيروزآبادي في القاموس :"الثكنة : بالضم القلادة . . ومركز الأجناد ومجتمعهم على لواء صاحبهم وإن لم يكن هناك لواء ولا علم جمعها(ثُكن) كصُرد" . وقال ابن مكرم الأنصاري في لسان العرب : "وثُكن الجند مراكزهم واحدتها ثُكنه (وهي) فارسية . . وقال الليث : الثُكن مراكز الأجناد على راياتهم ، ومجتمعهم على لواء صاحبهم ولمهم وإن لم يكن هناك علم ولا لواء وواحدتها ثُكنة"

وأصل الشكنة العلامة والراية والعلَم ومنها استعيرت لمركز الجند لاجتماعهم تحت الراية ، وقد أحسن الذي خص"الجيش" بالشُكنة ، وخصَّ الشرطة بالمركز للتمييز بينهما .

قل : جَدب المعاهدة والقول والرأي واستقبحها وذمَّها .

ولا تقل : شجبها .

ويقولون : شجب فلان المعاهدة الفلانية أو قول فلان أو رأي فلان أي عابها ، وليس ذلك بصواب ، قال ابن فارس في المقاييس :"الشين والجيم والباء كلمتان تدل إحداهما على تداخل ، والأخرى تدل على ذهاب وبطلان . الأولى قول العرب : تشاجب الأمر إذا اختلط ودخل بعضه في بعض ، قالوا : ومنه اشتقاق المشجب وهي خشبات متداخلة موثقة تنصب ، وتنشر عليها الثياب ، والشجوب أعمدة من عمد البيت . ويقال وهو ذلك المعنى إن الشجاب السِّداد ، يقال شجبه بشجاب أي شده ، وأما الأمر الآخر فالشجب وهو الهالك ، يقال : قد شجب وقال :

فـمن يكُ في قـتـله يُمـتـرى
فـإن أبا نـوفـل قـد شـجـب

وربما سمَّوا المحزون شِجبا ، ويقولون شجبه : إذا أحزنه ، وشجبه الله أي أهلكه الله ، وقال ابن السكيت : شجبه شجبا : إذا شغله ، وأصل الشِجب ما ذكرناه وكل ما بعده فمحمول عليه"ورد في لسان العرب"شجب بالفتح يشجُب بالضم شجوبا ، وشجِب بالكسر يشجب شجبا فهو شاجب وشجِب : حزن أوهلك ، وشجبه الله يشجبه أي أهلكه ، يتعدى ولا شجباً : حزنه وشجبه : شغله وفي الحديث : الناس

ثلاثة شاجب وغانم وسالم ، فالشاجب الذي يتكلم بالرديء وقيل الناطق بالخنا المعين على الظلم ، والغانم الذي يتكلم بالخير ينهي عن المنكر ويغنم ، والسالم الساكت ، وفي التهذيب : الشاجب الهالك الآثم ، قال : وشجب يشجب شجوبا إذا عطب وهلك في دين أو دنيا . . الأصمعي : يقال : إنك لتشجبني عن حاجتي أي تجذبني عنها ، يقال : هو يشجب اللجام أي يجذبه . . وشجب الشيء يشجب شجبا وشجوبا : ذهب . . "فجميع معاني هذه المادة لاتفيد معنى"العيب" والاستقباح فقولهم"شجب المعاهدة" لا يخرج عن أن يعني"سدها أو أحزنها أو أهلكها أو شغلها" فضلا عن أن الشاجب هو المتكلم بالكلام الرديء المعين على الظلم ، مع أن عيب الإنسان معاهدة قد يدل على إصلاح وإرشاد وإحقاق حق ، كما قد يدل على خطأ ، فهو بحسب مقاصد القائل ، وليس ذلك بالمراد ، وإنما المراد العيب وحده ولذلك وجب أن يقال : جدب المعاهدة يجدبها جدبا ، أو ما ذكرناه ، قال ابن فارس في المقاييس : الجيم والدال والباء أصل واحد يدل على قلة الشيء . . ومن قياسه الجدب وهو العيب والتنقص ، يقال : جدبته إذا عبته وفي الحديث : جدب لهم السمر بعد العشاء أي عابه ، قال ذو الرمة :

فيا لك من خدٍّ أسيل ومنطق
رخيم ومن خلق تعلل جادبه

أي إنه تعلل بالباطل لما لم يجد إلى الحق سبيلا" . وورد في لسان العرب" وجدب الشيء يجدبه جدبا : عابه وذمّه ، وفي الحديث : جدب لنا عمر السمر بعد عتمة أي عابه وذمه وكل عائب فهو جادب ، قال ذو الرمة : فيا لك من خد . . يقول : لا يجد فيه مقالا ولا يجد فيه عيبا به ، فيتعلل بالباطل وبالشيء يقوله وليس بعيب" .

وجاء في مجالس ثعلب١ : ٣٧١"الجدب : العيب ، قال : جدب لنا عمر السمر بعد الصلاة أي ذمه وعابه" .

وليت شعري أي صاحب ذوق فاسد دلّ المترجمين والكتّاب ورجال السياسة على "شجب" المتنافرة الأحرف العاجزة عن أداء المعنى المراد ، فتركوا "جدب" الفصيحة السهلة المنسجمة الأحرف ؟ ولو كان أحد النقاد اللغويين اختار "شجب" لقالوا ما أفسد ذوقه وما أقل طوقه ؟

قل : القانون الدُولي .

ولا تقل : القانون الدّولي .

لأنه منسوب إلى دول ويراد بنسبته الدلالة على اشتراك الدول فيه ، وذلك كقول العرب "شعوبي" للقائل بمقالة الشعوبية ، و"أُصولي" للعالم بالأصول ، و"إخباري للعالم بالأخبار كالمسعودي ، فهم لم يقولوا "رجل شعبي" بمعنى شعوبي ولا "أصلي" بمعنى أصولي ولا "خبري" بمعنى إخباري" ، فالنسبة إلى الجمع واجبة إذا أريدت الدلالة على الاشتراك الجمعي . أفلا ترى أن الأمير عبيد الله بن عبد الله الطاهري صاحب ابن المعتز سمى رسالة له "السياسة الملوكية" ولم يقل "الملكية" . وقال قبله شيخ الكتاب الفصحاء أبو عثمان الجاحظ في كتاب الحيوان "إن سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية" . وقال شيخ الإخباريين أبو الفرج الأصفهاني في وصف العباس بن الأحنف "كان ظاهر النعمة ملوكي المذهب" وأنت تقول "دراسة حقوقية" لا "حقية" . وسمى عثمان بن جني العلامة كتابه "التصريف الملوكي" وهو مطبوع ، فالدولي (بضم الدال أو كسرها وفتح الواو) يوازي "انترناشنال" في الإنكليزية و"انترناشيونال" في الفرنسية ، وأما "الدّولي" بسكون الواو فإنه يستعمل للتمييز عن "الشعبي" و"العرفي" و"قانون العشائر" و"الأهلي" وما إلى ذلك ، ثم إن العرب أجازت النسبة إلى الجمع إذا كان للحرفة والصنعة كالإبري والإمشاطي والمحاملي ، وإذا كان يوازنه في ظاهر اللفظ مفرد من المفاريد ، فالدّول يوازن "الصّرد" والعرب جعلت النسبة للتمييز واتخذت القواعد ذرائع وأسبابا لا غايات ولا نهايات وقد مر في المقدمة شيء من هذا .

قل : السكك الحديد .

ولا تقل : السكك الحديدية .

وذلك لأن السكك المذكورة مصنوعة كلها من الحديد ، ولم يضف إليه شيء آخر من الفلزات والمعدنيات ، وكان الناس يقولون" سافر فلان في قطار السكة الحديد" وكذلك كانوا يكتبون حتى ظهر مؤلف"تذكرة الكاتب" أسعد خليل داغر ، فدعا الناس إلى ترك هذه العبارة مع أنها صحيحة ، قال في تذكرة الكاتب - ص٤١ - "ويقولون : سافر فلان في السكة الحديد فكأنهم يضيفون السكة إلى الحديد أو يجعلون الحديد أو السكة الحديدية" انتهى قوله . وهذا القول من الأوهام ، لأن المقرر في كتب النحو أن الشيء إذا وصف بالجوهر أي المادة ، وكان جميعه من تلك المادة فيؤتى بالمادة بعينها من غير إضافة ، تقول : الخاتم الذهب ، لأنه كله من الذهب والكأس الفضة لأنها كلها من الفضة ، والسكة الحديد لأنها كلها من الحديد والكرسي الخشب إذا كان جميعه من الخشب .

أما إذا أضفت إلى ذهب الخاتم قليلا من الفضة أو غيرها مثلا فحينئذ تقول : "الخاتم الذهبي" للدلالة على أن أكثره ذهب . قال الخطيب البغدادي في أول تاريخ بغداد من تأليفه "عن أبي عثمان عن جرير يرفعه قال رسول الله(ص) : تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطر بل والصراة لأهلها أسرع هلاكا في الأرض من السكة الحديد في الأرض الرخوة" . فهذا الحديث الذي جاء فيه"السكة الحديد" وإن كان من الأحاديث العليلة التي اختلقت بعد تأسيس بغداد سنة١٤٥فهو قديم جرى على ألسنة الناس قبل أكثر من ألف سنة وهو يؤكد القاعدة التي ذكرتها آنفا من كتب النحو .

فقل : السكة الحديدُ والسكك الحديدُ ولا تقل : السكة الحديدية ولا السكك الحديدية ، ولزيادة البيان أقول إذا كان عندك مشوش أو منديل مصنوع من الحرير الخاص قل : المنديل الحرير ، وإذا كان مع الحرير قطن أو غير ذلك من مواد الغزل جاز لك أن تقول "المنديل

الحريري" فالنسبة إذن لا تفيد أن المنسوب هو من ذات المنسوب إليه بل تفيد أن له صلة به ومجانسة وما جرى مجرى ذلك ، أعني أن النسبة تفيد الجزئية لا الكلية .

قل : استُهتر فلان بالدنيا واستُهتر بالخمر ، واستُهتر الزاهد بعبادة الله ، واستُهتر غيره بالنساء ، فالأول مستهتر بالدنيا والثاني مستهتر بالخمر ، والثالث مستهتر بعبادة الله ، والرابع مستَهتر بالنساء ، ومعنى استُهتروا بها وبهن أنهم أولعوا بهن إيلاعا كثيرا وأحبوهن حبا جما تجاوز المعقول المقبول .

ولا تقل : استَهتر فلان ولا فلان مستهتِر .

لأنه من الأفعال المبنية للمجهول ، المجهول فاعلوها ، جاء في لسان العرب"في الحديث سبق المفردون . قال : والمفردون يجوز أن يكون عني بهم المنفردون المتخلون لذكر الله ، والمستهترون المولعون بالذكر والتسبيح" ، وجاء في حديث آخر : هم الذين استهتروا بذكر الله أي أولعوا به ، يقال : "استُهتر فلان بأمر كذا وكذا أي أولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره" وقال قبل ذلك : " وأما الاستهتار فهو الولوع بالشيء ، والإفراط فيه حتى كأنه - أي الإنسان المستهتر - اهتر أي خرف"ثم قال : "وفلان مُستهتر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قيل فيه" ثم قال : "واستُهتر فلان(بالشيء) فهو مستهتر إذا ذهب عقله فيه ، وانصرفت هممه إليه ، حتى أكثر القول فيه بالباطل" ، فاستعمال" واستُهتر ذو المجرور" للذم المطلق غير صحيح .

فإذا قيل"فلان مُستهتَر" فقط انصرف القول إلى الذم ، ففي كتاب"الفائق"للزمخشري"قال ابن عمر (رضي الله تعالى عنهما) : أعوذ بك أن أكون من المستهترين" قال الزمخشري : هم السُقاط الذين لا يبالون ما قيل لهم وما شُتموا به . يقال : استُهتر فلان إذا ذهب عقله بالشيء وانصرفت همته إليه حتى أكثر القول فيه وأولع به ، أراد (ابن عمر) المستهترين بالدنيا .

قل : الغاية تسوغ الواسطة تسويغا وتُبرِّرها إبرارا .

ولا تقل : تبرِّرها تبريرا .

قال ابن فارس في مقاييس اللغة : "الباء والراء في المضاعف أربعة أصول : الصدق وحكاية صوت وخلاف البحر ونبت ، فأما الصدق فقولهم : صدق فلان وبر ، وبرت يمينه : صدقت ، وأبرّها ، أمضاها على الصدق وتقول برَّ ، الله حجك وأبره وحجة مبرورة ، أي قبلت قبول العمل الصادق ، ومن ذلك قولهم : يبرّ ربه أي يعطيه ، وهو من الصدق ، قال :

لا همَّ لولا أن بكرا دونكا
يبرّك الناس ويفجرونكا

وقولهم للجواد السابق (المبرّ) هو من هذا ، لأنه إذا جرى صدق وإذا حمل صدق ، قال ابن الأعرابي : سألت أعرابيا هل تعرف الجواد المبر من البطيء المقرف ؟ قال : نعم . . وأصل الأبرار ما ذكرناه من القهر والغلبة ومرجعه الضر ، قال طرفة :

يكشفون الضرَّ عن ذي ضرهم
ويبرون على الآبي المُبِر

ومن هذا الباب قولهم : "يبرّ ذا قرابته ، وأصله الصدق في المحبة ، يقال : رجل بارّ وبرّ ، وبررت في يميني ، وأبرّ الرجل ، ولد أولادا أبرارا" وفي كل ما ذكر ابن فارس لم نر إلا"برّ" الثلاثي"أبرَّ إبرارا" الرباعي ، وفتشنا الصحاح للجوهري فلم نجد فيه"برّره تبريرا" وذكر الراغب الأصبهاني في غريب القرآن الفعل الثلاثي حسب وقوله تعالى : "لا ينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم" وقال"حج مبرور أي مقبول" . ولم يذكر الزمخشري في أساس البلاغة من الأفعال إلا الثلاثي والرباعي"أبر إبرارا"وكذلك فعل المطرزي في المغرب والفيومي في المصباح المنير والمبارك بن الأثير في

النهاية وابن مكرم الأنصاري في لسان العرب والفيروز آبادي في القاموس المحيط والطريحي في مجمع البحرين ، وأحمد فارس الشدياق في كتابه"سر الليال في القلب والإبدال"ص١٣٦ .

وأنا أجيز"برَّره يبرره تبريرا" لغير ذلك المعنى : أجيزه للبشر ، فنقل الفعل الثلاثي اللازم إلى الرباعي المضعف العين لإفادة نسبة المفعول إلى أصل معنى قياسي عندي ، تقول : بخّله أي نسبه إلى البخل وبدّعه أي نسبه إلى البدعة وبرّأه أي نسبه إلى البراءة وجرّمه أي نسبه إلى الجرم وجوّره أي نسبه إلى الجور وحمّقه أي نسبه إلى الحمق وخطّأه أي نسبه إلى الخطأ وخوّنه أي نسبه إلى الخيانة وخوّره أي نسبه إلى الخور وزكّاه أي نسبه إلى الزكاة وزنّاه أي نسبه إلى الزنا وسفّهه أي نسبه إلى السفاهة وصدّقه أي نسبه إلى الصدق وضلّله أي نسبه إلى الضلال وظلّمه أي نسبة إلى الظلم وعدّله أي نسبه إلى العدل وعقّله أي عده عاقلا وغلّطه أي نسبه إلى الغلط وفجّره أي نسبه إلى الفجور وقدّسه أي نسبه إلى القدس وكفّره أي نسبه إلى الكفر . فهذه واحد وعشرون فعلا من الضرب المذكور خطرت ببالي عند ذكري هذا الاشتقاق القياسي وليست العربية خلية من أفعال غيرها جاءت لهذا المعنى العام الخاص بالبشر ، فالصواب أن يقال : ابرَّ الشيء يبره إبراراً أو سوّغه يسوغه تسويغاً .

جاء في مختار الصحاح" وساغ له ما فعل أي جاز له ذلك وأنا سوغته أي جوزته" وفي المصباح المنير"ساغ يسوغ سوغا من باب قال : سهل مدخله في الحلق . . ومن هنا قيل : ساغ فعل الشيء بمعنى الإباحة ويتعدى بالتضعيف فيقال : سوغته أي أبحته" .

قل : أنا آسف عليه وأومن بالله .

ولا تقل : أأسف عليه وأؤمن به .

وذلك لأن العرب إذا توالت في لغتها همزتان هكذا وكانت الثانية ساكنة قلبت الثانية مدّة مجانسة لحركة الهمزة الأولى فتقول : "آسف

عليـه" لا أأسف عليـه ، وآجـر الدار ، لا أآجـر الدار ، وآمن بالله لا أأمن بالله ، وأنا آمن بالله ولا أؤمن بالله ، وأوخذ إلى الدار لا أؤخذ إلى الدار ، وأوجر الدار لا أؤجر الدار ، وما أحلى الإيمان لا الإئمـان ، وآتِ فلانا فقل له آسف ، لاانت فلانا وقل له أأسف . وإذا كانت الهمـزة وصلية ودخلت الكلمة في أثناء الكلام سقطت فبطلت القاعدة ، تقول : أطِعني وأتِ فلانا فقل له ، وتقول : كن وفيّاً وأسف على صديقك المخلص المتوفى .

قل : الهُويّة .

ولا تقل : الهَوية .

فالهُوية مأخوذة من "هُو" والهاء فيها مضمومة لا مفتوحة ، إنهم اشتقوا"الـهُوية"من "هو" كما اشتقوا"الماهية" من"ماهو" والكمية من"كم" والكيفية من "كيف" والمعية من "مع"والآنية من "إن"و الأنوية والأنانية من "أنا" .

قل : أزْمة سياسية .

ولا تقل : أزَمة ولا أزمَة .

فأما الأزمة فهي ساكنة الزاي في لغة العرب ولم يرد لها وجه آخر وإذاجمعتها جمع مؤنث سالما قلت "أزَمات" بفتح الزاي بعد أن كانت في المفرد ساكنة وذلك لأنها من الأسماء وليست من الصفات ، وكذلك أشباهها كالمصدر ، فكل اسم على وزن فعْله وكل مصدر على وزن "فَعْلة" مثل "أزْمة وتمرة وحمْلة وثرْوة" وليس كل منهما بمضعف مثل "بطّة" و"مدّة" ولا معتل العين مثل "ثورة" فيجمع على "فعلات" تقول "أزمات وتمرات وحملات وثروات" .

أما المضعف مثل "بطّة" و"مدّة" والمعتل العين فيبقيان على أحوالهما

تقول"بطات ومدات وثورات" . وأما الصفة على وزن"فعلة" فتبقى على حالها في الجمع تقول"حفلة ضخمة" و"حفلات ضخمات" فالحفلة أجريتها على سبيلها وفتحت الفاء لأنها اسم منقول من المصدر وأما"ضخمات" فقد أبقيت المفرد "ضخمة" على حاله ساكن الخاء وحذفت التاء ، وتقول على هذا القياس"حفلة فخمة وحفلات فخمات" وامرأة بَرْزة أي تحادث الرجال ونساء بَرْزات ، وسَفْرة سهلة وسَفَرات سَهلات ، وفتاة شهمة وفتيات شَهْمات .

قل : مَصير الأمة ومَصاير الأمم ، ومكايد السياسة ومكينة ومكاين ومصيدة ومصايد .

ولا تقل : مصائر الأمم ومكائد السياسة ولا مكائن ومصائد .

وذلك لأن الياء في المصير والمكيدة والمكينة والمصيدة : أصلية لا مجتلبة ، أي أنها من أصول أحرف الكلمة ، لا زائدة ، ولا مزيدة ، فالمصير مأخوذ من الفعل"صار يصير"وفيه الياء أصلية ، والمكيدة مشتقة من الفعل "كاد يكيد" والمكينة ياؤها أصلية لأنها أعجمية والمصيدة من صاد يصيد ومثلها المضيق من ضاق يضيق ، وياؤه أصلية فجمعه مضايق ومثله مشيخة فالياء الأصلية تبقى ياء في الجمع ، ولا تقلب همزة ، فيقال"مصير مصاير ، ومكيدة مكايد ، ومشيخة مشايخ ، ومسيل ومسايل ، وكذلك الأمر في الألف المنقلبة عن الواو ، نحو" المجاز والمدار ، والمعاد والمراض" فإنها تجمع على المجاوز ، والمداور ، والمعاود ، والمراوض ، بالمحافظة على الواوالأصلية التي قلبت في المفرد ألفاً ، فالمجاوز من جاز يجوز ، والمداور من دار يدور ، والمعاود من عاد يعود ، والمراوض من راض يروض ، ولم يشذ من كلمات الواو وهي ألوف ، إلا مصائب لأنها من أصاب يصيب ، والثلاثي صاب يصوب ، وإعلال الواو في الرباعي وإبدالها ياءاً ، هو الذي سهل أن يقال مصائب ، ومنهم من يقول أيضا مصاوب على القياس ، وإلا منائر جمع

المنارة ، ومنهم من يقول" المناور" على الأصل ، واختلفوا في المدائن ، والصحيح أنها مشتقة من الفعل من مدن بالمكان أي أقام به ، فالمدينة ياؤها على هذا القول زائدة ، والياء زائدة تقلب همزة كصحيفة ، وصحائف ، وكذلك الألف الزائدة تقلب همزة ، كصحيفة وصحائف ، وكذلك الألف الزائدة كحمالة وحمائل ، وكذلك الواو الزائدة كركوبة وركائب ، وعجوز وعجائز .

فقل إذن مصاير الأمم ومكايد السياسة ومشايخ العرب ومكاين الزراعة بالياء واترك الهمزة فإنه غلط .

قل : توغّل ووغَل في البلاد وتخّلل البلاد .

ولا تقل : تسلل فيها وإليها .

وذلك لأن التسلل هو خروج وتفصٍّ وتخلص من زحام أو غمار أو جمع ، وليس هو بدخول ولا وغول ولا اندساس ، فأقرب الكلمات معنى من المراد اليوم بالدخول سرا في البلاد من حدودها الخارجية هو التوغل والوغول والإيغال والتخلل ، فهذه كلمات أربع ، تؤدي المعنى المراد . يقال : وغل في الشيء يغل وغولا : أي دخل فيه وتوارى به وأوغل القوم أي أمعنوا في سيرهم داخلين في أرض العدو أو بين الجبال ، وتوغل في البلاد : دخِل فيها وأبعد ، وتخللَ القوم : دخل فيهم وبينهم وتخلل الشيءُ الشيء : نفذ فيه . ولو كان في معنى التسلل ما يفيد الدخول والتخلل والوغول . ولو مجازاً لصح التعبير به عن المعنى المقصود ، ولكن حركة التسلل معاكسة للدخول فهي خروج باستخفاء .

قل : الباب مفتوح ، وهو باب واحد .

ولا تقل : الباب مفتوحة ، والباب واحدة .

وذلك لأن"الباب" مذكر ، في اللغة العربية الفصيحة ، ولم يرد تأنيثه إلا في العصور الأخيرة ، في لغة أهل بغداد وما حولها ، أما أهل الموصل وعدة قبائل عربية عراقية فيذكرون الباب على الوجه الفصيح ، والباب مذكر في أقدم النصوص العربية المضرية المكتوبة ، قال تعالى : "فضرب بينهم بسور ، له باب باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب" على اعتبار أن الباطن من الباب . وقال تعالى : " وقال يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة" وقال عزّ من قائل : "ولو فتحنا عليهم بابا من السماء ، فظلوا فيه يعرجون . . . "وقال تعالى : "حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد ، إذا هم فيه مُبلسون" . ولم نجد تأنيث الباب ، في كتاب من كتب اللغة الخاصة ، فتأنيثه عامي لا يجوز الأخذ به ، ولا القياس عليه ، ولا الاستناد إليه .

قل : أجاب عن السؤال إجابة وهو جواب عن الكتاب .

ولا تقل : أجاب على السؤال إجابة وهذا جواب على الكتاب .

وذلك لأن المسموع عن العرب ، والمذكور في كتب العربية هو «أجاب عن السؤال» ، لا «أجاب عليه» ولأن معنى الفعل "أجاب" يستوجب استعمال "عن" ، لإفادة الإزاحة والكشف والإبانة والقطع والخرق ، ولا يصلح معه استعمال"على"التي هي للظرفية الاستعلائية ، قال ابن مكرم الأنصاري في لسان العرب : "الإجابة رجع الكلام تقول منه : أجابه عن سؤاله ، وقد أجاب إجابة ، وإجابا وجوابا وإجابةً" انتهى .

وإذا كانت الإجابة هي من الشق والخرق ، والقطع والإبانة ، وجب استعمال"عن" معها ، قال ابن مكرم الأنصاري في اللسان أيضا : "وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للأنصار يوم السقيفة : إنما جيبت العرب عنا ، كما جيبت الرحى عن قطبها ، أي خرقت العرب عنا ، فكنا وسطا ، وقال بعد ذلك : "وانجاب عنه الظلام انشق ، وانجابت الأرض انخرقت" انتهى .

وبهذا علمنا أن معنى "أجاب عنه" هو شقَّ عنه ، وأبان عنه وقطع عنه وخرق عنه ، أي شقَّ عنه الغموض ، أو الجهل أو الإبهام ، وأبانه عنه وقطعه عنه وخرقه عنه ، فكما لا يقال "شقَّ الإبهام عليه ولا أبان الإبهام عليه ، ولا خرق الإبهام عليه ، كذلك لا يقال : أجاب عليه ، بل أجاب عنه ، أي عن السؤال ، وإذا أريدت الظرفية فلا مانع من استعمال الحرفين معا ، يقال : أجاب المسؤول عن السؤال على ورقة ، كما يقال : تكلم المحامي عن موكله على القضية ، وذلك باستعمال حرفي الجر"عن" و"على" ولكلٍ منهما معناه وموضعه . وإن كانا في جملة واحدة . نضيف إلى ذلك أن"أجاب عليه" عند الفصحاء يفيد معنى"غطاه وغطى عليه" فتأمل ذلك وقل : أجاب عنه .

قل : غصَّ المكان بالزوار يغصُّ بهم غَصصا .

ولا تقل : غُصَّ المكان يُغصّ بهم .

لأن الفعل "غصَّ" من الأفعال اللازمة التي تحتاج إلى فاعل ولا تحتاج إلى مفعول به ، فلذلك لا يبنى للمجهول إلا مع الظرف أو الجار والمجرور والمصدر وهو من التعابير النادرة ، والفعل من باب "فرح" على اللغة المشهورة الفصيحة ، قال الجوهري في الصحاح : "الغَصص مصدر قولك غصصت يا رجل تغَصّ فأنت غاص بالطعام وغصان . . . والمنزل غاصّ بالقوم (أي هو) ممتلئ بهم" .

وأوضحه مؤلف مختار الصحاح أي مختار صحاح الجوهري قال : "والغَصَصُ بفتحتين مصدر قولك غَصِصتُ بالطعام أغصُّ فأنا غاصٌّ به وغصّان . . والمنزل غاصّ بالقوم : ممتلئ بهم" .

وجاءت فيه لغة أخرى غير فصيحة وهي"غِصَّ يغصّ" قال مؤلف لسان العرب : "والغصص مصدر قولك : غَصِصتَ يا رجل تغصّ فأنت غاصّ بالطعام وغصّان وغَصَصْتُ أغصُّ بها غَصاً وغصيصاً : شجيت ، وغصّ

بعضهم به الماء . يقال غصِصتُ بالماء أغصُّ غصصا إذا شرقت به أو وقف في حلقك فلم تكد تُسيغه . قال أبو عبيد : غَصَصْتُ لغة الرباب" . يعني أنها لغة قبيلة واحدة . ويؤيد اختصاصه بالشراب قول الشاعر :

وساغ لي الشراب وكنتُ قبلاً
أكاد أغصُّ بالماء الفرات

وإنما جاء على وزن فَعِل يفعُل لأنه من أفعال التغير الظاهر نحو عطِش يعطش فهو عَطِش وعطشان ، ووسِن يوسِن فهو وسِن ووسنان .

قل : هادنه على وفق شروط .

ولا تقل : هادنه وفق شروط .

وقولهم : "وفق شروط" خطأ والصواب عند فصحاء الأمة "على وفق شروط" أي على حسب شروط وبحسبها .

قال عمر ابن أبي ربيعة :

فما جئتنا إلا على وَفق موعد
على ملأ منا خرجنا له معا

وقال العماد الأصفهاني الكاتب البليغ المشهور : "وجاء على وفق الآمال اقتراحه ، وختم باليمن والإقبال رواحه[1]" .

وقال ابن المنير الإسكندري في الانتصاف : "فإذا أجيبوا على وفق مقترحهم فلم ينجع فيهم كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ في العناد

---

(١) الفتح القدسي (ص١٣٩) طبعة المطبعة الخيرية .

المناسب لعدم النظرة[1]" . وجاء في أخبار شعر الزنج الشاعر "فأومأنا إليه بالقيام على الوَفق الذي كان بيننا فوثب وهو يبكي[2]" وقال ابن الحاجب متأثرا بالفصحاء :"ويجوز أن يأتي قبل المخصوص أو بعده مميز أو حال على وفق مخصوصه[3]" . وجاء في أخبار الوزير كمال الملك السميرمي "قال أنو شروان : فشرع الوزير في المصادرات وسمى ديوانها ديوان المفردات ، قال عماد الدين : ولم يكن كما ذكر ، ولا على وفق ما أنكر[4]" . وجاء في المصباح المنير "وقد استعمل الفقهاء الشك في الحالين على وَفق اللغة نحو قولهم : من شك في الطلاق ومن شك في الصلاة" .

أما استعمال "الوَفق" بغير حرف جر فله موضع آخر ومعنى آخر ، يقال "كسب فلان وَفق عياله" . أي قدر كفايتهم لا فضل فيه ، و"هذا المقدار من المال وفق لكثرة حاجاتهم" . وقال سويد بن كراع العكلي :

وإن كان نارا فهي نار بملتقى
من الريح تشبيها وتصفقها صفقا
لأم علي أوقدتها طماعة
لأوبة سفر أن تكون لهم وفقا[5]

ويقع هذا الغلط في عبارات أخرى كقولهم "ألف هذا الكتاب وفقا لمنهج الوزارة و"حكم على المجرم فلان بكذا وكذا وفقا للمادة المذكورة" والصواب "على وفق منهج الوزارة وعلى وفق المادة" . ومصداق الصحة في استعمال "الوفق" المجرور بعلى هو أن يجيء بمعنى "على حسب كذا وبحسب كذا" ، واستعمال غير المجرور أن يأتي بمعنى "قَدْر ومقدار" .

(١) حاشية الكشاف ج١ ص٢٨٥ طبعة المطبعة البهية
(٢) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي "١ : ١٩٩" ، طبعة مطبعة السعادة .
(٣) شرح الكافية "١ : ٢٤٥" .
(٤) زبدة النصر "ص ١٢٠" طبعة مطبعة الموسوعات
(٥) في "عطانة" من معجم البلدان .

قل : كابد العدو خسارة كذا وكذا .

ولا تقل : تكبّد العدو الخسارة .

وذلك لأن"تكبّـد" على وزن "تفـعّل" وقـد ذكـرنا في الكلام على"تعـرّض" أن تاءه وتاء أمـثـاله تدل على رغبـة الفـاعل في الفـعل والمفعول به . والعدو لم يرغب في الخسـارة ، كما هو بديهي ، يضاف إلى ذلك أن "تكبّد" له عدة معان ، ليس فيها ما يقابل"كابد" أي قاسى وتحمل بمشقة أو ما يقاربه ، قال ابن فارس في المقاييس : "الكاف والباء والدال أصل صحيح يدل على شدة في شيء وقوة ، من ذلك الكَبَد وهي المشقة ، يقال : لقي فلان من هذا الأمر كبداً أي مشقة ، قال تعالى :

"لقد خلقنا الإنسـان في كَبَد . . " ومن الاستـعارة كبد السمـاء : وسطها . . . ويقال : تكبدت الشمسُ إذا صارت في كبد السماء . . وتكبّـد اللبن : غُلظ اللبن : غلظ وخـثـر" . وورد في لسـان العـرب" وتكبدت الشمس السماء : صارت في كبدها ، ويقال : تكبّدت الأمر قصدته ، ومنه قوله : يروم البلاد أيها يتكبّد . . وتكبّد الفلاة : إذا قصد وسطها ومعظمها . . وتكبّد اللبن وغيره من الشراء : غُلظ وخثُر" . فتكبّد الشيء المائع لا مطمع فيه لتوجيه الخطأ في قولهم "تكبّد خسـارة" لأنه مـشتق من الكبـد وبمعنى صـار مثل الكبـد ، وتكيّدت الشمس السماء وتكيّد فلان الفلاة والأمر"يدل على إرادة الفاعل لفعل ، كما ذكرنا . فلا وجه لاستعارة جديدة كأن يقال : :أراد العدو الدخول في وسط الخسـارة" فإنه لا يريدها بل يريد الفوز والفَلْج والظفر والغلبة والإخسـار ، فالصواب ما ذكرناه وهو"كـابد العدو الخسـارة قال ابن فارس : "وكابدت الأمر : قاسيته في مشقة" وورد في لسان العرب في تفسـير الآية المذكورة آنفا : " . . . وفي كَبَـدٍ يكابد أمـر الدنيا والآخرة ، قال أبو منصور : ومكابدة الأمر معاناة مشقته ، وكابدت الأمر إذا قاسيت شدته . . الليث : الرجل يكابدالليل إذا ركب هوله وصعوبته . ويقال : كابدت ظلمة هذه الليلة مكابدة شديدة . . وكابد

الامر مكابدة وكبادا : قاساه . . . قال العجاج :

وليلة من الليالي مرت
بكابد كابدتُها وجرتْ

أي طالت" . هذا معظم النصوص اللغوية المعجمية لاستعمال "كابد" ، ومن شواهد الواقع اللغوي لها ما ورد من كلام أيديكم إلى آخر الدهر ، أما إني قد أمرتكم فعصيتموني فمكثت (أكابد ما في نفسي) ورأيت في الليل[1] . . " وتأتي المكابدة للمقاومة عامة والمنازلة مع مقاساة مشقة ، فمن ذلك ما ورد في أبيات عُزيت إلى معاوية بن أبي سفيان في قوله :

أكابده والسيف بيني وبينه
ولست لأثواب الدنيء بلابس
وإني لأرجو خير ما نال نائل
وما أنا من ملك العراق بيائس[2]

وقال ابن الجوزي : " . . . عنه وهب بن منبه قال : إني وجدت فيما أنزل الله على أنبيائه أن الشيطان (لم يكابد) شيئا أشد عليه من مؤمن عاقل وأنه "يكابد" مائة جاهل فيستجرهم حتى يركب رقابهم فينقادون له حيث شاء "وكابد" المؤمن العاقل فيتعصب عليه حتى لا ينال منه شيئا من حاجته[3]" . وقال جحدر سجين الحجاج :

وتقدّمي لليث أرسفُ نحوه
حتى أكابده على الإحراج[4]

(١) شرح نهج البلاغة لابن "أبي الحديد" مج ١ ص٧٤ طبعة الحلبي الأولى" .
(٢) الكامل في الأدب "ج١ ص٢٢٩ طبعة الأزهرية"
(٣) كتاب الأذكياء "ص٤ طبعة المكتبة العلامية" .
(٤) المحاسن والأضداد "ص٧٩ طبعة مطبعة المعاهد بالقاهرة"

وجاء في أخبار قبيلة جديس قول عفيرة بنت الأسود الجدسي[1] لأخيها الأسود :"لا تفعل هذا فإن الغدر فيه ذلة وعار ولكن (كابدوا) القوم في ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما[2]" .

وبما نقلنا من نصوص واقع اللغة العربية في استعمال"كابد" يظهر للقارئ تقصير اللغويين القدامى في ذكر معاني هذا الفعل المجازية الاستعارية التي هي جناحا كل لغة محلقة في سماء الحضارة والجدارة بالازدهار والتقلب في جميل الأطوار ، وباب الاستعارة مفتوح في اللغة العربية على شرط أن تكون سائغة عذبة في أذواق العرب .

قل : أثّر فيه والتأثير فيه .

ولا تقل : أثر عليه والتأثير عليه .

ويقولون : أثّر عليه تأثيرا ، واستطاع التأثير عليه في الأشياء الحسية والأمور المعنوية ، غير أن استعماله في الأمور المعنوية هو الغالب اليوم ، وليس ذلك بصواب لأن معنى "أثّر" أحدث أثرا ، والأثر يكون في الشيء من جهة العمق لا من جهة العلو ، فهو في داخل الشيء لا خارجه ، مع أن"عليه" لا تفيد الوغول بل تفيد العلو ولا تستلزم الاندماج ، وهذه العبارة"أثرعليه" ترجمة من الجملة الفرنسية وهي "انفلوسي سور" فالفرنسيون يستعملون فيها"على" والمترجمون قلدوهم ، وقد يحتج محتج بأن حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض كثيرا ، وهو قول لم يعتمد على إدراك أسرار العربية بله إنه ليس بقياسي فما يُدّع ذلك فيه يبق على سماعه ولا يجوز القياس في غيره ، ولم يسمع من الفصحاء الذين دوّن كلامهم "أثر عليه" ولا"التأثير عليه" ، وأشهر ما يحتج به القائلون بالنيابة قوله تعالى "ولأصلبنكم في

(١) النسبة إلى جديس عندي «جدسي» كثقيف وثقفي وعتيك وعتكي ، لأنه علم مشهور .

(٢) مروج الذهب"ج ١ص٢١٧ طبعة المطبعة البهية المصرية" .

جذوع النخل" ، وحرف الجر فيه للظرفية الخالصة ، واستعماله "في" بدلا من "على" منظور فيه إلى أن الصلب في ذلك العصر هو سمر اليدين والرجلين في الخشب لا تعليق الجسد ، وهي الحال التي يصور فيها عيسى"ع" المعتقدون لصلب اليهود له ، وهي شائعة في التصاوير النصرانية الدينية ، فلذلك استعملت "في" في الآية الكريمة .

قال الجوهري في الصحاح : "التأثير : إبقاء الأثر في الشيء" فاستعماله "في" في شرحه دليل على لزومه له ، وقال في و س م"وسمه وسما وسمة إذا أثر فيه بسمةٍ وكي" . قال : أثر فيه ولم يقل "عليه" وورد في المصباح المنير"وأثرت فيه تأثيرا : جعلت فيه أثرا وعلامة فتأثر أي قبل وانفعل" وأورد صاحب اللسان قول زهير :

والمرء ما عاش ممدود له أمل
لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثرُ

قال : "وأصله من أثر مشيه في الأرض" وقال : "وأثربوجهه وبجبينه السجود وأثر فيه السيف والضربة" وورد في القاموس"وأثر فيه تأثيرا : ترك فيه أثرا" .

فهذه النصوص اللغوية مجمعة على استعمال حرف الجر"في" مع الفعل"اثر تأثيرا" وعلينا الآن أن نذكر الواقع اللغوي وهو الاستعمال ، وورد في حديث أبي بكر(رض) "فاجتنبوني لا أؤثرفي أشعاركم وأبشاركم[1]" . وجاء في نهج البلاغة"وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثّر فيه ما يؤثر في غيره[2]" .

وقال الأعشى في معلقته :

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي"ص٧١مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٩٦٤"وشرح نهج البلاغة"مج٤ص١٦٦ ، ١٦٧طبعة البابي الأولى بمصر" .

(٢) شرح نهج البلاغة"مج٣ص٢٠٦طبعة البابي الأولى"

أثرت في جـــأجيء كـــأران الـ . .
مـيت عـولين فـوق عـوج رسـال[1]

وقال أبو دلامة لروح بن حاتم المهلبي : "أما والله لو أن تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه[2]" . وقال أبو عبيدة : "وأي حرّة حصان تسمع قول بشار فلا يؤثر في قلبها ؟[3]" . وجاء في أخبار الخوارج "كان المغيرة ابن المهلب بن أبي صفرة الأزدي إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه نكس على قربوس السرج وحمل من تحتها فردّها بسيفه وأثر في أصحابها[4]" .وورد في وصف الأرض وسكانها قول المسعودي ناقلا قول عمر (رض) : " فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والأهوية في سكانها[5]" . وقول المسعودي نفسه : "والأخبار عن شكل الأرض وهيأتها وما قالته حكماء الأمم . . وتنازع الناس في كيفية ثباتها وتأثيرات الكواكب في سكانها . . ومجاري الأفلاك . . ووجوه تأثيراتها في عالم الكون والفساد[6]" .

وقال الشريف المرتضى : "خبر عن نفسه أن الشيطان يعتريه حتى يؤثر في الأشعار والأبشار ويأتي ما يستحق به التقويم" وقال : "لأنه لا يؤثر في أحوال فاعله وحط رتبته[7]" . وقال في موضع آخر : "وقد يكون الشيء في نفسه مطعونا عليه وإن لم يطعن عليه طاعن ، كما قد

(١) جمهرة أشعار العرب"ص١٢٩" .
(٢) الأغاني"١٠ : ٢٤٣طبعة دار الكتب المصرية" .
(٣) المرجع المذكور"٣ : ١٨٣" .
(٤) الكامل للمبرد"٣ : ١٩١" وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد"١ : ٢٨٨" .
(٥) مروج الذهب"١ : ٢٧٤طبعة المطبعة البهية" .
(٦) التنبيه والإشراف"ص٢طبعة مصر" .
(٧) شرح نهج البلاغة"مج ٤ ص١٦٦"

يكون بريئا من الطعن وإن طعن فيه بما لم يؤثر فيه[١]" . وقال الشريف الرضي :

دهر تؤثر في جـــسمي نوائبــه
فــمــا اهتــمــامي أن أودى بــســربالي

وقال ابن أبي الحديد : "ولهذا متى توالت منه الأفعال القبيحة الظاهرة وتكررت قدحت في حاله وأثرت في ولايته" وقال بعد ذلك : "وإن لم يكن مقطوعا يؤثرفي هذا الباب ويكون أقوى مما تقدم . [٢]" . فهذه شواهد من قديم اللغة ومولد تعابيرها ، للتأثير الحسي والتأثير المعنوي ، تفيد أن حرف الجر الذي يصاحب الفعل "أثّر" بتشديد الثاء هو "في لا غير" ، ولم أجد استعمال "أثر عليه" على كثرة مطالعتي لكتب الأدب والتاريخ إلا في شعر الأعسر بن مهارش الكلابي وكان معاصرا لسيف الدولة الحمداني ، وذلك في قوله :

فـــخلت البكا من رقـــة الخـــدّ أنه
يؤثر من حـدر على صـفـحـة الخـد[٣]

وقد اضطرته ضرورة الوزن أن يضع "على" موضع "في" ويجوز للشاعر ما لا يجوز للناثر كما هو متعالم .

وجاء في خبر البزاز الذي تزوج جارية السيدة شغب أم الخليفة المقتدر بالله قوله"فلما جاء الليل أثر فيّ الجوع[٤]" .

وفي كتاب آخر"فلما جاء الليل أثر الجوع بي[٥]" ولعله تصحيف مع

---

(١) أمالي المرتضى"ج١ ص٢٨٨"الطبعة الأولى" .
(٢) شرح نهج البلاغة"مج١ ص٢٢٢ـ ٢٢٣" .
(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم الحلبي"نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٨ و١٧١" .
(٤) المنتظم"٦ : ٢٥٩" .
(٥) الفرج بعد الشدة"٢ : ١٧١" .

قريبه من الفصيح . ثم إن الذي جعل هذا الغلط يشيع ويذيع هو استعمال المثقفين له في أثناء كلامهم وأحاديثهم فضلا عن الكتابة .

قل : المُترفون والأتراف .

ولا تقل : الأرستقراطيون والأرستقراطية .

وذلك لأن "الأتراف"هو أشبه الكلمات العربية بالكلمة اليونانية الطويلة الثقيلة"أرستقراطية" جاء في الصحاح أترفته النعمة : أطغته" . ومن المعلوم أن مصدر "أترفه"هو الاتراف ومصدر أطغته هو"الاطغاء" ، وجاء في لسان العرب"وفي الحديث : أوه لفراخ محمد بن خليفة يستخلف ، عتريف مترف ، (قال) المترف : المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها ، وفي الحديث (أيضا) أن إبراهيم (ع) فر به من جبار مترف (قال) ورجل مُتْرَف ومتْرف أي موسع عليه وترّف الرجل وأترفه : دَلّله وملّكه وقوله تعالى : إلا قال مترفوها أي أولو الترفة ، وأراد رؤساءها وقادة الشر منها . . والمترف : الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش وأترفته النعمة أي أطغته" . انتهى النقل من لسان العرب . وتمام الحديث الخاص بإبراهيم"يقتل خَلَفي وخَلَف الخَلَف" .

فأنت ترى أن الحديث جمع المترف مع الجبار تارةً ومع العِتريف تارة أخرى والعِتريف هو الغاشم الظالم والخبيث الفاجر الذي لا يبالي ما صنع وفسّر الأتراف بالتدليل والتمليك وما في القرآن الكريم من ذكر"المترفين" يؤيد رأيي في أن الارستقراطي هو "المترف" بالعربية ، قال تعالى : "وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سَموم وحَميم ، وظِل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مُترفين وكانوا يصرون على الحِنث العظيم" . وقال تعالى : "وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا

وأولادا وما نحن بمعذَّبين"وقال عزَّ من قائلٍ : "وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير على آثارهم مقتدون" . وقال تعالى : "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القول فدمَّرناها تدميرا" وقال : "حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون" . إلى أن قال : "فكنتم على أعقابكم تنكُصون مستكبرين به سامرا تهجرون" .

والأرستقراطية كلمة يونانية مركبة من لفظين هما "ارِستوي" أي العظماء و"كراتوس" أي السلطان ، فمعناها"سلطان العظماء" و"سلطة الكبراء"و"قدرة العظماء"و "حكم الكبراء" هذا هو أصلها ثم استعملت لحكم العظماء أو الأغنياء أو طبقة متميزة تكتسب بالنسب أو الغنى أو الأهلية ، فقل : مترفون وإتراف ، ولا تقل : أرستقراطيون وأرستقراطية .

قل : احتفل أهل العراق عربُهم وأكرادُهم وتركمانُهم .

ولا تقل : عرباً وأكرادا وتركمانا .

لأن "عربا" في قولهم عربا وأكرادا . .حال ، والعرب جيل من الأجيال الكبيرة الشهيرة ، والحال من اسم الجيل لا تجوز وإنما الحال لمتبدل الأحوال ، فإن عددت العرب حالا ها هنا جاز أن يكونوا هم أنفسهم"غير عرب" في موضع آخر كما تقول : "جاء فلان راكبا فرسا" فإنه يجوز أن يكون في موضع آخر ووقت آخر"جالسا أو نائما أو ماشيا" فهذه صفة الحال ، فالصواب إعراب هذه الأسماء وأمثالها على البدلية تقول : "احتفل أهل العراق عربهم وأكرادهم وتركمانهم" . ولا يجوز أن تقول"عربا وأكرادا وتركمانا" لأن العرب لا يتبدلون بغير العرب والأكراد لا يصيرون قوما آخرين والتركمان لا ينقلبون عربا ولا أكرادا ولا غيرهم ، وهذا واضح لكل ذي عقل سليم .

قل : فلان مُفترض

ولا تقل : مُغرِض .

لننظر ما معنى المغرض عند فصحاء العرب ؟ جاء في لسان العرب"وأغرضت البعير : شددت عليه الغرْض . يعني حزام الراحل . . . وغَرّض الحوض والسقاء يغرضهما غرضا : ملأهما . قال ابن سيده : وأرى اللحياني حكى أغرضه . . والغَرّض : الضجر والملال . . وغرِض منه غَرضا فهو غرِض . . وقد غرض بالمقام يغرض غرضا وأغرضه غيره . . وأغرضت للقوم غريضا : عجنت لهم عجينا ابتكرته ولم أطعمهم بائتنا .

فالمغرض هو شاد الغَرْض أي حزام الراحل ، أوالمالئ أو المضجرأو العاجن ، وكل هذه المعاني بعيدة عن"اتخاذ الغرض" أي الهدف ، وجاء في لسان العرب"واغترض الشيء : جعله غَرَضه"أي هدفه والغَرَض أيضا الحاجة والبغية ، ومما يستغرب شيوع"المغرض" مع أنها لم تقض الغرض ، والعزوف عن المفترض الذي هو الكلمة الصحيحة الفصيحة .

قل : هذا مستشفى جديد .

ولا تقل : هذه مستشفى جديدة .

وذلك لأن المستشفى ، اسم مكان مذكر ، ومشتق من الفعل"استشفى يستشفي استشفاءاً ، أي طلب الشفاء ؛ واسم المكان من الفعل غير الثلاثي يكون على وزن اسم المفعول ، مستعملا كان كمستعطى ، أو غير مستعمل كمستلقى ، وهو مذكر دائما ، ولا يقبل تاء التأنيث مع بقائه اسم مكان ، فلا يقال"مستشفاة" ، لمكان طلب الشفاء ، فهو بخلاف الثلاثي الأصل ، فإنه يقبل تاء التأنيث سماعا ، نقول "محطّ ومحطة" ومنزل ومنزلة ، ومقام ومقامة ، ومكان ومكانة ، ومحل ومحلة ، ومزل ومزلة ، وموقع وموقعة ، ومرحل ومرحلة ، ومما يصعب استقصاؤه .

والظاهر أن الذي ابتدع تأنيث المستشفى ، قاسه على"الخستخانة" الفارسية المترّكة ، أي المستعملة في لغة الترك ، فالخستخانة مؤنثة ، فجعل المستشفى مؤنثا قياسا عليها وهذا غلط ، فالمستشفى مذكر كما قلت ، ولا يجوز تأنيثه بحال من الأحوال ، فقل : هذا مستشفى جديد ولا تقل جديدة .

قل : المصْرِف

ولا تقل : المصْرَف .

فالمصرِف اسم مكان من"صرفت الذهب بالدراهم أصرفه بكسر الياء صرفا ، أي بعته بها"وكأن الصرف مأخوذ من الصريف وهي الفضة ، واسم المكان من"صرف يصرف"هو المصرِف كالمجلِس والمنزِل ، ولا يجوز أن يقال المصرَف"بفتح الراء" لأنه غلط بكونه مخالفا للقياس وغير مسموع ولا مدون ثم إن العرب بطبيعة لسانها تميل إلى كسر العين من اسم المكان وإن خالف القياس فمن ذلك المسجِد والمطلِع والمغرِب والمشرق والمسكن والمرفق والمنبت والمنسك والمسقط كمسقط الرأس بكسر الثالث ، فإن عين المضارع من أفعالها مضمومة وقد اختار بعض المعاصرين لنا"المصرف"للبنك الإنكليزي والبنك الفرنسي ، ولا نرى بأسا في ذلك[1] لأن التسمية كالرمز والإشارة فلا تستوجب الإحاطة والاستيعاب كما يريد البعيدون عن فقه أسرار اللغات . ومثل المصرف من أسماء المكان"المعرِض والمحفِل" فلا يجوز فتح الراء والفاء منهما .

---

(١) واستعملها بعض القدماء لموضع صرف المياه قال المسعودي في مروج الذهب"فأجمع القوم رأيهم على عمل مصارف إلى براري تقذف بالماء إلى البحر وأخبروا الملك أن الماء إذا حفرت المصارف الهابطة طلبها ، . فحفر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف .

قل : فلانة عضوة

ولا تقل : عضو .

والسبب في ذلك أن "العضو" نقل من الاسمية إلى الوصفية ، كما قيل في الشلو وهو العضو "شلوة" وفي الثبج وهو الوسط "ثبجة" ، قال النبي (ص) لأبيّ بن كعب وقد أعطاه الطفيل ابن عمرو الدوي قوسا جزاءاً على إقرائه القرآن "تقلدها شلوة من جهنم" . قال الشريف الرضي في المجازات النبوية "وإنما قال شلوة ولم يقل شلواً لأنه حمل على معنى القوس وهي مؤنثة ، والشلو : العضو" . وجاء في كتاب النبي (ص) لوائل بن حجر الحضرمي "وأعطوا الثبجة" . قال مجد الدين بن الأثير في النهاية "أي أعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته ، وألحقها هاء التأنيث لانتقالها من الاسمية إلى الوصفية" .

ثم أتى العرب يتساهلون في التأنيث ، قال الجوهري في الصحاح "الكوكب : النجم يقال كوكب وكوكبة كما قالوا بياض وبياضة وعجوز وعجوزة" . ثم ذكر أنهم قالوا منزل ومنزلة ، وعلى هذا يجب أن يقال للممثلة البارعة أي الحاكية الماهرة "كوكبة" لا كوكب .

قل : متخصّص بالعلم

ولا تقل : أخصائيّ به .

ذلك أن "الاخصائي"[1] على وزن الاعدامي إنما هو منسوب إلى "الاخصاء" على وزن الأعدام ، والاخصاء مشتق من "الخصي" أي المخصي ، قال جار الله الزمخشري في "ربيع الأبرار" وهو كتاب مشهور : "إن من لا يعلم إلا فناً واحدا من العلم ينبغي أن يسمى خصي العلماء" .

---

(١) ومن الناس من يقول "أخصائي" على وزن "أعيائي" كأنه جمع خصيص ، وليس ذلك بصواب في التلفظ ، فيكون به الغلط مضاعفا .

والسبب في ذلك أن الوقوف على علم واحد عند القدماء كان عجزا وعيباً ، من لفظ"الخصي" المذكور أخذوا الفعل"أخصى يخصي" والمصدر "الاخصاء" . فمعنى أخصى فلان هو"صارخصيا في العمل" مثل أثرى أي صار ثريا وأفصح بمعنى أصبح فصيحا . قال مؤلف القاموس"واخصى : تعلم علما واحدا" . وفي قوله إشارة إلى أنه لم يتقن العلم الواحد ، ولو كان فيه دلالة على الإتقان لقال "تعلم علماً واحداً وأتقنه وبرع فيه ومهر فيه وتبحّر فيه" وما إلى ذلك ، فالاخصاء أقرب إلى الذم من التصريح به ، ثم إن قباحة اللفظ تدل على قبح معناه ، وقد أحسن بذلك من اختاره لتأدية معنى "سبيسيا ليست" الفرنسية ، فاجتنب اسم فاعله القبيح وهو"المخصي"على وزن المثري وأخذ مصدره"الاخصاء" ونسب إليه ليغطي على عواره ويستر من شينه ، مع أن العرب تقدم اسم الفاعل والصفة المشبهة على غيرهما في مثل هذا المعنى ، لذلك قالت "الرازق والمفسد والمستقصي" ولم تقل "الرزقي والإفسادي والاستقصائي" وقالت الشريف ولم تقل الشرفي لتأدية معناه . فأنت ترى أن"الاخصائي"اسم قبيح في المعنى وغلط في الوضع[1] .

قل : مكان وطيء وخفيض أي منخفض .

ولا تقل : مكان واطئ .

لأن الوطيء هو السهل والمنخفض قال ابن مكرم الأنصاري : "الوطيء السهل من الناس والدواب والأماكن ، وقد وطُؤ الموضع بالضم يوطؤ وطاءة ووطوءة ووطئة : صار وطيئا . . والوطاء ما انخفض من الأرض بين النشاز والأشراف والميطاء كذلك . . . ويقال : هذه أرض مستوية لا رباء فيها ولا وطاء أي لا صعود فيها ولا انخفاض" . انتهى

(١) من أدلتنا على صحة المتخصص قول القفطي في ترجمة ابن عبد الأعلى المنجم المصري "وعلي هذا من المتخصصين بعلم النجوم وله مع هذا أدب وشعر" .

المراد نقله من لسان العرب . أما الواطئ فهو اسم فاعل من"وطئ الشيء يطؤه وطأ" أي داسه ، قال الشاعر :

ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم

فالواطئ هو العالي بالنسبة إلى الموطئ ، فاستعمال الواطئ يدل على عكس المراد فقل : مكان وطيء .

قل : نذيع بينكم وفيكم

ولا تقل : نذيع عليكم .

ويقولون"نذيع عليكم" بمعنى"نذيع بينكم وفيكم" وذلك خطأ ، لأن"على"في العربية تفيد الاستعلاء والتسلط والأذى في الأعم الأغلب ، فمعنى "تُذيع عليكم" هو ننشر أخبارا سيئة وأوصافا قبيحة لكم أو ما تكرهون نشره من أحوالكم ، كما يقال "قال عليهم وتقوّل عليهم ونشر عليهم ونادى عليهم ورفع عليهم ، قال الجوهري في الصحاح : "ذاع الخبر يذيع ذيعا وذيوعة وذيعانا أي انتشر ، وأذاعه أي أفشاه ، والمذياع الذي لا يكتم السر" . وورد في أساس البلاغة للزمخشري : "ذاع سرُه ذيوعا ، وأذاع الخبر والسرَّ وأذاع به ، وهو مُذيع مذياع" . وفي المصباح المنير "ذاع الحديث ذيعاً وذيوعاً : انتشر وظهر ، وأذعته : أظهرته" . وفي القاموس"ذاع الخبر يذيع ذيعاً وذيوعاً وذيوعة وذيعانا"محركة" : انتشر ، وأذاع سره وبه : أفشاه وأظهره أو نادى به في الناس" ، وفي لسان العرب"الذَّيْعُ : أن يشيع الأمر ، يقال : أذعناه فذاع . وأذعت الأمر وأذعت به ، وأذعت السر إذاعة : إذا أفشيته وأظهرته ، ذاع الشيء والخبر . . وأذاعه وأذاع به أي أفشاه ، وأذاع بالشيء . . وفي التنزيل وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، قال أبو إسحاق : يعني بهذا جماعة من المنافقين وضَعفة من

المسلمين ، ومعنى أذاعوا به أي أظهروه ونادوا به في الناس وأنشد :

أذاع بـه في الـنـاس حـــــتى كـــــأنـه
بعليـــــاء نـار أوقـــدت بثــــقـــوب

فهذه معظم النصوص اللغوية للفعل "أذاع" ومصدره "الإذاعة" ولم يذكر اللغويون حرفها ولا الظرف المتمم لجملها ، سوى ما ورد في بيت الشعر ، فمن البديهي أن يكون الحرف "في" والظرف "بين" ويجوز "عند" إذا اقتضاه المعنى كما يقال "نشر فيهم وبينهم" .

أما "أذاع عليه" فكما ذكرنا في أول التنبيه يفيد النشر السيء والوصف القبيح ونشر ما يكره نشره ، جاء في مادة ر ف ع من أساس البلاغة"ورفع فلان على العامل : أذاع عليه خبره" . يعني نشر بين الناس اختيانه أو احتجانه . ومع هذا فأنا على عادتي لا أترك ما أحتج له أو ما أنبه عليه خلوا من شواهد الواقع اللغوي أي الاستعمال لكي يطمئن القارئ ويجد فائدة زائدة على ما ذكر اللغويون فإن نصوصهم في متناول المتناول . جاء في أخبار نُصيب قول قائلة :"فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له : شهرتني و(أذعت في الناس) ذكري . فإذا هو نصيب وزوجته[1] وقال أبو الأسود الدؤلي في بعض الرجال وقد ذكرناه آنفا في النصوص اللغوية ولم يذكروا قائله ليقوّلوا ناقله :

أذاع بـه في الـنـاس حـــــتى كـــــأنـه
بعليـــــاء نار أوقـــدت بثــــقـــوب[2]

أما"أذاع عليه أو عليهم" فيفيد النشر السيء أو الوصف القبيح أو نشر ما يكره نشره أو يكرهونه ، جاء في أخبار ديك الجن عبد السلام ابن رغبان الشاعر"وحمل ابن عمه بغضه إياه بعد مودته وإشفاقه عليه ،

(١) الأغاني"٦ : ١٢٢" طبعة دار الكتب المصرية" .
(٢) الأغاني"ج٢ ص٢٠٥ من الطبعة المذكورة" .

بسبب هجائه له على أن (أذاع على تلك المرأة) التي تزوجها عبد السلام أنها تهوى غلاما له[1]" . وقال عمرو بن مسعدة الأديب الكاتب للمأمون : "وإنما كنت غبيا لو(أذعت سرا على السلطان) فيه ندم أو نقض تدبير[2] .

وقال موسى بن علقمة المكي في قصة فتى من النُساك مغرمٍ بجارية أشد الغرام وهائم بحبها أشد الهيام : "فدخلت عليه يوما ، ولم أزل به ألح عليه إلى أن حدثني بحديثه وما يقاسيه وسأل"أن لا أذيع عليه ذلك ولا يسمع به أحد ، فرحمته لما يقاسي وما صار إليه[3]" . وقدمنا قول الزمخشري في مادة ر ف ع من أساس البلاغ"ورفع فلان على العامل" .

ولقائل أن يقول : إن باب الاستعارة مفتوح في العربية وباب التضمين غير مغلق أفلا يجوز أن يستعمل"أذاع عليه وعليهم"بمعنى قرأ عليه وعليهم ؟ قلنا لو لم يستعمله الفصحاء بذلك المعنى الذي ذكرناه ، ولو لم يذع على النحو الذي ذكرنا شواهده لجاز ذلك ، فلماذا لا يقال"نقرأ عليه وعليكم" ولماذا هذا العبث بأسلوب العرب الفصيح في خطابهم وكتابهم ؟ فالصواب : نذيع فيكم وبينكم .

قل : هذا بدل المشاركة في الجريدة أو المجلة

ولا تقل : هذا بدل الاشتراك .

وذلك لأنك تقول "شاركت في الجريدة أو المجلة ، أشارك شراكا ومشاركة" ، ولا يصح البتة أن تقول "اشتركت في المجلة أوالجريدة" ، لأن "اشترك" يدل على التشارك . اعني أن "افتعل" هاهنا بمعنى "تفاعل"

---

(١) الأغاني"ج١٤ ص٥٥ من الطبعة المذكورة" .

(٢) أعتاب الكتاب لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار"ص١١٢ طبعة دمشق" .

(٣) مصارع العشاق للسراج القارئ ص٢٢٨ طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة .

الاشتراكي ، ولا يصح أن يكون من جهة واحدة ، بل يكون من جهتين فاعلتين أو أكثر منهما ، ألا ترى أنه لا يجوز لك أن تقول "اعتونتُ" وتكتفي ، ولا "اقتتلتُ" وتسكت ، ولا "ائتمرتُ" وتدّعي الإفادة . فلا بد لك من أن تقول "اعتونت أنا وفلان" أي تعاونتما ، واقتتلت أنا وعدو الوطن أي تقاتلتما ، و "ائتمرت أنا وفلان بالخائن" أي تآمرتما به ، فكذلك "اشتركت أنا والقوم في المجلة" . فإذا لم يكن معك واحد معلوم رجعت إلى "المفاعلة" ، فقلت : شاركتُ في المجلة ، كما تقول : عاونت وقاتلتُ وآمرتُ ، ويؤيد ذلك أن الفصحاء ، منذ وُجدت العربية إلى اليوم ، لم يقل أحد منهم "فلان متشارك ولامشترك" . بل قالوا : هو "شريك ومشارك" ولا قال أحد "هو متعاون بل معاون " ولا قال أحد "هو متقاتل" بل قالوا "مُقاتل" إلا "المتآمر" فإن من الذين لا يعلمون من العربية شيئا جليلا قالوا "فلان متآمر" ، والصواب "مؤامر" كمشارك ومقاتل ومحاسب والمباري والمسابق وقد تكلمنا عليه في موضعه .

قل : الانتكاس أو الانتكاس النوعي

ولا تقل : الشذوذ الجنسي ولا الانحراف الجنسي

وقل : فلان منتكس

ولا تقل : فلان شاذ جنسياً ولا منحرف جنسياً

ويقولون للرجل والشاب اللذين يأتيان ما يخالف طبيعتهما البضاعية ، وللمرأة والشابة المخالفتين لطبيعتهما البضاعية : شاذان وشاذتان جنسيا أو منحرفان ومنحرفتان جنسيا . ويسمون تلك الصفة من لواط وسحاق "الشذوذ الجنسي والانحراف الجنسي" وهذه الصفة وهذه التسمية من أسواء الترجمة الفاسدة من اللغات الأعجمية كالفرنسية والإنكليزية ، فالجنس عندهم ترجمة"سيكس" الفرنسية وهي لتمييز الاناث من الذكور ، فأول ما فيها من الخطأ القبيح إطلاقهم

"الجنس" على "النوع" فالبشر جنس وهو الجنس البشري ، والذكورة منه نوع والأنوثة منه نوع ، والجنس أعم من النوع والنوع أخص من الجنس ، جاء في المصباح المنير"الجنس : الضرب من كل شيء ، والجمع أجناس وهو أعم من النوع ، فالحيوان جنس والإنسان نوع" ثم قال : "النوع من الشيء : الصنف . . . قال الغاني : النوع أخص من الجنس ، وقيل هو الضرب من الشيء كالثياب والثمار حتى في الكلام" . وورد في لسان العرب"الجنس : الضرب من كل شيء وهو من الناس والطير . . والإبل جنس من البهائم والعجم . . . والبقر جنس والشاة جنس . . والجنس أعم من النوع ومنه المجانسة والتجنيس ، ويقال : هذا يجانس هذا أي يشاكله ، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس ، إذا لم يكن له تمييز ولا عقل" .

فقول صاحب المصباح المنير : "فالحيوان جنس والإنسان نوع" يستوجب أن يكون"الإنسان جنسا والذكر والأنثى نوعين له" على حسب تدرج العموم والخصوص ، فقولهم"الجنس اللطيف[(١)] لإناث الإنسان و"الجنس الخشن" لذكور الإنسان غلط مبين درج عليه المؤلفون والكتاب على سبيل التقليد والاقتداء ، والصواب "النوع اللطيف والنوع الخشن" .

وبما قدمنا يظهر الغلط من استعمال "الجنس" في قولهم "الشذوذ الجنسي" و"الانحراف الجنسي" لأن البشر جميعهم "جنس" بحسب التدرج الذي ذكرناه آنفا ، فكان عليهم أن يقولوا "الشذوذ النوعي والانحراف النوعي" على أن في واقع اللغة العربية ما يغني عن هذا الاستعمال الذي هو غلط على شطط ، وهو"الانتكاس"قال الأديب المؤلف الإخباري أبو هفان عبد الله بن أحمد : "حدثني سليمان بن أبي سهل قال : سألت أبا نواس أن يجعل شربه عندي أياما متتابعة ضنانة

(١) في اللغة الفرنسية"لوبوسيكس" أي النوع الجميل وما أدري لماذا ترجموا الجميل باللطيف ؟ فلكل ساقطة لاقط ، وما ليس بجميل في عينيك ورأيك جميل عند غيرك وكذلك النساء .

ومنافسة على ما كان يفوتني منه . فأجابني إلى ذلك ، فأعددت له ما احتجت إليه من سماع وغيره وبدأنا في الشرب ، فلما كان آخر الليل جعل يشكو وجده بجارية قد فتنته ويصف أنه ما يهنؤه لذة ولا يسوغ له في شراب ولا يصفو له عيش بسببها . فقلت : ويحك(قد انتكست) وصرت تتعشق النساء أيضا .

قال : هو والله لك[1] . . . . " .

فقوله لأبي نواس "قد انتكست" أراد به "قد شذذت أو انحرفت عن النوع البشري الذي تريده" وإن كان هذا الانحراف أو الشذوذ "اعتدالا و"استقامة" في الحقيقة ، فالقائل كان هو نفسه "منتكسا" أي شاذ النوع ومنحرفه ، يسمى الاعتدال والاستقامة بعد الزيغ . والضلال "انتكاسا" وإذا زاغ الإنسان عن الهُدى سمّى الأشياء والأفعال بغير أسمائها ، تسويغا منه لما أراد بها . ومن الأمور المسلّمة أن كلمة واحدة ، لها واقع من الاستعمال القديم ، تفضل كلمتين موهوما في معانيهما واستعمالهما . فالانتكاس يفضل "الشذوذ الجنسي أو الانحراف الجنسي" والمنتكس يفضل الشاذ جنسيا أو المنحرف جنسيا ، ولا بأس باستعمال "الانتكاس النوعي" لزيادة الإيضاح .

وقد ذكر الأستاذ الكبير ساطع الحصري "معاني كلمة الجنس" وقال : "إن استعمال الكلمة الواحدة للدلالة على هذا القدر من المعاني المتباينة يفسح[2] مجالا واسعا للالتباس ويحول دون استقرار المعاني في الأذهان بوضوح تام[3]" . وهذا قول صحيح مليح ، وقال بعد ذلك : "وأما استعمال الجنس مقابل (سكس) الفرنسية فهو من الاستعمالات الحديثة ، فليس من اليسير استبعاد هذا المعنى أيضا في الأحوال الحاضرة[4]" . وهذا القول ظاهر الفساد لما بيناه من أن كلمة (سكس)

---

(١) أخبار أبي نواس لأبي هفان "طبعة دار مصر للطباعة ٤٠" .
(٢) الصواب يفتح مجالا أو "يفسح في المجال" لأن "فسح لازم لا متعد ويستعمل معه "في" لإجراء حدثه .
(٣) آراء وأحاديث في اللغة والأدب"ص١٩٤" .
(٤) المرجع المذكور"ص١٩٥" .

الفرنسية تعني "النوع" في العربية ، ولأن البشر جنس والرجال نوع ، والنساء نوع ، فلا يمكن تجريد البشر من كلمة"الجنس" المشتركة بين الرجال والنساء لإطلاقها على أحد النوعين منهما .

قل : أكدنا على فلان الأمر أو في الأمر .

ولا تقل : أكدنا على الأمر .

ذلك لأن الأمر هو الذي يستحق التأكيد أو الوصية في شأنه فينبغي أن يتعدى الفعل إليه أو يقدر له مفعول به كالوصية أو القول أو النصح ، وتبقى"على" من حروف الجر أو الظروف ، مفيدة التسلط على الإنسان ، وهو فرع من الاستعلاء ، والعرب تستعمل"على"للضرر والتسلط في الغالب ، وهي بخلاف اللام عندهم فهي للنفع والإيناس ، فكانوا يخشون أن تكون "على" في أول كلامهم ، لما فيها من إشعار المخاطب بحلول الأذى ، ولذلك قالوا"سلام عليك"وهو القياس والواجب ، أعني أنهم أخروا"على"وخالفوا القاعدة استجابة للنفس ، وقالوا"ويل لفلان" ولم يقولوا "لفلان ويل" وهو القياس والواجب ، لأن اللام عندهم للنفع والإيناس ، فأخروها عن موضعها لئلا يشعر المخاطب بالنفع والإيناس ، ولما أنشد أبو تمام قوله مبتدئا :

على مثلها من أربُع وملاعب
تذال مصوناتُ الدموع السواكب

قال بعض الحاضرين"لعنة الله والناس أجمعين فصار الكلام"على"مثلها لعنة الله"وكان ينبغي له أن يؤخر"على"فيقول :

تُذال مصونات الدموع السواكب
على مثلها من أربُع وملاعب

وأما تقدير المفعول فكأن يقال : أكدت عليه الوصية في الأمر أو القول في الأمر أو النصح في الأمر .

قل : المِساحة والزِراعة والصِناعة

ولا تقل : المَساحة والزَراعة والصَناعة

وذلك لأن المساحة حرفة من الحرف أو مهنة من المهن فهي تحتاج إلى مزاولة طويلة ومعاناة غير قليلة ، وإذا زاد الفعل زادت أحرف مصدره فطول المصدر يدل على طول المعالجة ، ويكون على وزن "فِعالة" بكسر الأول كالتِجارة والبِقالة والعِمالة والحِدادة والزِراعة والصِناعة والمِساحة ، وإلى هذا الوزن تقلب الحرف وأشباه الحرف كالإمارة والنِقابة والوِزارة والوِكالة ، أي المحاماة ، هذا مع وجود النَّقابة والوزارة والوَكالة ، في اللغة ، فإذا أريدت الحرفة والصنعة فهي مكسورة الأول ، وإذا أريد مجرد الاسم فهي مفتوحة الأول ، فكثره الخَطابة تؤدي إلى الخِطابة وكثرة النَقابة تؤدي إلى النِقابة وكثرة الوَكالة تؤدي إلى الوِكالة .

قل : أُسِّست هذه المدرسة في السنة الأولى من حكم فلان وأُسِّس المسجد على عهد فلان .

ولا تقل : تأسّست المدرسة وتأسّس المسجد .

وذلك لأن الفعل "تأسس"خاص بما يقوم بنفسه ، والمدرسة وأشباهها من العمارات والمسجد وأمثاله من البنيان لا تقوم بأنفسها ، أعني أنها لا تكون كونا طبيعيا ، كالنبات والبشر والحيوان ، وليس من شيء مصنوع يقوم أساسه بنفسه لأن الأساس بعينه معمول ومصنوع أي ناشئ عن العمل والصناعة ، ولذلك لم تستعمل العرب قط الفعل

"تأسّس" وإنما هو من اللغة العامية ، لأن اللغة العامية فقدت الفعل المبني للمجهول منذ عصور كثيرة ، فلا يقول العوام "أكِل الطعام بل أنئكل أو أنكال أو أنوكل على اختلاف لهجاتهم ، ولا يقولون "أسِّست الدار" بل تأسّست ، فالصواب "أسّست المدرسة وأسّس المسجد ، قال الله تعالى : لمسجد أسِّس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه" . وذلك لأن النبي محمداً (عليه الصلاة والسلام) هو الذي أسس المسجد ، وقال تعالى "أفمن أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوانه خير أم من أسّس بنيانه على شفا جُرف هاوٍ[1]" .

وجاء في لسان العرب قال الليث تقول : "أسّستُ دارا إذا بيّنت حدودها ورفعت من قواعدها" . وجاء في القاموس : "والتأسيس بيان حدود الدار ورفع قواعدها وبناء أصلها" . وقال الزمخشري في أساس البلاغة : مَنْ لم يؤسِّس ملكه بالعدل فقد هدمه" .

وهذا الفعل وأمثاله تؤيد دعواي بأن المطاوعة المزعومة في اللغة حديث خرافة ، فإن العربي الفصيح لم تطاوعه نفسه على أن يقول "تأسَّس المسجد والمدرسة وإنما يقول : أسّس المسجد والمدرسة ، وعلى ذلك يقاس .

قل : اللَّجنَة واللّجان واللّجَنات .

ولا تقل : اللُّجنة واللُّجان واللُّجنات .

وذلك لأن اللجنة ، سُمعت وأُثبِتت في كتب اللغة ، بفتح اللام الأصلية ، وليس لنا أن نجعل فتحتها ضمة ، قال مجد الدين الفيروزأبادي في القاموس : "اللجنة الجماعة يجتمعون في الأمر ويرضونه" انتهى . ولا أحسب كلمة "اللجنة"عربية الأصل بل أراها معربة

(١) سورة التوبة الآية ١٠٨ ، ١٠٩ .

من إحدى اللغات الأعجمية ، فالجوهري لم يذكرها في الصحاح ، ولا ذكرها غيره ممن رجع إلى كتبهم اللغوية مؤلف لسان العربِ فإنه لم يثبتها في اللسان ، فصاحب القاموس نقلها من أحد كتب اللغة الأخرى ، وقد يجوز أن يتكلّف لها أصل عربي من الفعل "لَجَنَ" أي خلط ، ومنه قولهم "لَجَنَ ورقَ الشجر ونحوَه أي خلطه بشعير أو دقيق ، حتى يثخن فتعلفه الإبل" .

وجمع اللَّجنة للكثرة أي ما تجاوزت عدته عَشْراً ، هو لِجان ، كحربة وحِراب وظِبية وظِباء ، وللقلة أي من الثلاث إلى العشر ، هو لَجَنات ، كعرصة وعَرَصات ، فلا تقل"لُجنة ، لُجان .

قل : جواز السَّفر وأجوِزة السفر وجوازاته .

ولا تقل : باسپورت .

وذلك ، لأن العرب تسمي هذا الأذن المكتوب ،"الجواز"على وزن المتاع ، وتجمعه قياساً وسماعاً على "أجوِزة" كأمتعة وتجمعه أيضا قياساً على جوازات ، فإن لم يسمع هذا الجمع عن فصحاء العرب فقد سجل في كتبهم الأدبية ، وينبغي لنا ، أن نستفيد من الجموع القياسية ، فنقيس عليها ، لنزيل عن اللغة العربية الجمود ، الذي صبَّه عليها المتحرجون من القياس ، الذي هو كالدم الطري ، لقلب اللغة العربية النابض ، قال الزمخشري في أساس البلاغة : "وخُذْ جوازك وخذوا أجوزتكم ، وهو صك المسافر لئلا يُتعرض له" . وقال ابن مكرَّم : "والجواز صك المسافر" وجاء في نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، أن الخليفة المعتضد الهمام ، أمر ذات مرة أن لا يدخل أحد مدينة قزوين ، ولا يخرج [illegible] إلا بجواز ، وذكر ابن الساعي في سنة٦٠٣هـ ، من كتابه الجام[illegible] وفاة يوسف بن القايني حاجب سور بغداد ، ومتولي ا[illegible] مسكويه في تاريخه تجارب الأمم ، أن فرقة من الجيش [illegible] ونفقات ، وانحدروا إلى واسط ، لاحقين بالأمير بجكم

قل : هو جَهْوَرِي الصوت وجَهير الصوت .

ولا تقل : جَهُوري الصوت .

هو الرفيع الصوت الذي ينتبذ صوته بعيدا ، فالجهوري كأنه منسوب إلى جَهْور ، ولو كان صفة مبالغة لقيل" جَهُوري" مثل عقّور وغفُور ولم يحتج إلى ياء النسبة ، والواو في جَهْوريّ للمبالغة كواو كوثر ونوفل وحوصلة وروسَم وروشَم وحَوشَبة .

قل : خِطْبة الزواج

ولا تقل : خُطبة الزواج .

يقال خَطب المرأة يخطُبها خِطبةً فهو خاطب وخِطِّيب وهي مخطوبة ويقال هي خِطِّيبة إذا كانت قد خطبت الرجل على نفسها . أما الخُطْبة فهي الكلام الذي يلقيه الخطيب من على المنبر أوغيره ، يقال : خَطب فلان القومَ وفي القومِ بخُطْبةٍ بليغة .

قل : يودّ فلان أن يفنى في خدمة الوطن ، ويودّ الفناءَ في خدمةِ الأمة .

ولا تقل : يريد أن يتفانى في خدمة الوطن ، ولا يريد التفاني في خدمة الوطن .

وذلك لأن الفعل"تفانى" ، من أفعال الاشتراك في اللغة العربية ، فلا يصدر إلا من جهتين مختلفتين ، يقال : تفانى القوم ، والقوم تفانوا ، أي أفنى بعضهم بعضاً ، قال زهير بن أبي سُلمى :

تداركتما عبساً وذبيانَ بعدما

تفانوا ودقّوا بينهم عِطر منشم

قال ابن مكرّم في لسان العرب : "تفانى القوم قَتْلاً : أي أفنى بعضهم بعضا ، وتفانوا أي أفنى بعضهم بعضا في الحرب" . فالعرب لم يستعملوا"تفانى" إلا للاشتراك والإهلاك والإبادة ، ولقائل أن يقول : وأين أنت من القياس ، وهو سبيل من سبل حياة اللغة ؟ فأقول له : إذا أخذنا من الفعل"فني" فعلا على وزن تفاعل وجب أن يقاس على طائفة من الأفعال ، ذوات المعنى القياسي الصيغة ، فيكون تفانى مثل تمارض وتماوت ، وتهالك وتعامى ، وهي أفعال رياء وإظهار لغير الحقيقة ، فيصير التفاني مراءاةً ومداجلةً ومخادعةً ، وهي غير مرادة فضلا عن كونها عيوبا ولو كان التفاني للنار أو للبخار أي لغير الإنسان لجاز ذلك بعض الجواز فالصواب"الفناء في خدمة الوطن وهو يفنى في خدمة الأمة" .

قل : جندي ماشٍ وجنود مُشاة .

ولا تقل : مَشاة ولا مَشّاة .

فالماشي يجمع على المُشاة كالرامي الرُماة والقاضي والقُضاة والساقي والسُقاة والعاتي والعُتاة والباني والبُناة والهادي والهُداة والغالي والغُلاة ، وهو جمع قياسي في كل وصف للإنسان على وزن فاعل ، معتل الآخر بالياء .

قل : في الأقل وفي الأعم وفي الأغلب وفي الغالب .

ولا تقل : على الأقل وعلى الأعمّ وعلى الأغلب وعلى الغالب .

قال القاضي الأديب أبو علي المحسن بن علي التنوخي :"فإني في الأقل ربما كتبت شيئا أعلم أنه موجود في الدفاتر[١]" . وكذلك يقال : "في الأعم الأغلب" لا على الأعم الأغلب ، قال عز الدين بن أبي

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"١ : ١٠" .

الحديد : "ومنتهى بقاء هذه القوة في الأعم الأغلب مائة[1] وعشرون سنة[2]" ثم قال : "ويقال للأنثى ابنة اللبون لأن أمهما في الأغلب ترضع غيرهما فتكون ذات لبن[3]" . وقال الرضي الأستراباذي : "يكون المقتضي أمرا خفياً معنويا وما يقوم به المقتضي أمراً ظاهرا جليا في الأغلب" وقال : "وإنما يجرد المضاف في الأغلب عن التعريف لأن الأهم من الإضافة إلى المعرفة تعريف المضاف وهو حاصل للمعرفة[4]" . فهذا النحوي الكبير قد اتبع الفصحاء في هذه العبارة ، ونيابة حروف الجر بعضها عن بعض نادرة وليست قياسية ألا ترى أنك لا تقول "دخلت على الدار" بمعنى "دخلت فيها" ولا "شرعت على العمل" بمعنى "شرعت في العمل" ولا "فكرت على الأمر" بمعنى "فكرت فيه" ولا "هو على الدار" بمعنى "هو في الدار" ولا "المال على الصندوق" بمعنى "المال في الصندوق" فلكلٍّ معنى وقد مرّ مثل هذا .

قل : ما زال الخلاف قائماً ولم يزل قائماً . وما زلتُ أقرأ .

وذلك لأن أفعال الاستمرار الماضية لا يكون نفيها بحرف النفي "لا" بل يكون بحرف النفي "ما" تقول : ما زال قائما وما زلت قائما ، فهي كسائر الأفعال الماضية التي لا تكرر معها "لا" وذلك أنك لا تقول : لا جاء محمد . فقط بل ينبغي أن تكرر "لا" فتقول : "لا جاء محمد ولا أرسل رسولا" فإن لم يكن تكرار وجب أن تقول "ما جاء محمد" وكذلك زال وأخواتها . فليس فيها تكرار . واستثنيت حالة واحدة لاستعمال "لا"من غير تكرار وهي حالة الدعاء والرجاء كأن يقال "لازال فضلك دارا" كما يقال "لا خاب سعيك" ويقال : لا برحت محفوظا ، كما يقال : لا حرمت ثمرة غرسك .

---

(١) هذا الرسم الأصح الجديد الذي ينبغي أن نستعمله .

(٢) شرح نهج البلاغة" مج١ ص٤٦٥" .

(٣) المرجع المذكور" مج٤ : ص٢٢٨" .

(٤) شرح الكافية"١ : ٢٩٨ ، ٣٠٠ طبعة الأستانة

قل : هو عائل على غيره وهم عالة على غيرهم

ولا تقل : هو عالة على غيره

وذلك لأن "عالة" جمع عائل مثل قادة وقائد وذادة وذائد وساقة وسائق ، والعائل هاهنا بمعنى المفتقر الذي يعيش بكسب غيره ، وجمعه العالة ، قال مرداس .

وكنا يداً حتى سعى الدهر بيننا
فصرّفنا والدهر فيه الدوائر
يفرق ألافاً ويترك عالةً
أناساً لهم وفر من المال داثر

وقال النبي (عليه الصلاة والسلام) : "إنك إن تدع أو تترك عيالك أغنياءً خير من أن تدعهم عالةً يتكففون الناس" . قاله لسعد بن أبي وقاص حين استأذنه سعد في أن يتصدق بجميع ماله . رواه البخاري في جامعه ومسلم في كتابه واقتبسه الجاحظ في كتاب البخلاء ونقله جار الله الزمخشري العلامة في كتابه الفائق ، قال الزمخشري : "العالة جمع عائل وهو الفقير . ولا يقال : فلان عالة بل فلان عائل ، قال الله تعالى "ووجدك عائلا فأغنى" . والجمع عالة .

قل : دعا لكم بالرِّفاء والبنين

ولا تقل : بالرَفاه والبنين

وذلك لأن "الرِّفاء" مأخوذ من مادة "رفأ" ، والرِّفاء هو الالتئام والاتفاق ، قال السيد محمد مرتضى الزبيدي ، في تاج العروس من جواهر القاموس ، يقال : "رفأ فلان المملك ترفئة وترفيئا : إذا قال له بالرِّفاء أي بالالتئام والاتفاق ، والبركة والنماء ، وجمع الشمل وحُسن الاجتماع ، قال ابن السكيت : وإن شئت كان معنى الرفاء السكون ،

والهدوء والطمأنينة ، فيكون أصله من غير الهمزة ، من قولهم رفوت الرجل إذا سكّنته ، وعليه قول أبي خراش الهذلي :

رفَــوني وقــالوا يا خُــويلدُ ولا تُرَعْ

فــقلت : وأنكرتُ الوجــوه هُمُ هُمُ

وفي حديث النبي (ص) أنه نهى أن يقال : بالرِّفاه والبنين ، وإنما نهى عنه كراهيته إحياء سنن الجاهلية ، لأنه كان من عادتهم ، وفي حديث شريف أنه قال له رجل : قد تزوجت هذه المرأة . فقال : بالرِّفاء والبنين ، وفي حديث بعضهم أنه إذا رفَّأ رجلا قال له : بارك الله عليك ، وبارك فيك ، وجمع بينك وبين زوجك في خير"انتهى .

قل : حقوق الطبع محفوظة على المؤلف وعلى الناشر

ولا تقل : حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ولا للناشر .

يقال : حَفِظَ فلان عليه الشيء حفظا فالشيء محفوظ عليه ، قال الأمام علي بن أبي طالب (ع) "فإن نسيت مقالتي حفِظها عليك غيرك فإن الكلام كالشاردة يثقفها هذا ويخطئها هذا(١)" . هذا هو كلام الفصحاء ، وكان الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) يقول في دعائه : "اللهم احفظ علي سمعي وبصري إلى انتهاء أجلي(٢)" . ولما انصرف رسول الله (ص) إلى خيبر فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : "من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام . قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك(٣)" . وقال محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور يعني أباه : "وكان يحفظ عليكم ما لا تحفظون على أنفسكم(٤)" .

---

(١) نهج البلاغة مج٤ ص٢٧١ طبعة البابي الأولى .

(٢) المرجع المذكور "مج٢ص٢٩" .

(٣) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف للسهيلي "٢ : ٢٤١" وتاريخ الطبري "٢ : ٩٦" المطبعة الحسينية" .

(٤) تاريخ اليعقوبي "٣ : ١٢٧ طبعة النجف الأشرف" .

وقال عمر بن بانه لمحمد بن جعفر بن موسى الهادي ـ على ما روى الأصبهاني في الأغاني ـ "أنا أتحمل هذه الرسالة وكرامة على ما فيها حفظا لروحك فإني لا آمن من أن يتمادى بك هذا الأمر[١]" . وقال أبو الحسن علي بن محمد الصغاني في كتاب الفرائد والقلائد : "ومما يديم لك نصحهم ووفاءهم ويحفظ عليك ودهم وولاءهم قلة الطمع فيهم وحسن المقابلة لمساعيهم[٢]" . يعني العمال ، وقال الحجاج بن علاط السلمي للعباس بن عبد المطلب :"احفظ علي حديثي يا أبا الفضل فإني أخشى الطلب ثلاثا[٣]" . وجاء في رفعه لأبي الفتح بن العميد" فإن لم يحفظ علينا النظام بإهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام[٤]" . وقال المقدسي محمد بن معشر : "الشريعة طب المرضى والفلسفة طب الأصحاء ، والأنبياء يطبون للمرضى حتى لا يتزايد مرضهم وحتى يزول المرض بالعافية فقط ، فأما الفلاسفة فإنهم(يحفظون الصحة على أصحابها) حتى لا يعتريهم مرض أصلا[٥] . وقال أبو حيان التوحيدي نفسه : "ولما لم يرد من الإنسان أن يكون حمارا حُفظ عليه ما هو إنسان ودرّج إلى كمال الملك الذي هو به شبيه[٦]" . وقال أبو القاسم الكاتب الأديب الشاعر :

وكم ملك قد خصَّني بكرامة
حفظت عليه أمره وهو ضائع[٧]

ولا نود أن نطيل بذكر الشواهد أكثر مما فعلنا ، وإنما نذكر أن لقولهم"حفظ له كذا" معنى آخر كقولك : "أحسنت إلى فلان فحفظ لي ذلك" أي ذكر الإحسان ورعى ذكراه ، فهو كالكفاء والجزاء .

(١) لباب الآداب لأسامة بن منقذ "ص١٤١" والأغاني"١٨ : ١٠" .
(٢) اللباب "ص-٧" .
(٣) الطبري"٣ : ٩٧" .
(٤) الأدباء لياقوت الحموي"٥ : ٢٥١" .
(٥) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي"٢ : ١١الطبعة الأولى" .
(٦) المرجع المذكور"٢ : ١٨٦" .
(٧) الأوراق للصولي"١ : ١٨٥" .

قل : تساهل عليه وتجاهل عليه

ولا تقل : تساهل معه ولا تجاهل معه

وذلك لأن "تفاعل من أوزان الظهور بفعل غير حقيقي الرغبة في الفاعل ولا صادقها ، كما في موضع آخر هو مشهود في أفعال الرياء كتمارض وتناوم وتماوت ، فالتساهل ليس بسهولة طبيعية إرادية ، وإنما هو إظهار لسهولة مصطنعة ، ولذلك استعملت معه"على" فقيل"تساهل على خصمه تساهلا" ومن أجله لم يجر استعمال"مع" لأنها تفيد المشاركة ، والمراد هو بيان سهولة مصطنعة من جانب واحد فإذا أريد وقوع المساهلة من كل جانب من الجانبين قيل : سَاهَلَ محمد قاسماً ، وساهَلَ قاسم محمداً ، وقد تساهل محمد وقاسم ، وقد تساهلا وتساهل القوم وتساهلوا .

والتساهل هو التسامحُ قال الجوهري في الصحاح يقال : غمّض عنه إذا تساهل عليه في بيع أوشراء" . قال : تساهل عليه ولم يقل : تساهل معه ، لأنه خطأ

وقال محمد بن داود الأصفهاني :

هب العروض تساهلنا عليك به

فأي نحو بهذا العقل يحتقب ؟

قل : هذا هوِي طوابع ، وهؤلاء هوو طوابع ، وهو الهوي ، وهم الهوون : ولم يكونوا هوين من قبل

ولا تقل : هذا هاوي طوابع ، ولا هؤلاء هُواة طوابع ، ولا هم الهواة ، بهذا المعنى . وذلك لأن "الهَوَى" أقرب إلى العادات منه إلى الحالات العارضات ، فينبغي أن تصاغ له صفة مشبهة على وزن"فَعِل" والمثنى منها "فَعِلان" والجمع"فعلون" نحو هو فرح وهما فرِحان وهم

فرِحون وتقول : هوي فلان يهوى هوىً ، مثل جوى يَجوى جوىً ، وشجي يشجى شجى ، فالأول الهوي والثاني الجوي والثالث الشجي ، وجاء في لسان العرب"والهَوِيَ مقصور هوى النفس ، وإذا أضفته إليك قلت : هواي . قال ابن بري : وجاء هوى النفس ممدوداً في الشعر يعني للضرورة قال :

وهان على أســـمـــاء أن شطت النوى
نحنُّ إليـــهــــا والهــــوا يتــــوق

(وقال) ابن سيده : الهوى العشق ، يكون في مداخل الخير والشر . . ، وهوى النفس إرادتها والجمع الأهواء .

وفي التهذيب قال اللغويون : الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه . قال الله عز وجل : ونهى النفس عن الهَوَى . معناه : نهاها عن شهواتها ، وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل .(وقال) الليث : الهوى مقصور هوى الضمير ، تقول : هوِي يهوى أي أحب ، ورجل هوٍ : ذو هوى مخامر ، وامرأة هوية ، لا تزال تهوى ، على تقدير فعلة . . وفي حديث بيع الخيار : يأخذ كل واحد من البيع ما هوى أي ما أحب ، وما تكلم بالهوى مطلقا لم يكن إلا مذموما حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم : هوى حسن موافق للصواب وأثبت سيبويه الهوى لله عز وجل فقال : فإذا فعل فقد تقرب إلى الله بهواه وهذا الشيء أهوى إلي . . والجمع أهواء وقد هويه هوى فهو هوٍ . واستهوته الشياطين . . جعله الزجّاج من هوي يهوى أي زينت له الشياطين هواه" انتهى المراد نقله من لسان العرب . وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص يعاتب ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص :

أراك إذا لم أهوَ أمـــــراً هـويتـــــه
ولست لما أهوى من الأمـــر بالهَـــوِي

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته :

وإنّا التــــاركـــون لما ســــخطنا
وأنّــا الآخـــــــذون لمــا هــويـنــا

وقـال المبـرد في الكامل : "تقول : هَوِي يهـوى ، كمـا تقـول فـرِق يفـرَق ، وهو هَوٍ كما تقول هو فرِق كما ترى" . وأما الهاوي فهو اسم فاعل من هوى يهوي هُويا أي سقط إلى أسفل ، فالهاوي هو السـاقط ، والهواة هم السقاط ، فقل : هذاهوي غناء ، وهؤلاء هوو غناء ، وهو من الهَوِين للغناء ، لا من الهواة أي السقاط وهم اللؤماء .

قل : ينبـغي لك أن تعـمل ، ولا ينبـغي لك أن تكسل ، وينبـغي لك العمل ، ولا ينبغي لك هذا الشيء وما ينبغي .

ولا تقل : ينبـغي عليك أن تعـمل ، ولا تقل ينبـغي عليك أن لا تكسل .

وذلك لأن الفـعل "ينبـغي" هو بمعنى يُراد ويُطلبُ ويُستـحب ، ومـا جرى مجراهنّ من الأفعال ، كيُنشَدُ الشيء أي يُبحَث عنه ويُفحَص عنه ، ويصلُح ، جاء في لسان العرب "قولهم ينبغي لك أن تفعل كذا ، فهو من أفعال المطاوعة ، تقول : بغيته فانبغى كما تقول كسرته فانكسـر" ثم قال : "قال الزجّاج : يقال : انبغى لفلان أن يفعل كذا ، أي صلح له أن يفعل كذا ، وكأنه قال : طلب فِعْل كذا فانطلب ، أي طاوعه ، ولكنهم اجتزؤا بقولهم : انبغى . ويقال : انبغى الشيء (أي) تيسر وتسهل ، وقوله تعالى : وما علّمناه الشعر وما ينبغي له . أي ما يتسهّل له ذلك ، لأنّا لم نعلمه الشعر ، وقال ابن الإعرابي : وما ينبغي له (أي) وما يصلح له" .

وقال الفيومي في المصباح المنير : "وينبغي أن يكون كذا ، معناه يندب ندبا مؤكدا ، لا يحسن تركه ، واستعمال ماضيه مهجور ، وقد عدوا"ينبغي" من الأفعال التي لا تتصرف ، فلا يقال : انبغى . وقيل في

توجيهه : إن انبغى مطاوع بغى ، ولا يستعمل (انفَعَل) في المطاوعة ، إلا إذا كان فيه علاج وانفعال ، مثل كسرته فانكسر ، وكما لا يقال : طلبته فانطلب ، ولا قصدته فانقصد ، لا يقال : بغيته فانبغى لأنه لا علاج فيه ، وأجازه بعضهم وحُكي عن الكسائي أنه سمع من العرب . وما ينبغي أن يكون كذا ، أي ما يستقيم أو ما يحسن" .وهذا يؤيد ما ذهبتُ إليه ، من أن المطاوعة خيالية ، "فانبغى ينبغي" لا مطاوعة فيه ، وهو أقدم الأفعال ، بدلالة وروده في القرآن الكريم احتوى استعمال اللام مع الفعل (ينبغي) ، كما ورد في الآية الكريمة ، ولا حجة في استعمال بعض المتأخرين ، من اللغويين للحرف"على" مع الفعل"ينبغي" وهو صاحب تاج العروس ، فقد قال في مادة ن ب أ من التاج : "كان ينبغي على المؤلف . . " وهذا خطأ والصواب : كان ينبغي للمؤلف ، وقد ذكرنا غير مرة ، أن "على" تفي ، الأذى والتعدي ، فضلا عن الاستعلاء ، فمعنى"ينبغي عليك" هو"يراد على الرغم منك" وبغير موافقة منك ، كما يقال "افتات عليه ، يفتات عليه ، وانتقد عليه ينتقد عليه ، وباع عليه يبيع عليه" قال الفيومي في المصباح المنير : "وباع عليه القاضي . أي من غير رضاه ، وفي الحديث : لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ، ولا يبعْ على بيع أخيه . أي لا يشتر ، لأن النهي في هذا الحديث ، إنما هو على المشتري ، لا على البائع ، بدليل رواية البخاري : لا يبتاع الرجل على بيع أخيه" . انتهى المراد نقله وقد تكلمنا على هذا غير مرة فيما قدمناه ، ومعنى الحديث في الخطبة أنه لا يجوز للخاطب أن يخطب امرأة ، سبقت إليها خطبة رجل آخر ، ولم تزل الخطبة في المداولة والمفاضلة .

قل : هذا تلميذ مستتم ، وهذه تلميذة مستتمة وهذا تلميذ إكمالي ، وهذه تلميذة إكمالية .

ولا تقل : هو مُكمل ولا إكمال ولا مستكمل .

ذكرت ذلك إجابة لأحد السائلين الفضلاء عن الاسم الذي ينبغي أنه

يسمى به المقصر في الامتحان تقصيرا يمكن تلافيه وتداركه أهو مكمل أم إكمال أم مستكمل ؟

وذاك لأن المستتم هو طالب التمام ، والتمام للشيء هو ما يتم به ، قال مؤلف لسان العرب : "استتم الله النعمة : سأل إتمامها . . . والمستتم : الذي يطلب التمة أي التمام ، فالطالب المقصر في الامتحان ، تقصيرا جائزا تداركه وتلافيه ، على حسب قانون الدراسة ، ينبغي أن يسمى"مستتما" ، ويجوز أن يسمى إكماليا ، أي منسوبا إلى الإكمال على التفاؤل ، والنسبة لا تستوجب اشتمال المنسوب على جميع المنسوب إليه ،ولو اشتملت على جميعه لكان المنسوب مثله ، فالمنسوب يكون ذا صلة بالمنسوب إليه ، قويةً كانت أو ضعيفةً ، وكلية كانت أو جزئية ، فإذا قلنا : هذا طالب إكمالي فمعنى ذلك أنه ذو صلة بالإكمال على سبيل الانتساب والتفاؤل ، أما إذا قلنا هذا الطالب إكمال فيحتمل التعبير وجهين ، أحدهما الإخبار عنه بالمصدر ، وهو ضرب من المبالغة البالغة ، ومعناه أن الطالب حاز الإكمال والإنجاح ، حتى صار هو الإكمال نفسه ، أي مكملا دراسته إكمالا تاما دائما ، كما تقول : هذا القاضي عدل ، وأنت حرب لمن حاربنا ، وسلم لمن سالمنا ، أي أشد من محارب لمن حاربنا ، وأعظم من مسالم لمن سالمنا ، وهذا المعنى لا يؤدي المراد بقولهم : فلان إكمال .

والوجه الآخر هو أن الطالب"ذو إكمال" فيكون من باب المجاز ، بحذف المضاف ، والاستغناء عنه بالمضاف إليه ، وذو الإكمال هو الذي أكمل عمله ، لأن"ذا" تفيد التملك والاحتواء في أشهر معانيها ، والمقصر في دروسه ليس بذي إكمال ، وإنما هونقصان وتقصير ، ومحتاج إلى الإكمال .

وأما المكمل والمستكمل فهما اللذان أكملا واجبهما وانتهى عملهما بالفلاح والإنجاح وكان مأمولا ، أن يكون"استكمل" للطلب ، قياسا على وزن الطلب العام ، الذي هو"استفعل" ، إلا أن العرب استعملته بمعنى"أكمل" كما استعملت"استخرج"بمعنى أخرج ، واستجمع

بمعنى اجتمع ، واستطال بمعنى طال ، واستعد بمعنى اعد ، واستجاب بمعنى أجاب ، واستبان بمعنى أبان في أحد معنيين ، واللغة ، كما هو معلوم سماعية قبل أن تكون قياسية ، والمسموع مفضل على المقيس ، وإن كان للمقيس وجه مقبول ومعقول عند التعارض بينهما ، والغاية الأصلية من التزامنا السماع هو فهمنا آدابنا القديمة ، وإزالةاللبس الناشئ عن استعمال الكلمة في غير موضعها لغير معناها .

قل : عُمران البلاد

ولا تقل : عِمران البلاد .

وذلك لان العُمران في الأصل مصدر من قولهم : عمر الرجلُ مَاله وبيته عُمرانا أي لزمهما وحفظهما ثم استعير العُمران للعمارة ، جاء في نهج البلاغة : "وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا . . وإن العمران محتمل ما حملته وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها" .

أما "العِمران"بكسر العين فلم يجئ في اللغة بمعنى "العمران" بضم العين ، ثم إنه لو جاز التلفظ به لتركه العرب أيضا لأنه يلتبس بعِمران الذي هو اسم من أسماء الإعلام ، وأكره ما تكره العرب في لغتها الالتباس وذلك لأن اللغة معتمدة على البيان والوضوح دون اللبس والغموض . فالعُمران كالغُفران والكُفران والشُكران والحُسبان .

قل : الخُطّة الاقتصادية .

ولا تقل : الخِطّة الاقتصادية .

قال الجوهري في الصحاح : "والخُطّة بالضم : الأمر والقصة" . وجاء

في لسان العرب "والخُطَّة بالضم : شبه القصة ، والأمر" وفي حديث الحديبية : لا يسألوني خطةً يعظّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتم إياها ، وفي حديثها أيضا : أنه قد عرض عليكم خُطَّة رشد فاقبلوها . أي أمراً واضحاً في الهدى والاستقامة .(ويقال) في رأسه خطة أي أمر ما . والخطة : الحال والأمر والخطب . . "أما الخِطَّة بكسر الخاء فهي الأرض يختطها الرجل لنفسه ليبنيها دارا وإنما سميت خِطةً لأنه يعلّم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها ، ومن ذلك عِلم الخِطط وهو معرفة المباني والطرق ومساحات العمارات والمنشآت الأخرى .

قل : نقد على فلان قوله وانتقد عليه قوله .

ولا تقل : نقد فلانًا وانتقده .

وذلك لأن النقد والانتقاد ينبغي أن يوجها على شيء من أشياء فلان لا على فلان نفسه ، وإذا كان النقد والانتقاد من باب المؤاخذة في الظاهر استعملنا"على"وهي تفيد الأذى والاستعلاء والضرر ، كما قلنا عدة مرات ، تقول : نقدت على فلان قوله وانتقدت على فلان قوله ؛ فقوله منقود ومُنتقد وهو منقود عليه ومنتقد عليه .

وفي العربية موضع واحد تقول فيه : نقدت فلانا وانتقدته ، وهو إذا ألفت كتابا في نقد شخصيته من حيث الصدق والكذب في الحديث كميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين الذهبي أو من حيث السيرة والأخلاق .

قل : وردت علينا برقيةٌ مُفادها كيت وكيت .

ولا تقل : مَفادها .

وذلك لأنك تقول : أفادت البرقية كيت وكيت ، على سبيل

الاستعارة ، أي جاءت بفائدة خبرية ، والمصدر الميمي من أفاد يُفيد هو"مُفاد"على وزن اسم المفعول ، وذلك من القياس المطرد ، فالمفاد ها هنا كالمُصاب ، قال بعض الشعراء القدماء :

أظلومُ إن مـــصـــابكم رجـــلاً
أهدى الســـلام تحـــيـــةً ظُلُم

أي يا ظلوم إن إصابتكم رجلا ، ومنه ما في قوله تعالى" وقل ربي أدخلني مُدخل صدق وأخرجني مُخرَج صدق" أي إدخال صدق ، وإخراج صدق .

أما "المفاد"فهو مصدر ميمي ، لفعل من الأفعال المعروفة بالأضداد ، من معانيه حصول الفائدة والحِياد ، والموت والتبختر ، وفي استعماله التباس كثير ، فضلا عن بعده عن المراد .

قل : أعتذرُ من التقصير أو الذنب .

ولا تقل : اعتذر عن التقصير أو الذنب .

يقال "اعتذر من التقصير والذنب" لا "اعتذر عنهما" جاء في مختار الصحاح "اعتذر من الذنب" وجاء في لسان العرب "واعتذر من ذنبه : تنصّل" ثم جاء فيه في الاعتذار بمعنى الدروس : "وأخذ الاعتذار من الذنب من هذا لأن من اعتذر شاب اعتذاره بكذب يعفي ذنبه" . وجاء في وصف عبد الملك بن مروان على لسان عمرو بن العاص"أخذ بثلاث تارك لثلاث : أخذ بقلوب الرجال إذا حدث وبحسن الاستماع إذا حُدّث وبأيسر الآمرين عليه إذا خولف ، تارك للمراء وتارك لمقاربة اللئيم ، وتارك لما يعتذرمنه" . وجاء في كتاب الإمام علي (ع) بعث به إلى قثم بن العباس (رضي) : "فأقم على ما في يديك قيام الحازم

الطيب ، والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع لإمامه وإياك وما يعتذر منه[١] .

وقال ابن أبي عتيق للثريا : "هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة إليك فجئتك معترفا بذنب لم يجنه معتذرٌ إليك من إساءته إليك[٢]" . وغنّى الدلال أبو زيد ناقد المدني مولى عائشة بنت سعيد بن العاص :

طربت وهاجك من تذكّـر
ومن لست من حبه تعتذر[٣]

وقال ابن عرادة السعدي في مدح سلم بن زياد بن أبيه :

يقولون اعتذر من حب سلم
إذن لا يقبل الله اعتذاري[٤]

ومدح الراعي عبيد بن الحصين"سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص"قال المفضل الضبي : "قال لوكيله كم عندك ؟ قال : ثلاثة آلاف دينار . قال : ادفعها إليه واعتذر من قلّتها[٥] .

وجاء في كليلة ودمنة ـ ص٢٧٧ـ " فدعا الأسد بابن أوى واعتذر إليه مما كان منه . وقال عبد الله بن محمد بن البواب خليفة الفضل بن الربيع في حجبه الهادي بن المهدي في أمر وقع له مع الاسود بن عمارة النوفلي : "فدنوت منه وأخبرته خبر الهادي واعتذرت من مراجعتي إياه[٦]" . وقال أبو علي الحسن بن حمدون : "وكتب يوسف بن ديوداذ

---

(١) شرح نهج البلاغة"مج٤ص٥٢" .
(٢) الأغاني"١ ، ٢٢٣طبعة دار الكتب المصرية" وأمالي المرتضى"٢ ، ٢٢١" .
(٣) المرجع المذكور"٤ ، ٢٩٨" .
(٤) أنساب الأشراف"٢ ، ٧٦١" .
(٥) المرجع المذكور"١ ١٢٢" .
(٦) مجالس العلماء للزجاج"ص٢١٥" .

إلى الوزير أبي الحسن علي بن الفرات يعرفه الخبر ويعتذر إليه من تأخير المال الذي واقفه عليه[1]" . وقال بشار بن برد :

قلت وإذ شـــاع مـــا اعـــتـــذارك مما
ليس لي فـــيـــه عند همك عـــذر[2]

وقال ابن عبدوس الجهشياري : "حكي لنا أن موسى الهادي سخط بعض كتابه . . . فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن اعتذاري مما تُقرَّعني به رد عليك[3]" . وقال بعض الفضلاء في خبر له : «وجعلت أعتذر إليه منه بعذر . . . وكيف يكون اعتذار إنسان من كلام قد تكلم به[4]" .

وقد تصحفت "من" إلى "عن" في المصباح المنير مع أن مصحح الطبعة الشيخ حمزة فتح الله الأديب الكبير المشهور ، وإنما تستعمل "عن" مع اعتذر ومصدره لإفادة معنى النيابة ، يقال "اعتذر زيد عن عمرو من الذنب الذي جناه أو من تقصير ومنه ما ورد في مستدرك المعجمات لدوزي"ألا اعتذرت لهم عني[5] لأنه "لم يرد لقاءهم ، وفي ن س ل من لسان العرب" "ذكره أبو منصور واعتذر عنه أنه أغفله في بابه فأثبته في هذا المكان" .

قل : الدين الإسلامي السَّمح ، والديانة الإسلامية السَّمحة ، والرجل السَّمح ، والمرأة السَّمحة .

ولا تقل : الديانة السَّمحاء .

وذلك لأن الصفة الواردة ، من مادة السماحة ؛ جاءت على وزن

---

(١) تاريخ الوزراء لابن الصابي "٢٤٠" .
(٢) الأغاني "٣ : ١٨٢" .
(٣) كتاب الوزراء والكتاب "١٦٩ طبعة البابي" وأعتاب الكتاب لابن الأبار "٧٥" .
(٤) عصر المأمون "ج٢ ٣٤٢" .
(٥) مستدرك المعجمات العربية لدوزي "٢ : ١٠٧" .

"فَعْل" ، للمذكر ، وعلى وزن "فَعْلة" ، للمؤنث نحو "سهل وسهلة ، وضخم وضخمة ، وشهم وشهمة ، وبحت وبحتة ، ولأن فعل هذه الصفة هو من باب "فَعُل يفعل" ، ولا تأتي الصفة من هذا الوزن على "أفعل وفعلاء" لكي يقال "سمحاء" بل تأتي على "فعيل وفعيلة" ، "وفعل وفعلة" قياسا وفعل وفُعلة ندوراً كشريف وشريفة ، وسَمْح وسمحة ، وصُلب وصُلبة ، وما ورد من شذوذ أعجف وعجفاء ، وآدم وأدماء ، وأسمر وسمراء ، وأحمق وحمقاء وأخرق وخرقاء ، وأرعن ورعناء ، فمردود بأنه قد جاء في اللغة المسموعة أيضا" عجف وأدِم ، وسمِر وحمِق وخرِق ورعِن ، فيجوز اشتقاق الصفات منهن على أفعل وفعلاء . بله أننا نرى أن من الصفات ما سبق الأفعال ، لأن الصفات محسوسة ، فهي سابقة في الاشتقاق لأفعالها . وبيان ذلك عندنا أن "الأسود" يجوز أن يكون سمّي "أسود" أولا ، ثم اشتق منه الفعل "سود" يؤيد ذلك أن العرب تقول "اسودّ الشيء يسودّ اسوداداً" أكثر من قولها "سَوِد الشيء يسودُ سوداً" فاسودّ يسود عندنا مأخوذ من الصفة أسودّ وسوداء مأخوذة من "أسودَ" كذلك بتأخير الألف الأولى إلى آخر الكلمة ، فالألف لما كانت في أول الصفة دلت على التذكير وفي آخرها على التأنيث وهذا مما لم يقف عليه العلماء القدامى .

وأعود إلى السمح والسمحة ، فأقول قال ابن فارس في المقاييس : "السين والميم والحاء . أصل يدل على سلاسة وسهولة . . . " ورجل سمح أي جواد وقوم سمحاء" ، وقال الجوهري : "وامرأة سمحة ونسوة سِماح" ، وجاء في لسان العرب "سمح سماحةً وسموحةً وسمحاً : جادَ ، ورجل سمح وامرأة سمحة ونساء سِماح وسمحاء فيها ، وقولهم : الحنيفية السمحة (أي) ليس فيها ضيق ولا شدة . وما كان سمحا ولقد سمُح بالضم سماحةً وجاد بما لديه . وعود سمح بين السماحة والسموحة أي لا عقدة فيه . ويقال : ساجه سمحة إذا كان غلظها مستوي النبتة ، وطرفاها لا يفوتان وسطه ولا جميع ما بين طرفيه من نبتته . فإن اختلف طرفاه وتقاربا فهو سمح أيضا . قال بعض

الأئمة : وكل ما استوت نبتته حتى يكون ما بين طرفيه منه ليس بأدق من طرفيه أو أحدهما ، فهو من السمح" .

وتفرد الفيومي بذكر "السمح" قال في المصباح المنير"وسمُح فهو سمح وزان خشن فهو خشِن لغة ، وسكون الميم في الفاعل تخفيف ، وأمرأة سمحة وقوم سمحاء ونساء سِماح" . فقل : الدين الإسلامي السَمح والديانة الإسلامية السمحة ولا تقل : السمحاء .

قل : رأيته البارحة ، لليلة التي قبل نهارك والبارحة الأولى للتي قبلها

ولا تقل : رأيته الليلة الماضية ولا ليلة أمس .

وذلك لأن"البارحة" في الأصل صفة لليلة التي قبل نهارك ، إذا تكلمت بعدالزوال أي بعد الظهر ، ثم حذف الموصوف ، وبقيت الصفة فصارت اسما من الأسماء ، وقولي : إذا تكلمت بعد الزوال أي الظهر ، تفسيره أنك إذا أردت أن تذكر الليلة ، فلها أسماء بالنسبة إلى الزوال ، فإذا تكلمت قبل الزوال أي قبل الظهر قلت : فعلت الليلة كذا وكذا ، وجرى الليلة أي بعد الظهر قلت : فعلت الليلة كذا وكذا ، وجرى الليلة حادث مهم ، وما أشبه ذلك ، وإذا تكلمت بعد الزوال ، جاء في لسان العرب : "العرب تقول : فعلنا البارحة كذا وكذا ، لليلة التي قد مضت ، يقال ذلك بعد زوال الشمس . ويقولون قبل الزوال : فعلنا الليلة كذا وكذا . . والعرب تقول : ما أشبه الليلة بالبارحة أي ما أشبه الليلة التي نحن فيها بالليلة الأولى ، التي قد برحت وزالت ومضت ، والبارحة أقرب ليلة مضت ، تقول : لقيته البارحة الأولى وهو من برح أي زال" انتهى كلام صاحب اللسان .

هذا للفعل الماضي . أما المضارع وما أشبهه فلا يشترط معهما زوال وعدم زوال ، تقول وأنت بالليل : أكتب رسالتي الليلة أو هذه الليلة" وإني كاتبها الليلة أو هذه الليلة . كما تقول : أكتبها اليوم أو هذا اليوم .

قل : بالإضافة إلى الشيء اي بالنسبة إليه والقياس عليه .

ولا تقل : بالإضافة إليه بمعنى زيادة عليه ومضافا إليه .

وذلك لأن معنى "بالإضافة إلى الشيء" عند فصحاء الأمة هو "بالنسبة إليه" فالمعنيان مختلفان جدا ، ولو لم يكن هذا التعبير قد شاع وتعورف وثبت معناه في كتب اللغة وكتب الأدب وكتب التاريخ وكتب الدين لتكلفنا مخرجا له ، قال ابن مكرَم الأنصاري في ع ظ م من كتاب لسان العرب : "وأمر لا يتعاظمه شيء : لا يعظم بالإضافة إليه" وجاء في الأغاني من كلام عصر إبراهيم بن المهدي"فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزله الاسكدار للكتاب[١]" وقال أبو حيان التوحيدي : "وهذه كلها غليظة بالإضافة إلينا . وفوق الدقيقة بالإضافة إلى أعيانها"[٢] . وقال مسكويه : "والطبيعة ، وإن كانت ضعيفة بالإضافة إلى العقل منحطة الرتبة ، فإنها قوية فينا[٣]" . وقال أبو الفرج ابن الجوزي : "ووجدت أهل الإسلام في الأرض قليلا بالإضافة إلى الكفار[٤]" . وقال ابن جبير الأندلسي : "لأن لهم على كل حمل طعام يجلبونه ضريبة معلومة خفيفة بالإضافة إلى الوظائف المكوسية التي كانت قبل اليوم[٥] . والوظيفة هنا ما يوظفه السلطان على ذوي التجارات والمبيعات ، ثم قال : "وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها ، والتفاف أعين النوائب إليها ، كالطلل الدارس ، والأثر الطامس أو تمثال الخيال الشاخص[٦] ." وقال القزويني : "حتى أن جميع المكشوف من البوادي والجبال بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم "عجائب المخلوقات ص٧" في وصف الأرض .

---

(١) الأغاني"٥ ، ٢٨٧" .طبعة دار الكتب المصرية .
(٢) الإمتاع والمؤانسة"١ : ١٥٢ ،٢٠٧" .
(٣) الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي"ص٢٦٥"
(٤) صيد الخاطر"ص٢٧" .
(٥) رحلة ابن جبير "ص٦٩ طبعة لندن" .
(٦) المرجع المذكور"ص٢١٧" .

وهذا قول لا شك فيه ولا تأويل ولا تخريج ، ولا يجوز تشويه كلام القوم وعباراتهم بتقليد من لا يعرفهما ، وشواهد استعمال "إضافة" بغير ياء لأداء المعنى المراد متعارفة ، منها ما ورد في كتاب الحوادث في أخبار سنة٦٣٩هـ قال مؤلفه : "وفيها ردّ النظر في نهري الملك وعيسى إلى حاجب باب النوبي تاج الدين علي بن الدوامي (إضافة إلى ما يتولاه) من أمر الشرطة والعمارة[١]" وورد في حوادث سنة١٨٧ "وفيها رتب نجم الدين محمد بن أبي العز مدرسا بالنظامية . إضافة إلى القضاء[٢]" . وهذا التعبير وإن كان مولدا فهو قريب من الجملة التي أفسدت باستعمالها لغير معناها .

قل : فلان ذو كفاية في العمل .

ولا تقل : فلان ذو كفاءة في العمل .

فالكفاءة المساواة والمماثلة ومنها الكفاءة في الزواج والدماء ، والعمل في الوظيفة لا يحتاج إلى كفاءة أي مساواة بل يحتاج إلى كفاية أي طاقة وقدرة محسنة ، ولذلك لقّب القدماء القديرَ على العمل القيّم به الناهض بعبئه "الكافي" وهو اسم فاعل من "كفى فلان في وظيفة" والتقدير "كفى الحاجة وكفى المراد في الوظيفة" فهو الكافي ، وكان الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي وزير بهاء الدولة يلقّب "الكافي" ولو كان المراد الكفاءة للقّبوه "المكافئ" ومن ذلك لقب "كافي الكفاة" الوزير الصاحب بن عباد ، وأن غيره من أصحاب لقب الكافي كثير .

ويجوز استعمال "الكفاءة" في أول التوظيف باعتبار أن الرجل الطالب للوظيفة كالخاطب امرأة على نفسه ، فكما تحتاج المرأة إلى الكفاءة بينها

---

(١) "ص١٤٧" .

(٢) المذكور "ص٤٥٦" .

وبين الرجل فكذلك الحال بين الرجل والوظيفة ، ولذلك صح قولهم في التوظيف"شروط كفاءة الموظف" أو طالب التوظيف ، و"توفرت الكفاءة في فلان للوظيفة المذكورة" وتقول : عيّن فلان في الوظيفة بكفاءة ثم أظهر فيها كفايةً وصرامةً وشهامةً .

قل : وقفت تجاه فلان وبازائه وقبالته .

ولا تقل : وقفت أمامه .

ومن يرد أن يعرف معنى"أمام" فليتذكر وقوف "الإمام" في الصلاة ، فالاسمان من أصل واحد ويدلان على وجهة واحدة ، فالإمام يقف"أمام"المصلين المؤتمين به ويؤمهم ، أي يوليهم ظهره ولا يستقبلهم ، ولذلك ولغيره سمي"إماما"قال : أبو مخنف في بعض أخبار حرب الجمل : "وبلغنا أن عبد الرحمن بن طود البكري قال لقومه : أنا والله قتلت عمرا وإن الأشتر كان بعدي (وأنا أمامه) في الصعاليك ، فطعنت عمرا طعنة لم أحسب أنها تجعل للأشتر دوني ، وإنما الأشتر ذو حظ في الحرب وإنه ليعلم أنه كان (خلفي) ولكن أبى الناس إلا أنه صاحبه[1]" .

وجاء في ذكر آداب المتعلم وما يجب عليه للمعلم مما نسب إلى أمير المؤمنين علي (ع) "وأن تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظّمه (وأن لا تجلس أمامه)[2] . أي أن لا توليه ظهرك . وقال (ع) : "فكونوا كالسابقين قبلكم (والماضين أمامكم) قوضوا من الدنيا تقويض الراحل واطووها طيَّ المنازل[3]" . وقال حماد عجرد في منيعة جارية أبي عمرو ابن العلاء وكانت رسحاء عظيمة البطن :

---

(١) شرح نهج البلاغة"مج١ ص٨٧طبعة البابي الأولى" .
(٢) الشرح المذكور"مج١ ص٥٢٧" .
(٣) المذكور"٢ : ٥٠٩" .

لو تأتي لك التحول حتى
تجعلي خلفك العليف (أماما)
ويكون القدام ذو الخلقة الجز
له خلفا مؤثلا مستكاما
لإذن كنت يا منيعة خير الناس
خلفا وخيرهم قداما(١)

وقال ابن علقمة سنة (١١٥)هـ :

أرق عيني أخوا جذام
كيف أنام وهما أمامي
إذ يرحلان والهجير طامي
أخو حشيم وأخو حرام(٢)

فقولك "وقفت أمام فلان معناه أوليته ظهرك وجعلت وجهك في ضد وجهته ، كما تقول : سرت أمامه .

قل : حاز فلان الشيء

ولا تقل : حاز عليه

فالفعل « حاز » يتعدى بنفسه إلى مفعول به يقع عليه الحوز أي الحيازة . قال الجوهري في الصحاح : الحوز : الجمع وكل من ضمَّ إلى نفسه شيئاً فقد حازه حوزاً وحيازة » . وفي مقاييس اللغة لابن فارس « وكل من ضمَّ شيئاً إلى نفسه فقد حازه حوزاً » عدّاه بنفسه أيضاً ،

(١) الأغاني « ١٤ : ٢٥٠ طبعة دار الكتب المصرية » .
(٢) تاريخ الأمم والملوك « ٤ : ١٥٦ طبعة المطبعة الحسينية » .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : «حاز المال واحتازه لنفسه ، وعليك بحيازة المال وحاز الإبل : ساقها إلى الماء وحوزها» . وقال المبارك بن الأثير في النهاية : «فيه أن رجلاً من المشركين جمع الأمة كان (يحوز المسلمين) أي يجمعهم ويسوقهم .

حازه يحوزه : «إذا قبضه وملكه واستبد له» . وورد في لسان العرب في تفسير الماحوز «وقال بعضهم هو من قولك : حُزت الشيء إذا حرزته» وقال : «الحوزي المتوحد وهو الفحل منها وهو من حُزت الشيء إذا جمعته أو نحيته» وقال : «وحُزت الأرض إذا أعلمتها وأحييت حدودها» وقال في التحيز : «وقال سيبويه هو تفعيلُ من حُزت الشيء» وقال : «والحوز : الجمع وكل من ضمَّ شيئاً إلى نفسه فقد حازه حوزاً وحيازةً وحازه إليه واحتازه إليه» . وفي المصباح المنير حزت الشيء أحوزه حوزاً وحيازة : ضممته وجمعته ، وكل من ضم إلى نفسه شيئاً قد حازه . وأكثر هؤلاء اللغويين متشابهو الأقوال ويدل على ذلك اقتباس بعضهم عن كتب بعض ، ومن الشواهد الشعرية على تعدية «حاز» بنفسه قول . . . . . الصفار . وهو من شعر الشعوبية :

أنا ابن الأكارم من نسل جَمْ
وحائز إرث ملوك العجم[1]

وحاز حيزاً من باب سار . لغة فيه وحزت الإبل باللغتين سقتها . والنصوص اللغوية متضافرة في تعدّي «حاز» بنفسه على اختلاف معانيه .

قل : كشفت عن الأمر الخفيّ خفاءه

ولا تقل : كشفتُ الأمر الخفيّ

قال ابن فارس في مقاييس اللغة : «الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سترو الشيء كالثوب يُسرى عن البدن ، يقال :

(١) معجم الأدباء «ج ٦ ، ٢٢٢ طبعة مرغوليوث الأولى» .

كشفت الثوب وغيره . . . ، وجاء في لسان العرب :«الكشف : رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه ، كشفه يكشفه كشفاً وكشّفه . . . » وفي أساس البلاغة « كشفت عنه الثوب . . . ومن المجاز : كشف الله غمه وهو كشّاف الغمم » . وقال الراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن : « كشفت الثوب عن الوجه وغيره . ويقال : كشف غمّه ، قال تعالى : « وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو » .

وهذا كتاب الله تعالى شاهداً . قال تعالى في سورة ق « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » . فالمكشوف هو الغطاء وما جرى مجراه من الحسيّات والمعنويات كالغم ، وقد يحذف المفعول به كقوله تعالى في سورة النمل : « فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها » أي : وكشفت ثوبها عن ساقيها كما يفعل الخائض للماء الضحل ، ولا بد للأشياء المادية كالكنوز ، والمعنوية كالطاقات من استعمال « عن » فالفصيح أن يقال « الكشف عن الأمر الخفي والطاقات » قال الإمام علي (ع) على ما ورد في نهج البلاغة : « فإن في الناس عيوباً الوالي أحق مَنْ سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك[1] » . وفي كلام الله تعالى وكلام الإمام علي (عليه السلام) غنى عن طلب الفصاحة في غيرهما .

قل : ردّ فلان القول

ولا تقل : رد على القول .

ويقولون : رددت على قول فلان ، وذلك خطأ فإنه يقال « ردّ على فلان قوله » فالقول مردود وفلان مردود عليه . قال الإمام علي (ع) في كتاب له إلى إلى الحارث الهمداني : « ولا ترد على الناس كلَّ ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا[2] » . ولم يقل : ولا تردّ على كل ما

(١) شرح نهج البلاغة « مج٤ ص١١٢ طبعة البابي الأولى » .
(٢) شرح نهج البلاغة « مج٤ ص٢٢٦ طبعة البابي الأولى » .

حدثوك به ، وقال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد : يا أبا عباد إني أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك ، فإن قلتُ فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاش أن تردّ علي فقد أذنت لك[1] » . وقال أبو واثلة الهذلي لعمرو بن العاص : كذبت والله ، لقد صحبت رسول الله (ص) وأنت شر من حماري هذا . وقال (عمرو) : والله ما أرد عليك ما تقول : وأيم الله لا نقيم عليه[2] » . وقال رجل مدني لابراهيم الحراني نديم موسى الهادي بن محمد المهدي : « واحرباه أتردّ على رسول الله (ص) قوله : بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ؟[3] » . ومن الكتب الوارد ذكرها في كشف الظنون « ردّ الانتقاد للبيهقي » لا « الرد على الانتقاد » و« رد القول الخائب في القضاء على الغائب » لابن قطلوبغ ، و« ردّ القول القبيح في التحسين والتقبيح » لسليمان الطوفي . هذا هو التعبير الصحيح الفصيح ، وهذه شواهد على صحة ما قلت ، تبدأ بكلام الإمام علي بن أبي طالب (ع) وتنتهي بالقرن التاسع للهجرة .

قل : صادره على المال ، أو استصفى أمواله ، أو استنظف أمواله ، أو استولى عليها أو استحوذ عليها ، وصادره على السلاح .

ولا تقل : صادر أمواله وسلاحه .

وذلك لأن الفعل « صادر » مشتق من « الصَّدر » وهو أعلى مقدَّم الإنسان ويستعار لغيره كما أن « ساعَدَ » مأخوذ من الساعد ، و« عاضَدَ » مأخوذ من العُضد ، و« ظاهَرَ » مأخوذ من الظَّهر ، و« باطن » مشتق من البطن ، فمعنى صادره عندي : وضع صدره بإزاء صدر الغريم ، يداقه الحساب ، ويناقشه إياه ، ومن اللغويين من يَعد

(١) الأغاني : « ١ : ٦٨ » .

(٢) تاريخ الطبري « ٤ : ٢٠٢ » .

(٣) جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري « ص١٨ طبعة المطبعة الرحمانية » .

«المصادرة» من الصَّدر ، وهو اسم من قولك «صَدَر فلان عن الماء وعن البلاد» أي خرج ، فمعنى صادره عنده : غالبه في الصدور . قال مؤلف لسان العرب : «ومن كلام كتّاب الدواوين ، أن يقال : صُودر فلان العامل على مال يؤديه ، أي فُورق على مال ضمنه» انتهى قول صاحب اللسان .

وأيّاً كان أصل الفعل «صادر» ، فأثره يقع على الإنسان ، حين استعماله في الجملة الصحيحة التركيب المفيدة المعنى ، أعني أن الإنسان هو الذي يُصادر من جهة الفاعلية ، ويُصادر من جهة المفعولية ، ولا يُصادر الإنسان على مال كائناً ما كان ، إلا إذا كان مُطالباً بدين سابق ، أو محتجناً لمال من أموال الدولة ، أو مَديناً لها ، فيحاسب على ذلك ، ويُصادر عليه ، ويعترف به ، وبالاعتراف تتم المصادرة ، ويبدأ الاستنداء والاستيفاء والاستنظاف ، والاستنضاض . ومما قدمت من الشرح ، يُعلم أن المصادرة ، هي غير استصفاء الأموال واستنظافها ، أي الاستيلاء والاستحواذ عليها ، ولو كان ذلك بالقهر والغلبة ، وبغير شرعي ، أو شبه شرعي ، وقد ذكر عز الدين بن أبي الحديد ، في سيرة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في شرح نهج البلاغة ، أن عمر كان يصادر المختانين من العُمّال أي الولاة ، فصادر أبا موسى الأشعري ، وكان عامله على البصرة ، وقال له : بلغني أن لك جاريتين ، وأنك تطعم الناس من جفنتين . وأعاده بعد المصادرة إلى عمله ، وصادر أبا هريرة ، وأغلظ عليه ، وكان عامله على البحرين ، فقال له : ألا تعلم أني استعملتك على البحرين ، وأنت حافٍ لا نعلَ في رجليك ؟ وقد بلغني أنك بعت أفراساً بألف وستمائة دينار ؟ . وصادر الحارث بن وهب أحد بني ليث ، وقال له : ما قِلاص وأعبد بعتها بمائة دينار[1] . وفصل الكلام ابن أبي الحديد في المجلد الثالث من الطبعة المصرية الأولى في المصادرة ، توسّع المتأخرون فاستعملوا المصادرة بمعنى الاستصفاء

(١) شرح نهج البلاغة «٣ : ١٠٤» .

والاستيلاء ، والفصيح هو ما ذكرت . فقل : صادره على أموال ولا تقل صادر الأموال .

قل : رأيته ذا مساء وذا صباح .

ولا تقل : رأيته ذات مساء وذات صباح .

وذلك لأن العرب لم تستعمل مع الصباح والمساء كلمة "ذات" بل استعملت مذكرها "ذا" قال الجوهري في الكلام على "ذي" من الصحاح : "وأما قولهم ذات مرة وذا صباح ، فهو ظرف زمان غير متمكن ، تقول : لقيته ذات يوم وذات ليلة ، وذات غداة وذات العشاء ، وذات مرة ، وذا صباح وذا مساء ، بغير تاء فيهما ، ولم يقولوا ذات شهر ولا ذات سنة" .وجاء في مادة(م ك ن) من لسان العرب : قول مؤلفه ناقلا من الصحاح أيضا في الكلام على الاسم غير المتمكن : "وإنما يؤخذ سماعا عنهم وهي ذا صباح وذا مساء . . . الخ" .

وكثير من الكتاب المشاهير يظنون أنه لا يقال إلا ذات صباح وذات مساء" ، في استعمال الظرف قياسا على غير ذلك من الظروف ، مع أن اللغة في مثل هذا سماعية لا قياسية ، والأمر بالعكس فلا يقال في الظرفية إلا "ذا صباح وذا مساء" كما تقول : خرجت ذا مساء من الدار ، ولقيت ذا صباح فلانا في الطريق ، والتذكير في الحقيقة أولى من التأنيث ، لأن الزمان والابان والوقت ، والدهر اليوم والأوان والحين والعصر هي من الأسماء المذكرة ، وعلى ذلك يكون التقدير"خرجت وقتا ذا مساء ، أو زمانا ذا صباح ، أو حينا ذا مساء أوعصرا ذا صباح" أما ذات فعلى تأويل آخر ، وتقدير آخر وهما من العسر بمكان .

قل : أمحمد في الدار أم مستأجرها ؟ .

وقل : أمقيم أنت أم مسافر ؟ .

وقل : أأردت هذا أم لم ترد ؟ .

ولا تقل : هل محمد في الدار أم مستأجرها .

ولا تقل : هل مقيم أنت أم مسافر .

ولا تقل : هل أردت هذا أم لم ترده ؟ .

وذلك لأن الهمزة هي الأصل في الاستفهام ، قال الزمخشري في المفصّل : "والهمزة أعمّ تصرفا في بابها من أختها (هل) . تقول أزيد عندك أم عمرو ؟" يعني أنه لا يجوز في الكلام العربي الفصيح أن يقال : هل زيد عندك أم عمرو ؟ فإذا استعملنا حرف العطف (أم) للتعيين بعد الاستفهام وجب أن نستعمل معها همزة الاستفهام ولا نستعمل"هل" ، كقوله تعالى :

"وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ؟" وقوله تعالى : "فأن تولّوا فقل آذانتكم علي سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون ؟" وقال الشاعر :

فقمت للطيف مرتاعاً وأرقني
فقلت أهي سرت أم عادني حلم ؟

وتحذف الهمزة في الشعر خاصة إذا دل عليها كقول ابن أبي ربيعة :

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً
بسبع رَمين الجمرَ أم بثماني

أراد : أبسبع رمين الجمر أم بثماني .

قل : ذهبا معا ، وجاءا معا .

ولا تقل : ذهبا سوية ، ولا جاءا سوية .

وقل : ذهبوا معا ، وجاؤوا معاً .

ولا تقل : ذهبوا سوية ، ولا جاؤوا سوية .

وذلك لأن السوية تأتي على وجهين ، أحدهما كونها مؤنث السوي ، وهوالخالي من العيب والميل ، والآخر كونها اسم مصدر ، كالبلية والرزية ، والقضية والنقيصة ، وهي بمعنى المساواة والاستواء والتساوي ، قال الجوهري في الصحاح : " وقسم الشيء بينهما بالسوية" انتهى ، يعني بالمساواة بينهما في القسمة ، وقال الزمخشري في أساس البلاغة : "وهما على سوية من الأمر وسواء ، وفيه النصفة والسوية" وقال ابن فارس في كتابه المقاييس : "السين والواو والياء ، أصل يدل على استقامة ، واعتدال بين شيئين ، يقال : هذا الأمر سواء" . وورد في لسان العرب"يقال : هما على سوية من الأمر ، أي على سواء أي استواء" . ومن الشواهد على السوية التي تمثل الواقع اللغوي للكلمة ، وتظهر قيمتها الاستعمالية ، بعد قيمتها المعجمية قول أبي جعفر الإسكافي في نقض بعض كتب الجاحظ"كرهوا إعطاء علي(ع) وقسمه بالسوية" أي بالمساواة . وجاء في كتاب الأغاني قول إبراهيم الموصلي : "وأول شيء أعطيته بالغناء ، أني كنت بالري ، أنادم أهلها بالسوية ، لا أرزؤهم شيئا" . يعني منادمته إياهم بالمساواة بينهم ، وعدم تفضيل بعضهم على بعض ، وجاء في بعض أحاديث الزكاة "فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية" ، يعني العدل ، قال مجد الدين بن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر : "وفي قوله بالسوية دليل على أن الساعي على الزكاة ، إذا ظلم أحدهما فأخذ منه زيادة على فرضه ، فإنه لا يرجع بها على شريكه . وإنما يغرم له قيمة ما يخصه من الواجب عليه دون الزيادة" . والظاهر أن قولهم : ذهبوا سوية ، هو من اللغة العامية ، فكثير من الناس يقولون "رحنا سوية وجينا سوية" .

أما قولنا"ذهبا معا ، وذهبوا معا" فمعناه : ذهبا مصطحبين وذهبوا مصطحبين" . قال الجوهري في الصحاح : "مع : كلمة تدل على

المصاحبة ، والدليل على أنه اسم حركة آخره مع تحرك ما قبله ، وقد يسكّن وينوّن تقول : جاؤوا معاً .

قل : هؤلاء الضباط البُسلاء والباسلون .

ولا تقل : هؤلاء الضباط البواسل .

لأن : "البسلاء" هو جمع البسيل في الأصل وجمع الباسل في الاستعارة المعروفة باستعارة الجموع ، والبسيل والباسل معناهما الشجاع والبطل الشديد ، وجمع العقلاء على فعلاء أي بسلاء نحو كريم وكرماء هذا لبسيل ، ويقال باسل وبسلاء نحوشاعر وشعراء وفاضل وفضلاء .

أما "البواسل" فهو جمع لغير العقلاء وللمؤنث تقول أسد باسل وأسود بواسل وفتاة باسلة وفتيات بواسل ، أي باسلات ، قال في لسان العرب : "والبسالة الشجاعة والباسل الشديد والباسل الشجاع والجمع بُسلاء ، ولم نذكر الجمع الآخر الذي هو بُسل لأنه غريب ، قال ابن مكرم الأنصاري في لسان العرب : "وفي حديث خيفان قال لعثمان (رضي الله عنه" أما هذا الحي من همدان فأنجاد بسل أي شجعان وهو جمع باسل وسمي به الشجاع لامتناعه ممن يقصده" .

وأما الجمع الصحيح"باسلون وبسيلون" فيستعمل عند إرادة الحدث أي الحدوث في الصفة أوفي زمانها . قال الله تعالى في سورة المؤمنون : "ثم إنكم بعد ذلك لميتون" أي ستكونون موتى ، وقال عزّ من قائل في سورة الصافات : "أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين" أي لن نموت إلا موتتنا الأولى ، وقال جلّ وعزّ في سورة الزمر : "إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم عند ربكم تختصمون"يعني أنهم سيموتون بدلالة أنهم كانوا أحياءاً حين خاطبهم على لسان نبيه . أما الذين ماتوا ودرجوا وعبروا فيقال لهم "أموات وموتى" . وهذا هو القياس وقد يأتي خلافه شاذاً .

قل : فلان من شُذاذ الرجال .

ولا تقل : فلان من شواذ الرجال .

والسبب المانع من جمع الشاذ للإنسان على شواذ هو السبب الذي منع جمع"الباسل" للإنسان على البواسل ، وإنما يقال جمل شاذ وجمال شواذ وقول شاذ وأقوال شواذ .

أما الشذاذ فهو جمع إنسان من صفة الشاذ مثل كاتب وكتّاب وحاسب وحساب وعامل وعمال وسارق وسرّاق ، وحاذق وحذّاق وما لا يحصى لكثرته ، وهو جمع قياسي ، مطرد في كل المثل .

قل : نقطة ونِقاط ونطفة ونِطاف .

ولا تقل : نُقاط ونُطاف .

وكل اسم على هذا الوزن يجوز جمعه على فِعال وإن لم يسمع الجمع من العرب ، كما يجوز جمعه على فُعل كنُقط ونطف ، وهو الجمع الأشهر ، ثم إن وزن "فُعال" ليس من أوزان الجموع ، وما جاء من الجمع على فُعال فهو شاذ ومن قبيل التوهم في سماع الألفاظ .

قل : لا أفعل ذلك ، ولن أفعل .

ولا تقل : سوف لا أفعله ، ولا سوف لن أفعله .

وذلك لأن "سوف" ، من الحروف التي تدخل على الفعل المضارع ، فتجعله للاستقبال ، وتصرفه عن زمان الحال ، ولا تدخل إلا على الفعل المثبت ، ولا يجوز الفصل بينها وبين الفعل ، ومن المعلوم أن قولنا"لا أفعل ذلك ولن أفعله" من الأفعال المنفية ، وإن قولنا"سوف لا أفعل ذلك وسوف لن أفعله" ، فيه غلطتان إحداهما ادخال "سوف" على الفعل

المنفي ، مع أنها للمستقبل المثبت . والأخرى هي الفصل بين سوف والفعل بفاصل هو"لا" و"لن" ، وجميع ما ورد في القرآن الكريم من استعمال"سوف" هو للإثبات ، قال تعالى في سورة التكاثر : "ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون" .

وقد ورد استعمال "سوف" مفصولا بينها وبين الفعل لضرورة الشعر ، ومع ذلك وردت للإثبات ، قال عبد الله بن المعتز :

أروح للشعرة البيضاء ملتقطا
فيصبح الشيب للسوداء ملتقطا
وسوف لا شكّ يعييني فأتركه
ختام استخدام المقراض والمشطا ؟

أراد "سوف يعييني فأتركه ولا شك" فأقحم "لا شك" بين سوف والفعل "يعييني" .

فقل : لا أفعل ذلك ولن أفعله ، ولا تقل : سوف لا أفعل ولا سوف لن أفعله .

قل : بالأَصالة عن نفسي ، والوكالة كالأصالة .

ولا تقل : الإِصالة .

وذلك لأن "الأصالة" مصدر الفعل "أصل يأصل" وهو من أفعال الغرائز وأشباهها فينبغي أن يكونَ مصدره على وزن "فَعالة" قال الجوهري في الصحاح : "ورجل أصيل الرأي أي محكم الرأي وقد أصل أصالة مثل ضخامة ومجد أصيل أي ذو أصالة" وجاء في مختار الصحاح"وقد أصُل

من باب ظَرف ومجد أصيل : ذو أصالة" وورد في لسان العرب : "أصل الشيء : صار ذا أصل . قال أمية الهذلي :

ومــا الشــغل إلا أنني متـــهـــيب
لعــرضك مــا لم تجــعل الشيء يأصُلُ

. . . ويقـال : إن النخل بأرضنا أصـيل أي هو بهـا لا يزال ولا يفنى ، ورجل أصيل : له أصل ، ورأي أصيل : له أصل ، ورجل أصيل : ثابت الرأي عاقل وقد أصُل أصالةً مثل ضخُم ضخامةً وفلان أصيل الرأي والعقل ، ومجد أصيل أي ذو أصالة" انتهى النقل من لسان العرب .

وفذلكة القول أن "الأصالة مفتوحة الهمزة لا مكسورتها وأنها مصدر أصل يأصل يأصُل"وهو وزن من أوزان الثلاثي المجرد لازم غير واقع ، وهو عندي من أوزان المجرد الحديثة ، ابتدعته العرب ليعبر عن نشوء الغرائز والتغيرات الأصلية ، كما اختارت "فعِل يفْعَل" للتغيرات الظاهرة نحو"عطِش يعطش وفرح يفرح" . وإنما حكمت بحداثة هذين الوزنين لأن الأصل في الأفعال التعدي بسبب أن حربة الحي غايتها التعدي على غيره ، وهو قانون الأحياء العام ، ولما احتاجت الإنسانية المتمدنة إلى الفعل اللازم اخترعت هذين الوزنين ، ووضعت على الأول ضمتين لماضيه ضمة ولمضارعه ضمة ، وأمره شبيه بالمعدوم لأن الغرائز لا يؤمر بها قديما فلا يقال" أشرف فلست شريفا" و "أضخمي فلستِ ضخمة" و أعظم فلست عظيما" فإن ذلك لا يدخل في الإمكان ، واختيار الضمة للماضي والمضارع من هذا الضرب اللازم من الأفعال ، يُبطل دعوى من ادّعى من المعاصرين لنا أن الضمة تمثل الشدة أو الغلبة ، فقل : أَصالة ولا تقل : إِصالة . ومثل الأصالة"الأداء" اسم مصدر " التأدية" .

قل : كان عمله مَرْضيا ، وكانت طريقته مَرْضيّة .

ولا تقل : كان عمله مرضيا ، وكانت طريقته مُرضية .

لأن "الرضا واقع على العمل والطريقة ، قال الجوهري في الصحاح : "رضيت الشيء وارتضيته ، فهو مَرْضي ، وقد قالوا مرضو ، فجاؤوا به على الأصل" ثم قال : "وعشية راضية أي مَرْضية . . . وأرضيته عني ، ورضَّيته بالتشديد أيضا فرضي ، وترضَّيته وأرْضيته بعد جهد واسترضيته فأرضاني" وقال الفيومي في المصباح المنير : رضيتُ الشيء ورضيتُ به رضا : اخترته . . . وشيء مرضي أكثر من مرْضو" وجاء في لسان العرب : "ورضيتُ الشيء وارتضيته فهو مَرْضي ، وقد قالوا مرضُو ، فجاؤوا على الأصل ، ورضيه لذلك الأمر فهو مرضو ومرضيّ" ثم قال : "يقال هو مرْضي ومنهم من يقول مرضو ، لأن الرضا في الأصل من بنات الواو ، وقيل : عيشة راضية أي مرضية أي ذات رضى" .

فأنت ترى أنهم قالوا : شيء مرضي لا شيء مُرضٍ ، وفسرت عيشة راضية بعيشة مرضية ، لا مُرضية ، وقالوا : أرضاني فلان ولم يقولوا "أرضاني الشيء" وإن كان باب المجاز مفتوحا ، وباب الاستعارة غير مغلق ، وقال تعالى في القرآن المجيد : "اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" .فالإسلام مرضي ، في الآية الكريمة ، وأوقع الرضا في القرآن الكريم على الإنسان أيضا ، قال تعالى في ذكر إسماعيل (ع) : "وقال عزّ قائلا : "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك ، راضية مرضية" . وفي كل ما نقلناه من القرآن العزيز ، وكلام العرب لم نجد من وصف الشيء وما جرى مجراه بالمُرضي حقيقة ولا مجازاً حتى أن ما ورد في التنزيل العزيز ، من عيشة راضية فسر بعيشة مرضية ، كما نقلت آنفا ، والظاهر أن قولهم"كان عمله مُرضيا وكانت طريقته مُرضية" من باب القراءة الموهوم فيها ، لأن الجملتين غير مشكولتين ، فقل : كان عمله مرضيا وكانت طريقته مَرْضيّة .

قل : كُسرت سن من أسنانه ، وإحدى أسنانه مكسورة وسنّه كبيرة أي متقدّم في العمر .

ولا تقل : أحد أسنانه مكسور ، ولا سنه كبير

وذلك لأن (السن) مؤنثة ، ولم يرد فيها جواز التذكير إلا في الشعر والشعر ذو ضرائر ، وتصغّر السن على سنينة ، جريا على طريقة التصغير ، في الاسم المؤنث الثلاثي ، الخالي من علامة التأنيث ، قال الجوهري في الصحاح : "والسن واحدة الأسنان" . ولم يقل : واحد الأسنان ، وقال الزمخشري في الأساس" وحطمته السن العالية" وقال : "ومن المجاز كبرت سنه" ، وقال الفيومي في المصباح المنير : "السن من الفم مؤنثة ، وجمعه أسنان ، مثل حمل وأحمال . . . والسن إذا عنيت بها العمر مؤنثة أيضا ، لأنها بمعنى المدة" ثم قال : "الضرس مذكر ما دام له هذا الاسم ، فإن قيل فيه سن فهو مؤنث ، والتذكير والتأنيث باعتبار لفظين ، وتذكير الأسماء وتأنيثها سماعي" . وقد ورد تذكير السن لضرورة الشعر ، قال زيد بن جندب الأيادي الخارجي الأزرقي :

أشغى عقنباة وناب ذو عصل
وقلح باد وسن قد نصل

وقال أحد شعراء المغرب القدماء :

ولكن التجلّد لي خدين
فسني ضاحك والقلب دامي

وقال الحسين بن الضحاك :

ولو كنت شكلا للصبا لاتبعته
ولكن سني بالصبا غير لائق

فالسن الحقيقية مؤنثة ، واستعارتها للعمر لم تغير تأنيثها ، أما قول

صاحب المصباح : أنها تؤنث إذا عني بها العمر لأنها بمعنى المدة ، فغير وجيه ، فلو كان التأنيث جانيها من تأويل العمر بالمدة ، لأنث العمر أيضا بتأويله بالمدة مع أنه مذكر . وقد ذكّر السّن المبارك بن الأثير في كلامه في النهاية ، ولا عبرة بكلامه بعد إجماع اللغويين على التأنيث .

وأما تأنيث الفعل قبل السن ، بقولنا"كسرت سن من أسنانه" مع كون السن مؤنثة مجازيا . فالباعث عليه أن العرب يرجحون تأنيث الفعل ، قبل الثلاثي ، المؤنث تأنيثا مجازيا ، عند خلوه من علامة التأنيث وذلك للتنبيه على أنه مؤنث ، قال تعالى : "والتفّت الساق بالساق" وجاء في أخبار شريح القاضي في نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ، ما هذا نصه"ثم عاد إلى القضاء وقد كبرت سنه فاعترضه رجل ، وقد انصرف من مجلس القضاء ، فقال له أما حان لك أن تخاف الله . كبرت سنك وفسد ذهنك ، وصارت الأمور تجور عليك" .

قل : فعل ذلك على الرغم من أنف فلان ،

وقل : فعله برغم أنف فلان وفعله على رغم فلان إذا فعله على كره منه ، أي من خصمه ، مريدا إذلاله في الافتيات عليه

ولا تقل : فعله رغم أنف فلان

وذلك لأن نصب كلمة"رغم"ليس له وجه من النحو مقبول ، عند إرادة هذا المعنى بالعبارة المذكورة أنه لم يفعل لإرغامه خاصة ، بل فعله لمنفعة يريدها ، في حال عدم الرضا من خصمه ، وأكثر من ذلك ، أي في حال إجباره على السكوت .

واللغة العالية هي في استعمال"على"أي "على الرغم من أنفه ، و"على رغم أنفه" ، ودونها لغة استعمال الباء أي" برغم" ، وغير الفصيح هو

قولهم"فعله رغم أنف فلان" ولا يجوز إلا في الشعر ، وللشعر ضرورات لا تسوغ للناثر الحر المختار . فقل "على الرغم من أنفه وبالرغم منه" ولا تقل "رغم أنفه" إلا في الشعر .

قل : أحاطوا الكتمان بالمحادثات وينبغي إحاطتهم الكتمان بالمحادثات .

ولا تقل : أحاطوا المحادثات بالكتمان ، وينبغي إحاطتهم المحادثات به .

وذلك لأن معنى "أحاط الشيء بغيره وإحاطته إياه بغيره ، هو جعله له كالحائط والحظار والسور والجدار ، ومن البديهي أن "أحاط" الرباعي المستعمل غالبا للأذى ، مأخوذ من الثلاثي"حاط" ، المستعمل غالبا للخير ، يقال : حاطه يحوطه ، حوطا وحيطة وحياطة" أي حفظه وصانه وحماه ، ومنه الحائط وهو بمعنى الحافظ ، وتطور اللغة يشعر بأن أصل حاطه هو حاط به ، كما أن أصل"حفّه يحفّه" ، هو حف به ، وكلاهما فصيح أي حفّه وحفّ به .

فحذف الباء من حاط به قديما ، لم يغن أفعل الرباعي ، عن استصحاب الباء ، فقالوا"أحاط به" ، والمفعول مقدر ، والتقدير ، "أحاط الشيء به" أي جعله له كالحائط وحذف المفعول من جملة الفعل ، لا يدل على أن الفعل لازم ، ولو كان هذا الحذف شبيها بالدائم ، كمثل صبر وكفّ ، ودافع غريمه وحامى خصمه وعدوّه وعلى هذا يكون الأصل ، في الجملة المذكورة آنفا ، "حاط الكتمان بالمحادثات وحوط الكتمان بالمحادثات" فإذا أدخلنا همزة التعددية الثانية ، قلنا : أحاط فلان الكتمان بالمحادثات ، وينبغي إحاطتهم الكتمان بالمحادثات" أما أحاطوا المحادثات بالكتمان فمعنى ذلك أن المحادثات صارت كالحائط للكتمان ، وليس ذلك بالمراد ، بل هو عكس المراد .

فقل : أحاطوا الكتمان بالمحادثات ، وينبغي إحاطتهم الكتمان بالمحادثات . جاء في نهج البلاغة"أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، الذي ضرب الأمثال ، ووقت لكم الآجال ، وألبسكم الرياش ، وأحاط بكم الإحصاء" أي جعل الإحصاء من حولكم . والإحصاء في هذه العبارة ، كالكتمان في تلك العبارة ، وجاء في الدعاء المرفوع : "اللهم من أراد بنا سوءاً ، فأحط به ذلك السوء ، كإحاطة القلائد بترائب الولائد" .

قل : وزّع بينهم الجوائز ، ووزعها فيهم ، إذا أعطاهم إياها مفرقة

ولا تقل : وزع عليهم الجوائز ، إذا أعطاهم إياها مفرقة

وذلك لان "وزّع" بمعنى فضّ وفرّق وقسّم ، فإذا استعملنا حرف الجر "على" معه ، وهي للأذى والتسلط ، والتكليف والاستعلاء ، كان معنى "وزّع عليهم" جعل عليهم ضريبة ، وأتاوة وتكليفا ، ومن المعلوم أن الجائزة ليست ضريبة ، أعني أنها يعطيها المجيز غيره من مستحقيها ، ولا يأخذها ، يضاف إلى ذلك أن مراد القائل" وزع عليهم الجوائز" هو أنه أعطاهموها ، لا أخذها منهم ولا ضربها عليهم ، ثم إن المسموع من فصحاء العرب ، والمذكور في كتب اللغة هو أن يقال "وزّع الأشياء بينهم أو فيهم" إذا أريد أنه فرقها فيهم ، وأعطاهم إياها مفضوضة ، جاء في لسان العرب "التوزيع القسمة والتفريق ، ووزّع الشيء : قسّمه وفرّقه ، يقال : وزّعنا الجزور فيما بيننا . . . ، وفي الحديث أنه حلق شعره في الحج ، ووزعه توزيعا" . فقد نقل مؤلف اللسان من أقوال العرب "وزّعه بينهم" ، وفيما بينهم ولم يقل"وزعه عليهم" لأن المراد الإعطاء . وقال جار الله العلامة محمود الزمخشري في أساس البلاغة ، في مادة وزع : "ووزّع المال والخراج توزيعا قسّمه" . وقال في مادة الخاء والياء والفاء ، من أساس البلاغة أيضا : خُيّف المال بينهم وزع" . أما شاهد "وزّعه فيهم" بمعنى أعطاهم إياه مفرّقا ، فما رواه الواقدي في مغازيه ، قال خفاف بن إيماء ابن رخصة : كان أبي ليس شيء أحب إليه من إصلاح

بين الناس ، (وكان) موكلا بذلك ، فلما مرت به قريش أرسلني بجزائر عشر هدية لها ، فأقبلت أسوقها ، وتبعني أبي فدفعتها إلى قريش ، فقبلوها(ووزعوها في القبائل) . قال وزّعوها في القبائل لا عليها .

وإذا قال القائل "وزّع فلان عليهم مالا" ، فمعنى ذلك ، وضعه عليهم ضريبة أو عقوبة أو أتاوة ، أو خراجا . وأوجب عليهم دفعه إليه ، وذلك كما يقال"وظف عليهم وظيفة وضرب عليهم مالا ، وأوجب عليهم مالا وشاهده ما ورد في مغازي الواقدي أيضا ، قال : قال خفاف بن إيماء : مرّ أبي على عتبة ابن ربيعة ، وهو سيد الناس يومئذ . فقال له : يا أبا الوليد ما هذا المسير ، قال : لا أدري ، والله غلبت . قال أبي : فأنت سيد العشيرة فما يمنعك أن ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك ؟ وتحمل العير التي أصابوا بنخلة ، (فتوزّعها على قومك) فوالله لا يطلبون قبل محمد إلا هذا" . إنه قال : (فتوزّعها على قومك) أي يؤدوها إلى مستحقيها مفرقةً عليهم .

قل : وفّقه الله للخير والإنجاح .

ولا تقل : وفّقه الله إلى الخير والإنجاح .

وذلك لأن وفقه الله للشيء ، معناه جعله وفقاً له أي موافقا ومطابقا له وملائما ، فهذا موضع اللام ، لا موضع إلى ، والقاعدة العامة في اللام وإلى ، هي جواز أن توضع اللام مكان إلى ، ولا يجوز العكس ، لأن المراد بوضع اللام موضع إلى هو التخفيف فإذا وضعت إلى موضع اللام ، كان تطويلا وتثقيلا ، فضلا عن استعمال الحرف في غير معناه ، يقال : "دعاه إلى الطعام ، ودعاه للطعام ، وقدم إليه هديةً ، وقدم له هديةً ، وقصد إليه وقصد له ، وعمد إليه وعمد له ، وأهدى إليه وأهدى له" . ويقال : وفقه الله للخير ، ولا يقال : وفقه إلى الخير ، ويقال : نصح له ، ولا يقال : نصح إليه ، ورضخ له من ماله شيئا ، ولا يقال : رضخ إليه ،

ووهب له مالا ، ولا يقال : وهب إليه ، وتعرّض له ، ولا يقال تعرّض إليه ، وقد يقول الذين لا علم لهم بالفصاحة" تعرّض إليه" ، كما قال غير الفصحاء" وفّقه الله إلى الخير" ، والاحتجاج بالتضمين عند الشعور بالخطأ ، هو حجة المخطئ المقوية ، لا حجة الفصيح القوية .

قل : الهندسة العِمارية والمهندس المِعمار .

ولا تقل : الهندسة المعمارية ولا المهندس المعماري .

وذلك لان الأشياء ، من الفنون والعلوم والآداب ، ينبغي أن تنسب ، عند إرادة النسبة ، إلى الفن نفسه ، والعلم نفسه ، والأدب نفسه ، وليس في الفنون والعلوم فن أو علم يسمى "المعمار" ، حتى ينسب إليه ، فالمعمار صفة مشتقة ، من الفعل" عمر يعمر عمرانا وعمارة وإن أردت الحقيقة ، فالمعمار اسم آلة ؛ استعيرت صيغته لتأدية المبالغة ، كالمفضال والمحواج والمذياع "للكثير الفضل" ، والكثير الحاجة ، والكثير الإذاعة ، فأنت لا تقول"الشؤون التاجرية" ، بل الشؤون التجارية ، ولا تقول "الأحوال الصّانعية" ، بل "الأحوال الصناعية" ، فكذلك ينبغي أن يقال "الهندسة العِمارية" ، نسبة إلى العمارة لأن الفن والصناعة هي العَمارة .

وإذا كان المعمار يُراد به الوصف في الأصل ، ثم نقل إلى الاسمية ، يكون كالتاجر والصانع والمهندس ، والطابع والمنجّم ، فلا يقال لهؤلاء "التاجري والصانعي ، والمهندسي والطابعي والمنجّمي ، حتى يقال"المعماري" . فالصواب"المهندس المِعمار" أو "المعمار" وحده . ومما يحضرني من شواهد استعماله وصفا للمبالغة ، قول أبي الفوارس سعد ابن محمد التميمي ، يمدح الوزير جمال الدين أبا جعفر محمد ابن علي الأصفهاني ثم الموصلي :

وتقــرّ عين مــحـــمــــد بمحـــمــــد

مـــحـــــيي دريسي علمــــه والمنزل

مـــعـــمـــار مــــرقـــده وحـــافظ دينه

ومــــعين أمــــتـــــه بجـــود مـــســـبل

ومن شواهد استعماله اسما من الأسماء ، ما ذكره ياقوت في معجم الأدباء ، في أخبار الأمير ابن أبي حصينة الشاعر ، مع الأمير محمود بن صالح بن مرداس ، في بناء دار : "يا مولانا هذا الرجل تولى عمارتها ، ولا أدري كم صرف عليها ؟ فسأل المعمار (فقال) : غُرِم عليها ألفي دينار مصرية" ، ومن ذلك أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، البغدادي المعروف بابن المعمار ، مؤلف كتاب الفتوة ، وقد نشره مع جمعية من الفضلاء ، ويجمع المعمار على المعامير ، كالمذياع والمذاييع ، والمفضال والمفاضيل ، ولا يجوز معمارون ، لأنه اسم آلة في الأصل كما ذكرت فلا يجمع جمع مذكر سالما .

قل : هو رجل أبله ، وهي امرأة بلهاء ، وهم رجال بله وهن نساء بله .

ولا تقل : هم رجال بلهاء .

وذلك لأن "الأبله" صفة من صفات العيوب الظاهرة ، كالأخرق والأحمق والأنوك والألوث والأثول ، والمؤنث"بلهاء" كخرقاء وحمقاء ، ولوثاء وثولاء ، ويجمع الأبله ومؤنثه البلهاء ، على بله ، أي وزن فعل ، ولم يسمع فيه غير ذلك ، وجاء في الحديث النبوي الشريف : أكثر أهل الجنة البله ، فالبله جمع أبله ، والأبله ، كما في لسان العرب ، وهو ذو البله والبلاهة ، والبلاهة هي غلبة سلامة الصدر ، وحسن الظن على الإنسان ، جاء في لسان العرب في تسمية السليمي الصدر بالبله "لأن

البُله أغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها ، وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها ، فاستحقوا أن يكونوا أكثر أهل الجنة فأما الأبله ، وهو الذي لا عقل له فغير مراد في الحديث : (أكثر أهل الجنة البله) فإنه (عليه الصلاة والسلام) عنى البله في أمر الدنيا ، لقلة اهتمامهم بها ، وهم أكياس في أمر الآخرة ، قال الزبرقان بن بدر : خير أولادنا الأبله العقول . يعني أنه لشدة حيائه كالأبله ، وهو عقول ، وقد بله فلان يبله بلها وبلاهة" ، وجاء في لسان العرب أيضا : "قال أحمد ابن حنبل في تفسير قوله : استراح البله ، قال : الغافلون عن الدنيا وأهلها ، وفسادهم وغلهم ، فإذا جاؤوا إلى الأمر والنهي فهم العقلاء الفقهاء" . قال : "والمرأة بلهاء وأنشد ابن شميل :

ولقــــد لهـــوت بطفلة مســـيـــالة

بلهـــــاء تطلعني على أســـــرارها

وأنشد غيره :

من امـــــرأة بلهــــــاء لم تُحـــــفظ ولم تُضـــيّع

يقول لم تُحفظ لعفافها ، ولم تضيع مما يقوتها ويصونها ، فهي ناعمة عفيفة .

قال : البلهاء من النساء الكريمة الغريرة المغفلة . . والأبله : أيضا الرجل الأحمق الذي لا تمييز له . . وفي التهذيب : الأبله الذي طبع على الخير فهو غافل عن الشر لا يعرفه ، وقال النضر بن شميل : الأبله الذي هو ميت الداء يريد أن شره ميت لا ينبه له ، وعيش أبله : واسع قليل الغموم ، ويقال شاب أبله لما فيه من الغرارة . .

وقال الأزهري : الأبله في كلام العرب على وجوه ويقال : عيش أبله إذا كان ناعما . . . " .

وخلاصة الكلام أن الأبله صفة حسنة إذا كانت البلاهة في أمور

الدنيا مقرونة بالفقاهة في أمور الآخرة ، وصفه قبيحة إذا كانت صفة عامة ، وتظهر بلادة الذهن ، وفيولة الرأي وسخافة العقل .

قل : قاسَوا عذابا أليما ، وتمادَوا ، في سكوتهم ، وسمَّوا أنفسهم شجعانا .

ولا تقل : قاسُوا عذابا ، ولا تمادُوا في سكوتهم ، وسمُّوا أنفسهم شجعانا .

هذه أمثلة من الخطأ ، في تصريف الأفعال ، يكررها كثير من المذيعين والخطباء والقارئين ، في المشرق والمغرب ، وطائفة من الناطقين بها وأمثالها ، والسبب في ارتكاب مثل هذا الخطأ ، قلّة العلم بتصريف الأفعال ، وضعف تعليمه ، وضآلة العناية به والنظر إليه نظر الاستهانة والاستخفاف مع أن الصرف أو التصريف على التسمية الأخرى ، من ضرورات العلم باللغة العربية ، في النطق بها ، والكتابة فيها ، وقد يخفى الغلط الصرقي في الكتابة ، وينجو الكتاب من المؤاخذة عليه ، ولكنه يظهر في النطق ويبرز في اللفظ ، فيقول قائلهم" قاسوا عذابا أليما ، وتمادُوا في سكوتهم ، وسمُّوا أنفسهم شجعانا مع أن "قاسوا" هذا فعل ثلاثي مصدره القياس ، يقال : قاس الشيء ، وقاساه قياسا كلاهما ، وقاسوه كلهم . مع أن مراد القائلين هو "قاسوا" بفتح السين أي كابدوا وعانوا وتحمّلوا ، وهو مأخوذ من قسا يقسو قسوة وقساوة ، ولا صلة له بقياس يقيس ، فالغلط في حركة واحدة وهي الفتحة قلب صورة الفعل وغيّر معناه تغييرا تاما واللغة العربية تتغير بتغير الحركات إذا كانت من أصل ثلاثي واحد ، فكيف الحال ، إذا أخرجها تغير الحركات من أصلها ، وأصارها إلى أصل آخر ، كما في قاسَوا وقاسُوا ، وسمَّوا من الاسم ، وسمُّوا من السم ؟ أو قلبها إلى صيغة أخرى من الأفعال ؟

ورأس الخطأ ، في هذه الأوهام جهل تصريف الفعل المعتل ، وخاصة المعتل بالألف الظاهرة ، المنقلبة عن ياء أو واو ، نحو "دعَوا ورمَوا وعانَوا ولاقَوا ، وتمادَوا وسمَّوا ، وسوَّوا وعادَوا وغدَوا" فالألف في مثل هذا ، تحذف وتبقى الفتحة دليلا عليها ، نحو" عادى يعادي وعادوا يعادون" فإذا أخطأنا في الحركة وقلنا : وعادُوا ، لبيان العدوان ، صار بمعنى رجعوا وآبوا ، وتغير من العداوة إلى العودة أي الرجوع والإياب ، وشتان ما بينهما . وإذا قلنا "لاقُوا" بمعنى لاقَوا ، انقلب الفعل الماضي إلى فعل أمر ، وأنا أعجب اشد العجب ممن يتكسب باللغة العربية ، ولا يكلف نفسه معرفة المبادئ من قواعدها ، والضروري من نحوها وصرفها ، والدهر يأتي بالعجب .

قل : فعلت خَصِّيصى وخاصة وخصوصا

ولا تقل : فعلتُ هذا خصيصا

وذلك لأن "الخِصِّيص"صدر الفعل "خصّ يخصّ" كما يقال : خلف يخلف خليفي ودل يدل دليلي وهو من المصادر النادرة نحو "بز بزيزي وخلس خليسي وخلب خليبي وشم شميمي وقتّ قتيتي ونغض نغيضي ومكث مكيثي وزل زليلي وردّ رديدي وفخر فخيري ومسّ مسيسي ودسّ دسيسي وسبّ سبيبي وهجر هجيري أي هذى هذيانا ، وغير ذلك ، واستعمال"خاصة" وخصوصا أسهل من "خصيصي" .

أما "خَصيص" فهي صفة مولدة ، بمعنى المختص والقريب والمقرّب والخليل ، تقول : كان هذا الرجل خصيصا بأبي وأنا خصيص بابنه ، وجمع الخصيص أخصّاء كحبيب وأحباء ، جاء في كتاب الديارات للشابشتي "وكان خصيصا به أثيرا عنده" وجاء في تجارب الأمم لمسكويه"وكان خصيصا بأبي محمد الحسن" .

قل : توفر عليه

ولا تقل : توفر له

قال الفصحاء" توفر الشيء عليه" لا له ، و "توفر فلان على فلان" . ونحن لا نقول كقول أسعد خليل الداغري :

"ويستعملون الفعل توفر بمعنى وفر أو توافر أي كثر فيقولون : يجب أن تتوفر فيه الخبرة التامة . وهذا الأمل لم تتوفر فيه الأسباب الكافية . وفي اللغة توفر عليه رعى حرماته وصرف همته إليه[١] فإن هذا الرجل كان متسرعا متترعا بله أن توفر ورد في كلام الفصحاء وأنه يختلف عن الفعل "توافر" فهذا بمعنى : تكاثر ، والقائل توفر لم يرد التكاثر بل أراد : تجمَّع وحصل ، ولكنهم يستعملون "على" معه ، قال زياد ابن أبيه : "ما يتوفر على من تهالك غيرهم على العمارة وأمنهم جوري أضعاف ما وضعت عن هؤلاء[٢] . وقال رجل لآخر من أهل الكوفة : وأنا أسألك أن تقوم معي إلى رحلي فتكون في ضيافتي إلى الكوفة وتتوفر دنانيرك عليك[٣]" . وقال ابان بن عبد الحميد اللاحقي لأبي نواس : "فإن أنت توليته[٤] مع تشاغلك بلهوك ولذتك (لم يتوفر عليك فكرك) وخاطرك ، ولم يخرج بالغا في الجودة والحسن ، وإن (توفرت عليه) واهتمت به قطعك ذلك عن لهوك ولذتك ومتعتك"[٥] . وقال مسكويه : "وكانت الكرامة(متوفرة عليه) من الأمير أبي عبد الله الحسين من أبي علي العارض[٦]" . يعني البريدي ثم قال : "وأومأ إلى مصالحته على مال يحمله يقوم بما أنفق على ذلك العسكر(وتتوفر ، بعد

(١) تذكرة الكاتب"ص٦٦"

(٢) شرح نهج البلاغة "مج ١ ص١٢٦"

(٣) الفرج بعد الشدة للقاضي المحسن التنوخي" ٢ : ٤٢ بمطبعة الهلال" .

(٤) أراد ترجمة كليلة ودمنة شعراً .

(٥) طبقات الشعراء لابن المعتز"ص٢٤١ طبعة دار المعارف بالقاهرة" .

(٦) تجارب الأمم "٥ : ٣٨١طبعة فرج الله الكردي بالقاهرة" .

ذلك بقية على خزانة السلطان ويضمن إصلاح حاله)[١]" .

وقال الوزير أبو شجاع ناقلا "فقال له الصوفي : هذا شيء نحب أن يتوفر عليك وقد عملت لأصحابنا ما يصلح لهم[٢]" .

وقال ابن أبي الحديد : "فليت شعري ما يتوفر على أبي بكر وستة نفر معه[٣]" وقال سبط ابن الجوزي : هو الذي أشار بخراب عسقلان (لتتوفر) العناية على حفظ القدس[٤] . وجاء في كتاب الحوادث الذي سمي غلطا بالحوادث الجامعة"فأمر السلطان بإجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد (فتوفر عليهم) شيء كثير[٥]" .

فهذه شواهد الواقع اللغوي لاستعمال" توفر عليه"من عصر زياد ابن أبيه إلى القرن السابع للهجرة ، وجاء في لسان العرب"وتوفر عليه أي رعى حرماته . . . وتوفر على فلان يبره" ولم يخرج عن ذلك الحرف ، وليست نيابة حروف الجر بعضها عن بعض قياسية وأن ورد أكثرها في الشعر وأقلها في النثر ، ألا تراك لا تقول : "غضبت له" بمعنى غضبت عليه ولا"تعصبت له" بمعنى تعصبت عليه ، ولا"حكمت له" بمعنى حكمت عليه ، ولا"وظفت له" بمعنى وظفت عليه ، ولا "قلت له" بمعنى قلت عليه ، ولا "توقفت له" بمعنى وقفت عليه ، فالصواب أن تقول : "توفر عليه" .

قل : الإرواء والتروية لسقي الزرع والغرس

ولا تقل : الرَي ولا الرِّي ولا الرَّوى

وذلك لأنه يقال . روي الزرع أو الغرس بنفســه من الماء ، يروي رِيا

---

(١) المرجع المذكور"٦ : ٢٧٤) .

(٢) ذيل التجارب "٧ ، ١٩٤"مع التجارب" .

(٣) شرح نهج البلاغة"٤ : ٩٢" .

(٤) مختصر مرآة الزمان"٨ ، ٤١٢"طبعة حيدر آباد" .

(٥) كتاب الحوادث"ص٤٩٢" .

وريا وروى ، ويقـال تروّى ترويا ، فـإذا سـقـاه الإنسـان بالإجـراء أو الإساحة ، أو بطريقة من الطرائق غيرهما ، قيل"أرواه يرويه إرواءاً ورواه يروّيه ترويةً ، قال الجوهري في الصحاح : "رويت من الماء بالكسر أروي ريا وريا أيضا وروى أيضا ، مثل رضا ، وارتويت وترويت كله بمعنى" .

وجـاء في لسـان العـرب "رَوِيَ من الماء بـالكسـر ، ومن اللبن يروى ، ريا وروي أيضـا ، مثل رضـا ، وتروي وارتوى كله بمعنى ، والاسم الري أيضا ، وقد أرواني ، ويقال للناقة الغريرة وهي تروي الصب . . انتهى ، وقد نقل أكثر كلام الجوهري في الصحاح ، إلا أنه جعل "الري اسـمـا للمـصـدر ، وزاد عليـه الرباعي المتـعـدي ، وهو"أرواني" ومـصـدره"الإرواء" ويقـال للمـبـالغـة "روّاه يروّيه تروية" ، قـال عـويف القوافي ، يرثي سليمان بن عبد الملك :

ذاك سـقـى ودْقـا فـروّى ودقـه

قـبـرَ امـرئ أعلم ربي حـقـه

قال أبو العباس المبرد : وقوله : ذاك سقى ودقا فروّى ودقه ، يقال فيه قولان أحدهما : فروى الغيم ودقه هذا القبر ، يريد من ودقه فلما حذف حرف الجر عمل الفعل ، والقول الآخر كقولك : رويت زيدا ماءاً . وروّى أكثر من أروى لأن روى لا يكون إلا مرة بعد مرة ، يقول : فروى الله ودقه أي جعله رواءاً" انتهى . وقال ديك الجن :

رويت من دمـهـا الثـرى ولطالما

روّى الهـوى شـفـتيّ من شـفـتيـهـا

وقد ورد"روى يروي" متـعـديا بالحرف ، وهو بمعنى استقى ، قـال الجوهري في الصحاح : قال يعقوب بن السكيت : رويت القوم أرويهم إذا استقيت لهم الماء" وجاء في لسان العرب مثله وزاد عليه قوله" يقال رويت على الراوية أروي ريا إذا شددت عليها الرِّواء" يعني الحبل الذي يروى به على الراوية ، ثم قـال "ورويت على أهلي ولأهلي ريا أتيـتـهم

بالماء" . فعلمنا أن أصل قولهم "رويت القوم أرويهم" هو "رويت القوم ورويت عليهم" أي استقيت لهم ، معلوم أن الاستقاء غير تروية الزرع واروائه ، فقل : الارواء أو التروية ، ولا تقل الري والروي بهذا المعنى :

قل : كان ثوبه أدكن وكانت جبته دكناء .

ولا تقل : كان ثوبه داكنا ولا كانت جبته داكنة .

وذلك لأن الوصف من الألوان ، يأتي للمذكر على وزن "أفعل" كأبيض وأحمر ، وللمؤنث على وزن فعلاء ، كبيضاء وحمراء ، والأدكن والدكناء لونهما الدكنة ، وهي الغُبرة والميل إلى السواد ، جاء في لسان العرب : دكن يدكن دكنا وأدكن وهو أدكن" . ومؤنث الأدكن دكناء ، كما هو معلوم ، وسمّى لبيد بن ربيعة زق الخمر "الأدكن" لسواد لونه قال في معلقته :

اغلي السّباء بكل أدكن عاتم
أو جونه قدحت وفُضّ خِتامسها

وإذا اتسخ الثوب أو أصابه الدخان كثيرا واغبر لونه صار أدكن ، وإذا اشتدت السمرة ضاربة إلى السواد فهي دكنة ، وكما لا يقال للأبيض بائض ولا للأحمر حامر ، ولا للأصفر سافر ، ولا للأسود ساود ، كذلك لا يقال : للأدكن داكن ولا للدكناء داكنة فقل : أدكن ودكناء .

قل : رأيت أضواءاً وسمعت أنباءاً وطفت أنحاءاً وعرضت آراءاً وعددت أسماءاً .

ولا تقل : رأيت أضواء وسمعت أنباء وطفت أنحاء

فهذه الأسماء وأمثالها من أسماء الجنس الثلاثية مصروفة أي قابلة

للتنوين في أنواع الإعراب الثلاثة : الرفع والنصب والجر ، إذا كانت نكرات كما جئت بها في الأمثلة ، أما الأسماء الممدودة الممنوعة من الصرف فهي المختومة بألف تأنيث ، مفردة كانت أو جمعا ، فالمفردة مثل عذراء وسوداء وحسناء والجمع مثل"أنبياء وعقلاء وأوداء وأعزاء" .

وأما "أشياء" فقد منعت من الصرف أي التنوين كقوله تعالى"لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسوءكم" لأنهم اختلفوا في أصل كلمة"شيء" أثلاثية هي أم رباعية ؟ ومجيئها ممنوعة من الصرف في القرآن الكريم يدل على أن أصلها رباعي ثم اختصرت ، كأن يكون أصلها"شييء" مثل "نبي" فجمعت على أشيياء ثم على أشياء مثل أنبياء ثم اختصرت فقيل"أشياء" لثقل أشيياء على اللسان وبقيت ممنوعة من الصرف للدلالة على أصلها ، وقيل جُمع الشيء أيضا على أشاوي وأشايا وأشياوات ، وقلب الهمزة واوا يدل على أن الأصل رباعي وأنها لمد ألف التأنيث .

قل : استصحب فلان زوجته في السفر أي زوجه .

ولا تقل : اصطحب زوجته في السفر .

وذلك لأن المراد بهذه الجملة ، هو جعله زوجته صاحبة ورفيقة له ، في السفر كما هي صاحبته وحليلته في الحضر ، والفعل الذي يؤدي هذا المعنى ، هو"استصحب" ، مثل استبدل واستعمل ، واستحجب واستوزر ، أي اتخذ بدلا ، وعاملا ، وحاجبا ووزيرا ، وأصل استصحب : دعا إلى الصحبة ، ثم توسع في استعماله كاستخرج ، فأصله دعا إلى الخروج ، قال مؤلف لسان العرب ناقلا : "واستصحب(فلان) الرجل : دعاه إلى الصحبة ، وكل ما لازم شيئا فقد استصحبه قال :

إن لك الفضل على صحبتي

والمسك قد يستصحب الرامكا

ويقال :"استصحبته الكتاب وغيره" . انتهى المنقول من لسان العرب .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة (يقال) "استصحبتُ الكتاب وغيره : حملته صحبتي . ومن هنا قيل : استصحبت الحال إذا تمسكت بما كان ثابتا ، كأنك جعلت تلك الحالة ، مصاحبة غير مفارقة" ، وجاء في نهج البلاغة"اللهم أنت الصاحب في السفر ، وأنت الخليفة في الأهل ، ولا يجمعهما غيرك ، لأن المستخلف لا يكون مستصحبا ، والمستصحب لا يكون مستخلفا" . وذكر ابن خلكان في أخبار بعض السلاطين السلجوقيين . أنه كان معه مارستان مستصحب أي مستشفى سيار .

أما "اصطحب" فهو فعل اشتراك ، جاء في لسان العرب : "واصطحب الرجلان وتصاحبا ، واصطحب القوم : صحب بعضهم بعضا ، وأصله اصتحب . . . إلى آخر كلام المؤلف ، فاصطحب إذن يساوي تصاحب ، ولا يصدر إلا من جهتين أو أكثر منهما ، مثل ذلك اصطحب الرجلان ، وقال الزمخشري في أساس البلاغة : "واصطحبوا وتصاحبوا" . وقال ابن القفطي في أخبار الحكماء ، في ترجمة ثابت بن قرة الحراني الصابي : "كان صيرفيا بحران اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر ، لما انصرف من بلد الروم" . فقوله"اصطحبه" يريد به استصحبه ، فأخطأ وجه الصواب ، والظاهر لنا أن هذا الخطأ قديم ، على حسب ما دل عليه هذا الكتاب ، أعني أخبار الحكماء للقفطي ، إن لم يكن هناك تحريف في النسخ .

واصطحب الرجلان ، واصطحب الرجال من الأفعال اللازمة ، وقد ورد اصطحب متعديا لغير الاشتراك ، جاء في لسان العرب : "واصحب الرجل واصطحبه : حفظه" . فإذا قيل : اصطحب فلان أهله بمعنى ذلك حفظهم وصانهم وحماهم ، وليس هذا هو المعنى المراد بل المراد الاستصحاب .

قل : أمره فأطاع أمره وأذعن له ، وائتمر بأمره .

ولا تقل : انصاع لأمره .

وذلك لأن "انصاع" ، بمعنى انفتل راجعا ، ومر مسرعا ونكص نكوصا سريعا ، وبمعنى تفرّق ، وبمعنى ذهب سريعا ، وكل هذه المعاني لا تدل على الطاعة والإذعان والإئتمار ، قال ابن فارس في المقاييس : "الصاد والواو والعين أصل صحيح ، وله بابان أحدهما يدل على تفرق وتصدع ، والآخر إناء . فالأول قولهم : تصوعوا إذا تفرقوا ، قال ذو الرمة :

عسفتُ اعتساف الصَّدع كل مهيبة
تظل بها الآجال عني تصوّع

. . . ويقال : انصاع القوم سراعا : "مروا" . وقال الجوهري في الصحاح :"صنعت الشيء فانصاع أي فرقته فتفرق ومنه قولهم : يصوع الكمي أقرانه إذا أتاهم من نواحيهم . . . وانصاع : أي انفتل راجعا ومر مسرعا والتصوع : التفرق . . ."

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : يحوذهم . . ومنه انصاع القوم إذا مروا سراعا" . وعقّب الأزهري على التفسير القديم قال : "ومعنى الكمي يصوع أقرانه أي يحمل عليهم فيفرق جمعهم" . وقال الفيروزأبادي في القاموس : "انصاع : انفتل راجعا مسرعا" .

هذا ما ذكره اللغويون الذين ذكرناهم ومن سواهم من معاني"انصاع" وينبغي لنا أن نبحث عن الواقع اللغوي لهذا الفعل ، فلعل فيه ما يفيد الطاعة والانقياد ، والإئتمار والإذعان ، قال أبو ذؤيب الهذلي ، يصف الثور الوحشي :

فانصاع من حذر فسدّ فروجه
غضف ضوار وافيان وأجدَعُ

قال أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في جمهرة أشعار

العرب : "انصاع : انحرف" . ونحن نعلم أن الانحراف ضد الطاعة والإذعان ، وقال الأخطل التغلبي :

فانصاع كالكوكب الدري مَيْعَتُه
غضبان يخلط من معج وإحضار

قال أبو زيد أيضاً : «انصاع : انحرف» فأكد قوله السابق ، وقال ذو الرمة :

فانصاع جانبه الوحشي وانكدرت
يلجن لا يأتلي المطلوب والطلب

قال أبو زيد : "فانصاع أي انحرف" . وهذه المرة الثالثة التي يفسر فيها الفعل المذكور بكلمة واحدة بعينها .

ونعود إلى استعمال"أطاع" ، بدلا من"انصاع" ، فنجده صوابا ونلفي أطاع من الوضوح بحيث يكون شرحه من تحصيل الحاصل ، وكذلك الائتمار ، ويبقى "أذعن" قال ابن فارس في المقاييس : "الذال والعين والنون أصل واحد ، يدل على الاسحاب والانقياد ، يقال أذعن الرجل إذا انقاد ، يذعن إذعانا ، وبناؤه ذ ع ن إلا أن استعماله "أذعن" هو الراجح ويقال ناقة مذعان : سلسة الرأس منقادة" . وجاء في لسان العرب"قال الله تعالى : وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، قال ابن الأعرابي : مذعنين : مقرين خاضعين وقال أبو إسحاق جاء في التفسير : مسرعين . قال : والإذعان في اللغة الإسراع مع الطاعة ، وقال الفراء : مذعنين : مطيعين غير مستكرهين ، وقيل : مذعنين منقادين ، الإذعان الانقياد ، وأذعن الرجل : انقاد وسلس" انتهى . وذكر استعمالا آخر إلا أن المعنى العام هو كما ذكرنا آنفا : الإسراع مع الطاعة ، مع أن الانصياع إسراع وانحراف ، ونكوص ومرور سريع فلا يشعر بالطاعة ، جاء في كليلة ودمنة قوله : " بما يدعوه إليه من طاعته والإذعان لدولته" ، فقل ، أطاع أمره وائتمر به ، وأذعن له إذعانا ، ولا تقل : انصاع لأمره .

قل : ثبت ذلك بدلالة كذا وكذا ، وهذا ثابت بدلالة كذا وكذا .

ولا تقل : بدليل كذا وكذا .

وذلك لأن موضع هذا موضع المصدر ، أو ما يقوم مقامه وهو اسمه ، فأنت تقول : ثبت هذا بدلالة ما قدمنا من القول كما تقول : ثبت الحق بشهادة فلان ، وأنت لا تقول : ثبت الحق بشاهد فلان ، لأن فلانا هو الشاهد ، قال أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة : "فإن الحد راجع إلى واضعه ومنقيه ، بدلالة أنه يضعه ويفصله ، ويخلصه ويسويه ويصلحه" . وقال أبو الفتح بن جني في كتابه"سر صناعة الإعراب" : "لأن التذكير هو الأصل بدلالة أن الشيء مذكر وهو يقع على المذكر والمؤنث" . هكذا كان يقال في القرن الرابع للهجرة ، وفيما قبله ، ثم نشأ قولهم"بدليل كذا"ومن المؤسف أننا نرى هذا الخطأ كثيرا ، في كتب النحويين ، الذين عليهم المعول في حفظ اللغة من اللحن ، والسبب في شيوعه في كتبهم كونهم من الأعاجم العائشين في بلادهم فإذا غلط بعضهم قلدوه في غلطه .

قل : الحقوق القبيلية ، والرسوم الكنيسية .

ولا تقل : الحقوق القبلية والرسوم الكنسية .

وذلك لأن القبيلة والكنيسة اسمان من أسماء الجنس أعني أن القبائل كثيرة ، والكنائس كثيرة ، فلا يجوز حذف الياء منهما ، عند النسبة إليهما ، أما حذف الياء فيكون مقصورا على الأعلام ، كقبيلة بجيلة وجزيرة ابن عمر ، وقبيلة ثقيف ، وعتيك ، وجهينة وعرينة وسُلَيم وهُذيل ، فيقال "بجلي وجزري وثقفي ، وعتكي ، وجهني وعرني وسلمي وهذلي ، ومع وجود هذه القاعدة الخاصة بالأعلام ، شذ منها"تميمي" لأنه مضعف فلم يقولوا "تمي" وشذ منها من النسب إلى البلدان والمواضع نوادر ، كالحديثي نسبة إلى الحديثة ، والحظيري نسبة إلى الحظيرة ،

والقطيعي نسبة إلى محلة القطيعة ببغداد ، فإن كانت هذه القاعدة لا يبنى عليها إلا في الأعلام ، وكثر الشذوذ منها في الأعلام بأعيانها فكيف يبنى عليها في أسماء الجنس ، كالبديهة والقبيلة والكنيسة ؟ فإن جاز حذف الياء في العلم فذلك لأن العلم له من الشهرة والاستفاضة ما يحفظه عند الحذف ، وله من قوة المنسوب ما يميزه من غيره ، ويبعده عن اللّبس .

ومن الخطأ القديم الذي ارتكب في هذه النسبة ، قولهم "فلان الفرضي" نسبة إلى علم الفرائض بدلاً من الفرائضي ، قال أبو سعد السمعاني في الأنساب ، وعز الدين بن الأثير في اللباب ، "الفرائضي . . ويقال لمن يعلم ذلك ، فَرَضي وفرائضي وفارض" وذكر من الفرائضيين أبا الحسن الجرجاني الفرائضي ، وقد توفي سنة ٣٥٤هـ ، وأبا الليث الفرائضي وقد توفي سنة ٣١٤هـ ، فنسبه الفرائضي سابقة للفَرَضي ، بنحو مائة سنة ، وهذا يدل على أن الخطأ حدث في القرن الرابع للهجرة .

وبناء بعض الصرفيين القاعدة على الغلط حمل غيره على أن يعد الصواب غلطا في قول الشاعر :

ولست بنحوي يلوك لسانه

ولكن سليقي يقول فيعرب

فالنسبة إلى السليقة ، سليقي لأنها من أسماءالجنس ولايجوز حذف الياء ، ومن يقل سلقي ، فقد سلق اللغة العربية وصلقها ، فقل بديهي وقبيلي ، وكنيسي وسليقي ، ولا تقل

بدهي وقبلي وكنسي وطبعي .

.

قل : هو الأمر الرئيس بين الأمور ، وهي القضية الرئيسة بين القضايا .

ولا تقل : الأمر الرئيسي والقضية الرئيسية .

وذلك لأن"الرئيس" والرئيسة ، في هاتين العبارتين وأمثالهما ، هما من الصفات المصوغة على وزن فعيل ، ومؤنثه فعيلة ، كالشريف والشريفة ، والنجيب والنجيبة ، والعظيم والعظيمة ، قال ابن مكرم في لسان العرب : رأس القوم يرأسهم بالفتح أي بفتح الهمزة ، رآسة وهو رئيسهم ، ورأس عليهم فرأسهم وفضلهم ، ورأس عليهم كأمر عليهم يعني صار أميراً عليهم" ثم قال : "قال ابن الأعرابي : رأس الرجل يرأس رآسة ، إذا زاحم عليها وأرادها ، وكان يقال إن الرئاسة تنزل من السماء ، فيعصب بها رأس من لا يطلبها" .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : "ومن المجاز رأستُ القوم رآسة ، قال النمر بن تولب :

ويوم الكلاب رأسنا الجموعَ

ضرارا وجمعَ بني منقر"

وقد استعيرت الرآسة من الإنسان لغيره على سبيل المجاز أيضا ، فقيل الأمر الرئيس والقضية الرئيسة ، أما إضافة الياء المشددة إلى الصفة كأن يقال"الرئيسي والرئيسية" فليست من الاستعمالات العربية ، ثم إن إضافة الياء المشددة التي هي ياء النسبة ليست قياسية في غير النسبة ، وقول الراجز"والدهرُ بالإنسان دوّاري" هو من قبيل الضرائر ، وإلا فكيف يقال للشريف شريفي ، وللعجيب عجيبي وللكبير كبيري ، فذلك عبث باللغة فظيع ، قال الشريف الرضي في كتابه المجازات النبوية : "لأن القلب سيد الأعضاء الرئيسة والأحناء الشريفة" . وقال أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة : "ولكل واحد من الحيوان ثلاثة أرواح في ثلاثة أعضاء رئيسة" وذكر ابن النديم في الفهرست كتابا اسمه"سير العضو الرئيس من بدن الإنسان" وذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم" الأعضاء الرئيسة في الإنسان" وذكر الثعالبي في كتاب الطرائف قول الشاعر :

وجدت رئيسة اللذا

ت أربعة متى تحسب

وقال نصر الله بن الأثير في رسائله : "فلم يرضَ إلا بالرأس من الأعضاء الرئيسة" . وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : "فإن الجوع المفرط يورث ضعف الأعضاء الرئيسة واضطرابها واختلال قواها" . وقال العلامة الصاغاني في كتابه مجمع البحرين : "والأعضاء الرئيسة عند الأطباء أربعة : وهي القلب والدماغ والكبد والأنثيان . ويقال للمتقدمة رئيسة من حيث الشخص على معنى وجود (الإنسان) بدونها أو بدون واحد منها لا يمكن ، والرابع رئيس من حيث النوع ، ومن قال إن الأعضاء الرئيسة هي الأنف واللسان وغيرهما فقدسها" .

وقد رأيت هذا الخطأ ، أعني استعمال النسبة بغير باعث عليها ولا ملجئ إليها في كلام القلقشندي مؤلف "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" قال : "وأما استيفاء الدولة فهي وظيفة"رئيسية"وعلى متوليها مدار أمور الدولة في الضبط[١]" . والصواب"وظيفة رئيسة" كما قدمناه ، واستعمل الأتراك العثمانيون هذا الغلط في عباراتهم فقد كانوا يقولون"رئيسي جمهور" بمعنى"رئيس جمهورية" وسرى الخطأ من الجهتين إلى الكتّاب حتى أعثرنا الله تعالى على الصواب .

قل : إن هذه الأمسيّة فريدة بين الأماسي .

ولا تقل : هذه الأمسيَةُ (بالتخفيف) .

وذلك لأن "الأمسية" بمعنى المساء أصلها أمسُويَة على وزن أفعولة فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء الأخيرة ، فصارتا ياء مشددة أي أمسية ، كالأغنية وأصلها أغنوية ، والأمنية أصلها أمنوية ، والأحجية أصلها أحجوية ، والأضحية أصلها أضحوية ، كالأضحوكة والأغلوطة ، والأنشودة والأحدوثة ، وللأفعال ذوات الوجهين صورتان الأصلية والإبدالية وكالأدحيّة والأدحوّة لمبيض النعام . فالأدحية التي أصلها

(١) صبح الأعشى "ج٤ س٢٠"

"أدحويّة" مشتقة من دحى الشيء يدحاه دحوا أي بسطه ، والادحوة التي لا إبدال فيها ، هي من دحا الشيء يدحوه دحواً أي بسطه وذوات الياء منها أكثر من ذوات الواو في الاستعمال ، لأن الياء في هذا أخف من الواو ، فقولنا "أمسية" على الخطأ هو نقلها إلى "أفعُلة" بحذف الواو ، وكسرت السين لمكان الياء بعدها ، وهذا مخالف للسماع والقياس ، وكل ما خالف السماع والقياس يجب أن يطرح وينبذ ، وشذت "الأنملة" على لغة ضعيفة .

وجمع الأمسية أماسي كأماني جمع الأمنيّة ، وأحاجي جمع الأحجيّة وأغاني جمع الأغنيّة ، والتخفيف جائز في الجمع دون المفرد ..

قل : هذا الحمام من حمام الزاجل بالإضافة . أي الحمام الهوادي أو الهادي أو الهدى وحمام البطائق والمراسلة .

ولا تقل : من الحمام الزاجل ، على النعت .

وذلك لأن "الزاجل" هو الرجل الذي يزجل الحمام ، أي يرميه في الهواء يطيره من أبراجه للمراسلة على بعد ، ويقال له أيضا "الزّجال" ، جاء في لسان العرب : "والزَّجْلُ : إرسال الحمام الهادي من مَزْجل بعيد ، وقد زجل به يزجل ، وزجل الحمام الهادي زجلا : أرسلها على بُعد ، وهي حمام الزاجل والزجال ، (نقل ذلك) عن الفارسي" . وقال الجوهري في الصحاح "والزَّجل أيضا إرسال الحمام" . وقال الزمخشري في أساس البلاغة "وزجل الحمام الهادي : أرسله زَجْلاً ، يعني رمياً .

ومما روّج هذا الخطأ أعني قولهم"الحمام الزاجل" بدلا من حمام الزاجل أن "الزجل" ورد في العربية بمعنى الجلبة ورفع الصوت للتطريب ، قال في لسان العرب : "أنشد سيبويه :

له زجل كأنه صوت حادٍ
إذا طلب الوسيقة أو زميرُ

وقد زجل زجلا فهو زَجِل وزاجل وربما أوقع الزَّجل على الغناء ، قال (الراجز) : وهو يغنيها غناءاً زاجلا" والزجل : رفعُ الصوت الطرب ، قال يا ليتنا كنا حمامي زاجل" .

فإذا أريد حمام المراسلة فهو "حمامُ الزاجلِ" وإذا أريد به الحمام المغني أي الهادل الساجع فهو الحمام الزَّجل والزاجل .

وإذ ذكرنا الحمام الهادي وجمعه الهَودي والهُدَّى كالغازي والغُزى نذكر أن العلامة السيد محمد مرتضى الزبيدي عدَّ من مراجع كتابه اللغوي الواسع تاج العروس "كتاب الحمام الهدَّى" لمحمد بن قاسم بن عزرة الأزدي ، وقد ورد اسم هذا الكتاب في طبعة دولة الكويت"ج ١ ص٦" على هذه الصورة" وكتاب الحمام والهدَّى له أيضا" ومحقق هذا الجزء هو الشيخ عبد الستار أحمد فراج المصري ،فعلق على ذلك قوله : بهامش المطبوع : قوله له أيضا أي لابن قاسم ، وفي كشف الظنون أن كتاب (الهدى) لأبي عبد الله محمدبن القيم ، فلعل التحريف وقع في القيم أو القاسم وفيه أيضا أن كتاب اللجام وكتاب الحمام لأبي عبيدة معمر بن المثنى فيحرر"فتأمل هذا التخليط من هؤلاء الفضلاء المعلقين الذين جعلوا الصحيح تحريفا ، وظنوا كتاب حمام الزاجل أي الحمام الهوادي كتابا للهدى والارشاد ، وجعلوا محمد بن القاسم بن عزرة الأزدي "ابن قيم الجوزية" وهكذا فليكن التعليق الفضولي المبني على قلة العلم والتشبع به .

قل : رأيتهم يتكلم بعضهم مع بعض إذا كانوا جماعة رجال ، ورأيتهن تتكلم بعضهن مع بعض لجماعة النساء .

ولا تقل : رأيتهم يتكلم أحدهم مع الآخر ، للجماعة ، ولا رأيتهن تتكلم إحداهن مع الأخرى للجماعة من النساء .

وذلك لان كلمة "بعض" تدل على الواحد والواحدة ، إذا كانت غير

مكررة ، فإذا كررت دلت على الجماعة ، ويراد بالواحد والواحدة ، ماله حيز منفصل ، ومقدار معلوم وجسم غير متصل ، كالإنسان والنخلة واليوم والسنة ، والانفصال طبيعي كجسد الإنسان ، واصطلاحي كاليوم والسنة ، فإذا قلت : رأيت بعض أصدقائي في بعض الأيام ، فمعنى ذلك عند فصحاء الأمة العربية : أنك رأيت أحد أصدقائك ، في أحد الأيام ، قال الله تعالى في التنزيل العزيز ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ، ما كانوا به مؤمنين" . قال "قرأه" ولم يقل غير ذلك فهو واحد ، وقال تعالى"وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ، فلما نبأت به وأظهره الله عليه ، عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ؟ قال : نبأني العليم الخبير" . قال "نبأت به" للواحدة ، وقال تعالى : "قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف ، في غيابه الجب يلتقطه بعض السيّارة ، إن كنتم فاعلين" أي يلتقطه أحد رجال السيارة أي القافلة ، وحسبك استعمال القرآن وإن أحببت الازدياد من الشواهد فإني لا أحسبك إلا سامعاً قول لبيد :

تـرّاك أمكنـة إذا لـم أرضـهـا
أو يرتبط بعض النفوس حمامها

فقد أراد ببعض النفوس نفسه بالبداهة[١] . وقول بشار بن برد :

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وقول أبي دلامة :

أقاد إلى السجون بغير ذنب
كأني بعض عمال الخراج

(١) يراجع شرح شواهد الكافية لعبد القادر بن عمر البغدادي .

فبشار أراد ببعض الحي إحدى نسائه ، وأبو دلامة أراد ببعض عمال الخراج أحدهم .

ولا تستعمل مع أحدهما إلا الآخر ، ولا مع إحداهما إلا الأخرى ، فهذا كلام الفصحاء ، قال تعالى : "واتل عليهم نبأ آدم بالحق ، إذا قربا قربانا ، فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر" . وقال تعالى"فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ، ممن ترضون من الشهداء ، إن تضل إحداهما فتذكر الأخرى الثانية" ، ولم يقل فتذكر إحداهما الثانية لأنه خارج عن كلام العرب الفصحاء ، فإن استبدلت بفصاحة القرآن غيرها فأنت وما تريد .

قل : بعث إليه بكتاب وبهدية .

ولا تقل : بعثتُ إليه كتاباً وبعثت إليه هدية .

وذلك لأن الكتاب لا ينبعث بنفسه أي لا يسير بنفسه ولأن الهدية لا تنبعث بنفسها أي لا تسير بنفسها ، فينبغي أن يكون معهما مبعوث ، وهو المفعول المقدر لاشتهاره ولتساوي وجوده وحذفه في إفادة السامع والقارئ فالتقدير : بعثت إليه رجلاً بالكتاب وبعثت إليه رسولا بالهدية وما جرى مجرى ذلك من التقدير ، مثل"بعثت البريد بالكتاب" وهذا هو التعبير العربي الفصيح المليح .

وكذلك يكون حكم ما أشبه هذا الفعل من الأفعال ، تقول : أرسلت إليه برسالة ووجهت إليه بالأمانة أي الوديعة ، فلا تقل : أرسلت إليه رسالة ولا وجهت إليه الأمانة ، لأنهما لا تذهبان إليه بأنفسهما ، ولا يقتصر ذلك على الجماد بل يشمل الأحياء من الحيوان والأناسي المقهورين ، تقول : بعثت إليه بفرس رائع وأرسلت إليه ببغل فاره ، ووجهت إليه بطائر جميل وبعثنا إليهم بالأسرى ، لأنهم غير مختارين في السير والحركة .

فإذا كان المشار إليه ينبعث بنفسه قلت : بعثت سفيرا وأرسلت رسولا ووجهت مندوبا عني ، وإلا فلك قدوة في قوله تعالى حكاية عن بلقيس"وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون" والتقدير "وإني مرسلة إليهم رسالا بهدية" . بدلالة قولها"فناظرة بم يرجع المرسلون" . فالمرسلون هم الرسل . وقال تعالى "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا" وقال تعالى : "وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به ، ولم يقل أرسل لأن الرسالة النبوية لم تجئ بنفسها .

قل : أمر مُهم وقد أهمَّه الأمر .

ولا تقل : أمر هام وقد همَّه الأمر .

قال الراغب الأصبهاني في مفردات غريب القرآن : وأهمَّني كذا أي حملني على أن أهمّ به قال تعالى : "وطائفة قد أهمَّتهم أنفسهم" . فالأنفس مهمّة إذن لا هامة ، فالشيء المهم هو الذي يبعث الهمة في الإنسان ، ويجعله يهم ويقلقه أحيانا ، ونقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية فقيل له "المهم" وجمع على المهام تكسيرا وعلى المهمات تصحيحا ، وهو بالبداية اسم فاعل من أهمَّه يُهمُه إهماماً .

والهام هو المحزن وهو من همه أي أحزنه حزنا يذيب الجسم ، ولا محل له في تلك الجملة ، وقال ابن السكيت وهو الدليل القريب في اللغة العربية ، قال في كتابه اصطلاح النطق : "ويقال قد أهمني الأمر : إذا أقلقك وأحزنك ، ويقال : قد همني المرض أي أذابني . . ويقال : همّك ما أهمّك" .

وجاء في لسان العرب : "ويقال : همّك ما أهمّك . جعل "ما" نفيا في قوله : ما أهمك أي لم يهمك . ويقال : معنى ما أهمك أي ما أحزنك أو ما أقلقك أو ما أذابك ، يريد أن "ما" في الوجه الثاني تكون اسما موصولا ، ومرادنا من إيراد هذه الجملة المبهمة هو فعلها الرباعي"أهمك

يهمك اهماما ، فهو المستعمل عند العرب في مثل هذا المعنى .

وجاء في لسان العرب ما يُلبس المعنى على القارئ غير الفطن قال : "الهم : الحزن وجمعه هموم ، وهمّه الأمر هما ومهمة وأهمه فاهتم واهتم به" . أراد بقوله : همه الأمر : أحزنه ، لأنه بدأ المادة بتفسير الهم ، مع أن قولنا ، أهمّني الأمر يهمني يعني جعلني أهم به ، بدلالة ما نقل صاحب اللسان بعد ذلك قال : وفي حديث سطيح "شمّر فإنك ماضي الهم شميّر" أي إذا عزمت على شيء أمضيته والهم ما هم به الإنسان في نفسه تقول : أهمني هذا الأمر" . هذا ولو صحت دعوى أن"همه الأمر" بمعنى أهمه الأمر الذي اشتق منه المهم وجمعه المهام والمهمات لسمت العرب"المهم" باسم"الهام" ولجمعته على "هوام وهامات" . ولكن هذا لم يكن ولم يصر إليه قط ، فالهام لم يرد في لغة العرب بمعنى المهم .

ثم إن "همّ" بهذا لو كان فصيحا لاستعمله الفصحاء في كلامهم وخطبهم ورسائلهم ولورد في القرآن الكريم ، فالوارد فيه هو الرباعي قال تعالى في سورة آل عمران : وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء" ؟

نضيف إلى ذلك أن "هم" لو صح بمعنى"أهم" في المعاني المشار إليها ، لفضله الفصحاء على الرباعي ، لأن قاعدة الفصاحة العامة في ذلك تفضيل الثلاثي على الرباعي إذا كانا بمعنى واحد إلا إذا نبه على العكس بالنص والتصريح ، فنعشه أفصح من أنعشه ورجعه أفصح من أرجعه.، ووقفه أفصح من أوقفه ، ونقصه أفصح من أنقصه ، وعاقه أفصح من أعاقه ونتجه أفصح من أنتجه وغاض الماء يغيضه أفصح من أغاض الماء .

أما الشواهد على رجحان "أهمّه يهمه" فهو مهم على قولهم "همّه يهمّه فهو هام" . بعد شاهد القرآن الكريم فكثيرة كقول ابن المقفع في كليلة ودمنة"ويرتاح إليه في جميع ما أهمه" وقوله "فأهمه ذلك وقال : ما كان للأسد أن يغدر بي" . وجاء في نهج البلاغة"ما أهمني أمر أمهلت

بعده حتى أصلي ركعتين وأسأل الله العافية" وقال أبو زينب بن عوف يخاطب عمار بن ياسر : "ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة شهدا لي عما سألت من هذا الأمر الذي أهمني مكانكما" .

ذكر ذلك نصر بن مزاحم في أخبار صفين وقال البراض على رواية الفصحاء :

وداهيـــة تـهم النـاس قـــبلي
شـــددتُ لهـــا بكـر ضلـوعي
هدمتُ بهـــا بيـــوت بني كـــلاب
وأرضــــعت المـوالي بـالضــــروع

وقال عمر بن الخطاب (رض) : دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمّني" . ذكر ذلك البيهقي مؤلف المحاسن .

قل : فلان فائق من جماعة فَوقة وفائقين كفائزين .

ولا تقل : متفوق من متفوقين .

قال مؤلف لسان العرب ناقلاً عن أئمة العربية في لسانه :

"فاق الشيء فَوقا وفَواقا : علاه ، وتقول : فلان يفوق قومه أي يعلوهم ويفوق سطحاً أي يعلوه . . . وقال ابن الأعرابي : "الفَوقة : الأدباء الخطباء" . وقال الجوهري في الصحاح : "فاق الرجلُ أصحابه يفوقهم أي علاهم بالشرف" . وقال الزمخشري في أساس البلاغة : "وفاق قومه : فضلهم ورجل فائق في العلم" . وقال صاحب القاموس المحيط في قاموسه : "فاق أصحابه فوقا وفواقا : علاهم بالشرف" .

وعلى هذا ينبغي أن يقال : فاق فلان غيره في الامتحان أو العلم فوقا وفواقا ، فهو فائق وكان هؤلاء الفوقة في الامتحان والفائقين ، وقد أجيز الفائق بجائزة ، لفواقه الآخرين .

أما "تفوق" فقد ذكر صاحب القاموس أن معناه "ترفّع" ومعنى ترفع هو "تعلى" وقال الزمخشري في الأساس : "وهو يتفوّق على قومه . ولم يفسره ، وأيا كان معناه فإنه يفيد التكبر والتكلف في الفواق مع أن المراد اليوم هو العلو في العلم أو في الأدب أو في الفن أو غير ذلك بقدرة وبغير تكلف ، ومعلوم أن "تفوق" على وزن تفعّل والتفعل في مثله هو أحد وزني الرياء والتكلف ، والوزن الثاني هو "تفاعل" مصدره التفاعل نحو تناوم وتمارض ، أما تفعّل للرياء فمثل ، "تعطّش وتكبر" أي أظهر عن نفسه العطش وليس بعطشان ، وأظهر الكبر في المقام وليس بكبير ولا رفيع ، وترفع مثل ذلك ، إلا أن هذه الأفعال وأشباهها يقل بعدها عن الحقيقة ويكثر على حسب المؤثرات الاجتماعية فتواضع فلان هو من أوزان الرياء إلا أن التواضع مما يستحسنه المجتمع وإن كان رياءاً .

قل : أرصد مبلغا للعُمران ، يرصده ، فالمبلغ مرصدُ للعُمران .

ولا تقل : رَصَدَ مبلغاً له ، فالمبلغ مرصود .

وذلك لأن "رصد الشيء يرصده رصدا" ، معناه رقبه يرقُبه رقابةً ، والحيوان يرصد غيره للوثوب عليه ، ومنه رصد النجوم الكواكب أي رقبانها في حركاتها ، وجريانها وسريانها ، فهذا وما قاربه من معاني رصد" الثلاثي ، لا يؤدي المعنى المراد ، فينبغي استعمال "أرصد يرصد أرصاد ، للمعنى المشار إليه ، جاء في لسان العرب ، وهو مجموع من عدة معجمات لغوية : "أرصد له الأمر أعده . . وأرصدت له شيئا أرصده : أعددته له . وفي حديث أبي ذر ، قال له النبي (ص) ما أحب أن عندي منه ديناراً إلا دينارا أرصده لدين أي أعده لدين ، ويقال أرصدت له العقوبة إذا أعددتها له ، وحقيقته جعلتها على طريقه كالمترقبة له . . وفي حديث الحسن بن علي (ع) وذكر أباه قال : ما خلف من دنياكم إلا ثلاثمائة درهم ، كان أرصدها لشراء خادم . ورُوي عن ابن سيرين أنه قال كانوا لا يرصدون الثمار في الدين ، وينبغي أن

يرصد العين في الدين ، وفسره ابن المبارك قال : إذا كان على الرجل دين ، وكان عنده مثله من العين - يعني النقد الذهب - لم تجب عليه الزكاة ، وإن كان عليه دين وأخرجت أرضه ثمرة ، يُجب فيها العُشر لم يسقط عشر الزكاة عنه ، من أجل ما عليه من الدين ، لاختلاف حكمهما ، وفيه خلاف . انتهى المنقول ، وجاء في نهج البلاغة" وأخذوا يمينا وشمالا : طعنا في مسالك الغي ، وتركا لمذاهب الرشد ، فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ، ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد" وقوله "ما هو كائن مرصد" معناه ما هو"حادث معد" . وجاء فيه أيضا "أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، الذي ضرب الأمثال ، ووقف لكم الآجال ، وألبسكم الرياش ، وأرفع لكم المعاش ، وأحاط بكم الإحصاء ، وأرصد لكم الجزاء" قال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد ، الشافعي المدائني : "قوله : وأرصد يعني أعد ، وفي الحديث : إلا أن أرصده لدَين عليَّ" . وجاء فيه أيضا في وصف القرآن المجيد ، وذكر المعاملات " ومباين بين محارمه ، من كبير أوعد عليه نيرانه ، أو صغير أرصد له غفرانه" وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي في مجمهرته :

وأرصــــــدنا لريب الدهر جـــــردا

لهـــا مـــيـــمـــا ومـــاذيا حـــصـــينا

قل : فإذا أنا به واقفا .

ولا تقل : فإذا أنا به واقف .

يقولون : "بحثت عن فلان فإذا أنا به واقف"برفع" "واقف" على وجه أعرابي متمحل مخالف للصواب ، هو اعتداد الباء زائدة في "به" وهي دعوى باطلة ، فالعبارة من العبارات العربية المختصرة التي لا يتم تركيبها إلا بتقدير نحو قولهم : "من لي بفلان أو بكذا وكذا ؟" و "كيف لي به ؟" و"لا عليك" و "إليك عني" و "هل لك إلى أن تفوز ؟"

فالأول تقديره "من مظفر أو آتٍ ؟" والثاني "كيف الظفر ؟" والثالث لا بأس والرابع" أرجع أو أنكص" والخامس "هل لك حاجة أو توق" ، ولذلك يجب أن يكون أصل قولهم "فإذا أنا به واقفا" : "فإذا أنا ظافر به واقفا" أو عاثربه أو شاعر به . . . ويكون "واقفا" على هذا التقدير حالا من الضمير المجرور بالباء وهو الهاء . ولا يجوز الرفع البتة . وفي كلام العرب المدون في الكتب الصحيحة النسخ والضبط شواهد على ذلك وللغة أسرار يدركها الأحبار .

الملحق رقم (١)

بين أنستاس الكرملي وأسعد داغر.

للأستاذ مصطفى جواد.

أغلاط اللغويين والأقدمين

لما وقعنا على كلام الأستاذ داغر حكمنا صديقنا المحقق واللغوي المدقق الأستاذ مصطفى جواد وطلبنا إليه رأيه بنشر هذا المقال في السياسة الصادرة في ١١ يوليو من سنة ١٩٣٣ وهذا نصه بحروفه :

شاء صديقي العلامة انستاس ماري الكرملي أن يجعلني حكما في ما شجر بينه وبين بعض الأدباء ثقة منه بي وسكونا إلى صراحتي وإيقانا بصدقي وأنا - على شكري له هذا الإيمان الذي أنعم به علي - غير أهل لأن أكون حكما له ولكنه عزيز علي أن لا أقول بكلمات هي نتيجة نصه[1] إياي عما أخذه عليه الأستاذ أسعد خليل داغر في الأهرام الصادرة في ١١مايو سنة ١٩٣٣وعده غلطا منه . وإذا علمت أن الأستاذ أسعد خليل صاحب تذكرة الكاتب أيقنت بأنه يريد أن يتبع الناس ما سنه فيه وأن يذكرهم ما نسوه منها وما غفلوه وأطرحوه لاشتمال الغلط

(١) نص فلان فلاناً : استقصى مسألته حتى علم ما عنده . وهي من الألفاظ الكريمة .

عليه وركون الشطط إليه غير فاطن إلى أن غريزة الحرص وطبيعة الاستبداد وخليقة تنزيه النفس ليست من مزايا المصلحين ولا المستصلحين فلقد تصدينا لتذكرة الكاتب مرارا فأشرنا إلى ما تضمنته من الغلط وإلى جمودها ورجوعها بالعربية إلى عهد الجاهلية . ولولا استيقاني أن نية صاحبها سليمة وغيرته على العربية صادقة لاتهمته في ما كتب ولعددته من المأجورين على تكريه العربية إلى الناس وتعجيزها بين لغات العالم وكراريس نقضنا لتذكرته عتيدة عندنا نهتبل لها فرصتها ولولا كراهتنا لرواج عن البحث ليسطنا له منها ما لم يخطر له ولا عنّ لذهنه حتى يوقن أن في نفسه حاجة إلى الاستقصاء ورغبة في البحث واجبة عليه . أما الكلمات التي عدها غلطا في كلام العلامة انستاس فها هي مع رأينا في أقواله :

١- كان الأب قد قال"حتى إذا أرادوا نقل النار وحافظوا عليها من الانطفاء"فقال هو "والصواب ووقايتها من الانطفاء" فأنا ما أدري أجاد هذا الرجل الفاضل أم مازح في تصحيحه ؟ ما قول هذا إلا هزء بالعربية ولعب بها!! وإلا فكيف يسوغ للناقد أن يخصص كلمة بمعنى من المعاني ويوجب على الناس استعمالها ؟ مع أن لهم حقا في استعمال ما قاربها في معناها . فالفعل (حافظ) يستعمل خاصا وعاما كثلاثيه (حفظ) فإذا قلنا (حافظ عليه) كانت المحافظة عامة وإن قلنا (حافظ عليه من كذا) كانت خاصة ، فيقال (حافظ على ولدك من المرض وسوء الخلق وتعدي الناس عليه وغير ذلك) فالناقد لم يعلم بعد خصوص الأفعال ولا عمومها ، ويعلم (علم الساعة) لأنه يراجع معجمات العربية فإن لم يجد تعبيرا بنصه حكم بأنه غلط ، (وعلم الساعة) هذا يفتك بالعربية كفتك سم الساعة بالأجساد ، فعلماء العربية لم يعنوا في معجماتهم اللغوية بالتخصيص والتعميم ، ثم إننا وجدنا له قولا في ص٢٢من تذكرته هذا نصه (ويجيء ما يكتبون صافيا على قدر الإمكان من أكدار اللحن ونقيا من شوائب الغلط) فليذكر لنا أي معجم لغوي جاء فيه (صفا من الأكدار ونقى من الشوائب) فإن قال قولا احتججنا عليه بمثله ، فهم قد ذكروا

غالب الأفعال على العموم لا على الخصوص والناقد لم يستكمل أدوات النقد فلا عجب من وقوعه في ذلك .

٢ـ وقال الأب انستاس "وهو معروف لأعمال مختلفة" وقال الناقد "والصواب في أعمال مختلفة" فمن أنبأه (هداه الله) أن الأب أراد الظرفية ، ولو أراد الظرفية لم يجز لأحد منعه ، فإن اللام جاءت للظرفية بمعنى "في مطردة المجيء كما نص عليه العلماء وتعلمه النشء ، فاللام التي في كلام الراهب "لام السبب" تقع في جواب "لماذا" فيقول السائل لماذا عرف هذا الشيء فيقال له : عرف لأعمال مختلفة فهو معروف لها أي من أجلها وبسببها ومنه قول الإمام علي في نهج البلاغة"وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده[١] أي بسبب فقده ومن أجله . فذلك الشيء صار معروفا لتعاود الأعمال إياه . فما الحيلة لمن لم يفهم ما يقال مع وضوحنا ؟

٣ـ وقال الأب"وقد تطورت" فقال صوابه : نشأت أو تحولت أو ترقت . فما أعلمه بترادف الكلم! يعد النشوء والترقي سيين ، ثم يعدهم من مرادفات التطور! فالتطور أيها الفاضل غير النشوء والنشوء غير الترقي ، ولم تصب إلا في "تحولت" وهو مثل "تطورت" في الاشتقاق والتوليد ، فالتطور مأخوذ من الطور والتحول مشتق من الحال ، ومن هذا القياس المطرد "التلون والتكون والتغير والتغلب" فمن ذا الذي منع اشتقاق"تطور" وهو من ذلك القياس "وأي أعجمي يحق له أن يكبح الغريزة العربية والسليقة العدنانية عن طبيعتهما ، قيل أن الإمام جعفراً الصادق بن محمد الباقر عاد السيد الحميري وقد ثقل عليه المرض فقال له (قل الحق يكشف الله ما بك ويرحمك ويدخلك جنة أوليائه" فلم ينشب الحميري أن قال"تجعفرت باسم الله والله أكبر) أي صرت جعفري المذهب ، فقد اشتق من (جعفر) تجعفرت ، فظهر التجعفر ونحو هذا (التزندق والتمجس والتهوّد والتنصّر) فالسليقة العربية جارية أبداً وإن

(١) من المستدرك لغويات مخطوطة .

قوما مرنت لغتهم على اشتقاق الكلمات من أسماء الذوات فقالوا (أسد فلان وتأنث الرجل ودنر الوجه وتحجر الشيء واستأنس الحمار) لأبعد الناس عن الجمود اللغوي ، وتعطيل سبل الرقي ، ثم إن (التطور) قد اشتق منذ عهد بعيد ماض وجرى على الألسنة ووافق روح العربية قال الشعراني في طبقاته (كان الشيخ حسين أبو علي من أكمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير"التطورات" وذكر عن الخضر أنه كان قادرا (على تطوير نفسه) فاستعمل التطور والتطوير ، وممن ذكر التطور ابن خلدون وذلك في مقدمته ، وسنةالعلماء أن ما قيس على كلام العرب فهو منه وقاعدتهم قياس المنثور على نثرهم والمنظوم على نظمهم ولقد بان لنا أن تغليط الناقد للراهب العلامة تجن وتحامل عليه لأنه كان قد قال : في ص ٢٦-٢٧ من تذكرته "ومما يجب على المجمع أن يوجه التفاته إليه ، هو (كذا بإضماره للإسم قبل ذكره إضمارا ممنوعا لضعفه) الكلمات الكبيرة المستعملة الآن في غير ما وضعت له ، وليس في كتب اللغة ما يجوز استعمالها هذا إلا على ضعف وتكلف ، ولكنها شاعت وذاعت حتى بين بلغاء الكتاب وليس من السهل أن يستبدل بها كلمات أخرى فمنها هذه الأسماء . . . والأفعال :تفرج وتطور واكتشف أفهكذا عمل العداوة حتى تريك صاحبها في ورطة العبث والتناقض ، ثم أليس هو قد قال في ص٢٢من التذكرة ، وما يجد كل يوم من المكتشفات "والمكتشفات اسم مفعول من "اكتشف" الذي ذكره مع تطور ، فكيف يستجيز لنفسه ما يمنع غيره منه مع ثبوت الشيوع والاشتراك ، وهل استعمل أحد في عصر ابن خلدون والشعراني "اكتشف" حتى يعادل "تطور" فإن كان قول الراهب ضعيفا في رأيه فيجب عليه أن يعد قول نفسه أضعف ولا سيما أن"اكتشف"قد استعملتها العرب بمعنى حسر عن رأسه ما عليه من الثياب" كما ورد في الأغاني"٤ : ١٨٨" ومغازي الواقدي على ما نقل ابن أبي الحديد في ، المجلد ص ٣٣٢ من شرحه .

٤- وقال الأب "أول من سبق استعمال" فقال الناقد"والصواب : إلى

وقال (وقد يقال للجمع والمؤنث صديق) وقوم قليلون وقليل قال الله تعالى (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثرتم) قلت : وقال السموءل :

تعـــيّـــرنا أنا قليل عـــديدنا

فـــقلت لهـــا إن الكرام قليل

وفي سورة آل عمران (وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله . .) فقول الأب العلامة (وآله الكريم) من الكلام الكريم ، وقوله تعالى (ربيون كثير) يؤيد ما ذكرنا من جواز نعت الجمل بفعيل ، وبقية الأمثلة توضح الحجة لأن النعت والخبر مشتركان في الجمع والإفراد .

١٨- وقال الأب (ويترك دونها حسنا) قال الناقد(الصواب : ما دونها حسناً) لماذا ؟ لأنه قضى على العرب ألا يستعملوا (دون) إلا ظرفا وأن يتركوا (دوناً) بمعنى غير حسن وهين ، ولكن الراهب العلامة لم يذعن لقضاء الظالم فاستعمل (الدون) قال الزمخشري في الأساس (وشيء دون هين) وقال ابن أبي الحديد في الشرح (٤ : ٣٩٦) وقد يكون من هو دون الدون) فاستعمل الظرف مع الوصف ونقل الجوهري قول الشاعر :

إذا مـــا عـــلا المرء رام العـــلا

ويقنع بالدون من كـــان دونا

١٩- وقال الأب العلامة (يقاسي الأهوال) فقال الناقد صوابه : العناء أو المشقة أو التعب قلنا : إن العناء قد يسبب الأهوال وإن الأهوال تسبب العناء فاستعمل الأب في كلامه ما آل إليه الأمر ، كقوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا . . . وإنما هو يعصر عنبا ولكن لما كان العنب يؤول إلى خمر سلط عليه فعله ، فللراهب في عبارة القرآن قدوة ، قال الفيومي في مادة برى من

مقيس في وصف صحيح اللام على فاعل أو فاعلة نحو : ضارب وضرب وصائم وصوم وضاربة . . .) والثاني مقيس أيضا مع ورود السماع به قال ابن الأثير في النهاية (وعجزهم جمع عاجز كخادم وخدم) فذكر هذين الوجهين إنما هو لإرشاد من يرى العربية بعين الضيق والضآلة ويحسب أن الدراسة القليلة تتيح له مجادلة فلاسفة بالعربية ، وقد قدمنا أن منشأ خطأ الناقد هو إنكاره أن يأتي لفظ (العجوز) للرجل ، وكذلك فعل بقولهم (هو رجل كسول) كما أورد في تذكرة الكاتب مع أن القواعد التي يدرسها النشء ، قياس فعول بمعنى فاعل مع استواء المذكر والمؤنث فيه" والقواعد تنسخ ما في المعجمات إذا تعارض حكماهما وكنا قد قلنا في المجلد "٢٤٤٠١٨" من الكلية ، ما بعضه وجهل أحدهم لهذا القياس حمله على ادعائه أن كسولا لا يكون إلا للمؤنث بحجة أنه لم يجده في صحف اللغة إلا كذلك والقاعدة العامة أن فعولا . . فضلا عن ورود النصوح بمعنى النصيح في أغاني الأصبهاني وورود الكسول للمذكر في قول عبيد الراعي :

طال التقلب والزمان ورابه

كسل ويكره أن يكون كسولا

والقصيدة موردة في جمهرة الشعراء لأبي زيد القرشي الذي لم يعرف عصره أحد من المعاصرين غيرنا فقد عاش في القرن الخامس للهجرة لأنه ذكر صحاح الجوهري في جمهرته والجوهري توفي سنة٣٩٣ ولأن ابن رشيق صاحب العمدة نقل عن جمهرته وهو قد توفي سنة ٤٦٣ .

٦- وقال الأب "يأنسون إلى ذلك الوطن" فقال الناقد صوابه يأنسون بذلك الوطن أو يصبون إليه أقول : ليس هذا على شيء من الحق لأن قول الراهب العلامة صحيح فصيح فقد قال الزمخشري في أساس البلاغة : "وأنست به واستأنست به وأنست إليه قال الطرماح :

كل مستأنس إلى الموت قد خا

ض إليه بالسيف كل مخاض

وقال آخر :

إذا غـــاب بعلهــــا لم أكـن لهــ ا
زؤورا ولـم تـأنـس إلـى ؛ لابهـــا

فمـا أغنى الناقـد عن هذا الارتبـاك فـلا السليقـة العربية اتبع ، ولا البحث استوفى ، فيا ويلي على لغة العرب!

٧ـ وقال الأب : "من ألواح الرخام مكتوب عليها" فقال الصواب" مكتوبا عليها" مع بتره كلام الأب فكيف يميز القراء صحة دعواه والكلام الذي يعرف بـه الصواب من الخطأ مبتـور ؟ ونحن لم نعـرف أول كـلام الراهب حتى يجوز أن يكون حكمنا لفضيلته ، ولكن يظهر لنا من قوله "من ألواح الرخـام" وقوله "مكتوب" أن الاسم المتـقدم الموصوف بـالجار والمجرور"نكرة" فالناقد يريد جعل"مكتـوب" حالا منه ، ولا حق له في ذلك . لأن الوجهين في مثل هذا جائزان فصيحان" قال طخيم الأسدي كما ورد في الكامل (١ : ٣١ـ٣٢) :

كـــأن لم يكن يـوم بزورة صـــالح
وبالقـــصـــر ظل دائم وصـــديق
ولـم أرد البـطحـــاء يمزج مـــاءها
شـــراب من البـــروقـــتين عـــتـــيق

فلجواز الوصفية بل لرجحانها عندي قال (عتيق) ويؤيد ما قلناه من رجحان الوصفية قول الزمخشري في المفصل . وتنكير ذي الحال قبيح إلا إذا قدمت عليه كقوله(لمية موحشا طلل) فقول الناقد قبيح عند الزمخشري وصرح ابن عقيل بالجواز في ذكره قوله تعالى"وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ، فقد قال (ولا يصح كون الجملة صفة لقرية . لأن الواو لا تفصل بين الصفة والموصوف وأيضا وجود (إلا) مانع لها من ذلك فهو قد رد جواز الوصفية بالواو وبإلا وليستا في كلام الراهب

" . . من ألواح الرخام مكتوب عليها" ومن هذا الباب قوله تعالى "ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق" فالمشهود فيه الرفع ، قال ابن هشام في شرح شذور الذهب"وقرأ بعض السلف . . مصدقاً ، فجعله الزمخشري حالا من كتاب لوصفه بالظرف" فالحالية مرجوحة كما قلنا .

وبعد ساعة من كتابنا هذا الذي قرأت زرنا الراهب العلامة فاستعلمناه أصل القول فأرانا أهرام اليوم الثامن من يوليو ووجدنا فيها قوله على هذه الصورة"وهناك قناديل من فضة . وعدد لا يحصى من ألواح الرخام مكتوب عليها" فهو كما ظننا لأنا موقنون بتبحر الراهب العلامة فلفظ"عدد" نكرة وما بعده صفات له كما يقال"وهناك شيء لم أعرفه جميل منقوش عليه صور" فتعدد صفة النكرة لا يؤثر شيئا في ما ذكرناه ففي التنزيل"لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" فعسى أن يتعلم الناقد فلا يعود إلى مثلها .

٨ ـ وقال الأب "تتأكد أن لا فرق" فقال أسعد خليل داغر "صوابه تؤكد أو تتحقق لأن الفعل تأكد لازم" وقد أصاب في هذه التخطئة على كثرة خطئه وكنا قد خطأنا الأديب جورج مسرة في المجلد الخامس (ص١٩٧) من مجلة الدليل البرازيلية بقوله "كما تأكدنا" معتمدين على النقل ومن الإنصاف أن نعرض النقل على العقل لأن الجمود والعجز ليسا من صفات اللغات الحية والقياس "يجيز يتأكد" بجعل التاء للطلب كقولهم "تحققه ، وتبينه ، وتعجله ، وتثبته ، وتبصره ، وتنوره ، وتبحثه ، وتيقنه ، وتأثره ، وتألقه ، وتأنفه ، وتأثله ، وتأوله وتبدله ، وتنظره" فهذا شيء مطرد وليس لي ولا للناقد أن يجبر الناس على أعمال طبيعة اللغة العربية ، فأعظم ما يقال هنا "أن الأب ترك السماع وتبع القياس" فإن قبل الأب منا هذا القياس ـ وأراه فاعلا ـ ارتفعت عنه تخطئة الناقد وبقي كلامه فصيحا وإلا فلسنا من المنكرين للقياس ولا من المقصرين في تحبيب العربية وتطويرها مع العصور .

٩ـ وقال الأب"إن كنيسة سان تريزة هو أحسن موطن" فقال الناقد (والصواب :هي أحسن موطن) قلنا : إن ما جاء به الناقد هو المتعارف في التعابير المتعالمة ، ولكن من أتموا دراسة العربية أو كادوا ، يعلمون أن الضمير المرفوع المنفصل الوارد بعد المسند إليه يجوز اتباعه في التذكير والتأنيث ما قبله وما بعده ، قال الطريحي في آخر معجمه المسمى مجمع البحرين (إذا توسط الضمير بين مذكر ومؤنث أحدهما يفسر الآخر جاز تأنيث الضمير فلو قيل : ما القدر قلنا هي الهندسة وهو الهندسة) قلنا ، فإذا قدمنا المؤنث جاء العكس فنقول (ما الهندسة) والجواب هي القدر أو هو القدر) والعلة في الأول علة للثاني ففي الأول تبع الضمير ما بعده في التأنيث وفي الثاني تبع الضمير في التذكير ما بعده وكلا الأمرين من الجوائز لا من الأواجب فقول الأب العلامة (هو أحسن موطن) منظور فيه لأحسن وهو مذكر ، فاشكروا الله على توسيع هذا التوسع المسهل لصعابها .

١٠ـ وقال الأب (يعاونهم في إنشائها) فقال الناقد) صوابه : على إنشائها) لأنه لم يرد تعدية (عاون) في المعاجم اللغوية وهي غير مستوفاة البحث ولا مستقصاة التحري ، ألم تر أنه قد منع في تذكرته أن يقال : (استقصاء) لأن أصحاب المعاجم لم يعدوا بنفسه في مادة (ق ص١) فخطأناه في لغة العرب (٩ : ٢٥) واستشهدنا قول الإمام علي (لا يستنفذه سائل ولا يستقصي سائل) وهو من نهج البلاغة ومنه كتاب الأمثال المسمى (المستقصى) للزمخشري ومهما يكن الأمر ، فإن قول الأب (يعاونهم في إنشائه) لا يقابل (يعاونهم على إنشائها) لأن المعاون عليه في التعبير الأول محذوف وتقديره (يعاونهم في إنشائها على الصعوبات) وهو الأصل في التعابير على ما يستوجبه العقل ، فالجار (في) للظرفية لا للتعددية كما وهم فيه الناقد . ومثله (استقصى في الحساب على فلان "وساعده في الأمر على أعدائه" فأي أعجمي يمنع استعمال "في" لكل كلمة تمكن فيها الظرفية حقيقة أو مجازا ؟ فالأولى مثل "جلس في المكان" والثانية نحو اجتهد في الأمر .

١١ـ وقال الأب "لم تنحصر في القاهرة فقط" فقال الناقد والصواب في القاهرة ، لأن معنى الانحباس أفاده الفعل تنحصر فأغنى عن فقط وهذا القول هو الغلطة التي نعاها على الكتاب في تذكرة الكاتب (ص٢٠) فمضمون كلامه وجوب رفع التوكيد من العربية ، ويلي على أهلها : ورفعه يستوجب إهمال مادة أكده ومرادفتها ، وحذف باب التوكيد من كتب النحو ليقلّ أجر الطبع والورق ، ومع هذه البلية السوداء والدهياء نسأل الناقد أن يذكر لنا كلاما فيه فقط لنرى كيف يستعملها هو ؟ لأن كلامه يوجب أن تهمل أبدا ، مع أنها ارتجلت لتوكيد الاكتفاء لا تستعمل لما وضعته له ؟

ولا سوء في أن نأتي للناقد بمثل أو أكثر استعمل فيه الفصحاء "فقط" لتوكيد الاكتفاء في كلام ظهر معناه أكثر من معنى كلام الراهب ففي مادة ص ح ب من مختار الصحاح "قلت : لم يجمع فاعل على فعالة إلا هذا الحرف فقط" وفي مادة"قط" منه "تقول : رأيته مرة واحدة فقط" وفي مادة ح م م "وعن العامة أنها الدواجن فقط" ففي القول الأول استعملت بعد أداة الحصر ، وفي الثاني جعلت بعد التوكيد المعنوي واحدة وفي الثالث بعد التوكيد بأن ، فما كان أولى الناقد بترك هذه التكلفات والتمحلات!!

١٢ـ وقال الأب "أما الآن . . أخذت أقول "فقال صوابه"فأخذت أقول" فنقول : هذا صواب على حسب تلفظه"أما" فقد عدها مشددة الميم للشرط والتوكيد فوجب عنده ربط جوابها بالفاء ، والأصل أنها مخففة الميم للتحقيق والتنبيه قال الجوهري"أما : مخفف تحقيق للكلام الذي يتلوه تقول : أما أن زيد عاقل ، تعني أنه عاقل على الحقيقة لا على المجاز" فلماذا قرأ الناقد غلطا فكتب سقطاً ؟

لقد كان واجبا عليه أن يتلمس وجه التلفظ قبل أن ينكدر إلى النقد والمؤاخذة ، وإحسان الظن قبل إساءته عند الشفقاء على البشرية ، ثم أن حذف الفاء من جواب إما "بالتشديد" قد ورد في الشعر قال الحارث بن خالد المخزومي :

فأمّا القتال لا قتال [illegible]

ولكن [illegible] عراض المراكب

وقال آخر :

فأمّا الصدور لا صدور لجعفر

ولكن إعجازا شديدا [illegible]

ولكن قدمنا أن شهادة الشعر للشعر ودلالة النثر للنثر . [illegible] الصراط السوي .

١٣ـ وقال الأب"دبت في شرقنا نهضة" فقال الناقد "الصواب : سمقت أومتعت"فكأنه هداه الله للحق يحرم"الاستعارة المجردة" بل يظهر لنا أنها محرمة عليه . ألم ير إلى قوله تعالى"فأذاقها الله لباس الجوع" فأين الإذاقة من اللباس ؟ أو إلى قول زهير"لدى أسد شاكي السلاح مقذف" فليس بواجب ترشيح الاستعارة . ولا حق للناقد في إجبار الأب على ترك(دبت) والاستبدال به ، وعنده شاهد من القرآن الكريم .

١٤ـ وقال الأب (وهو منعكف في صومعته) فقال الناقد (صوابه : معتكف) ولقد كان حريا أن يذكر علة التخطئة وسبب التصويب ، فهل هما إغفال أصحاب المعاجم اللغوية لـ (انعكف) ؟ لئن كانوا قد أهملوا سماعا لقد تركوا قياسا يجري على رغم الجامدين مع الزمن وتجدد المرافق والآلات ، فانعكف مطاوع (عكفه) يقال (عكفه فانعكف وزجره فانزجر ، وظلمه فانظلم) وما يصعب استقصاؤه على أن شرط القياس قبول أثر الفعل ، والانعكاف من هذا الباب ليبحث عن (انجرح) في كتب اللغة ، فهل يجده فيها ؟ ولكنه استعمل عند الحاجة ، قال الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي "عثرت في منزل سكناي فانجرح أخمصي ، فشقت وليدة في الدار خرقة من خمارها وعصبت رجلي" من الوفيات"١ : ١٠٢) طبعة إيران الصحيحة المصححة ، فتخريج كلام الأب

"عكفه الله أو عقله في صومعته فهو منعكف فيها" كما قيل "هو منصب في الكلام ومنبعق فيه" قال في مختار الصحاح "إن الله يكره الانبعاق في الكلام فرحم الله عبدا أوجز فيه ، وهو الانصباب فيه لشدة" فكان أولى للناقد ألا يكون منصبا في ما لا فائدة فيه ، وقد غلط الشيخ إبراهيم اليازجي بمنع الانصباب في ذكر أولي الألباب .

١٥- وقال الأب"تتوفر علائم الانقراض" قال الناقد "صوابه تتوافر"فلماذا خطأ الأب ؟ لأنه لم يجد "توفر"في مادتها من القاموس أو من غيره ، فكأن الكتب في رأيه قد استوقت الكلم وهذا هو الخطأ الكبير والبلاء المبين للعربية ؛ فالفعل"توفر مطاوع"وفره" مثل "كسره فتكسر وجمعه فتجمع وعلمه فتعلم وحطمه فتحطم"وقد ذكرنا أمر المطاوعة في الردة السابقة لهذه ، ومع فصاحة قياس الأب لـ (توفر) نستحسن ذكره منقولا عن الأسلاف الفصحاء قال بشار بن برد (إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه) عن الأغاني (٣ :١٤٢) وقال الشريف المرتضى في أماليه(١ :٥٦) لتفسير(تقذ الفصيل) ما صورته (تقذ الفصيل برجلها . أي تركله وتدفعه عن الدنو إلى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب) ونقل المسعودي في مروج الذهب (٢ : ٤٦٢) قول ابن حمدون نديم المعتضد بالله العباسي(فتعجبت من ذلك في أول أمره ثم تبينت القصة فإذا أنه يتوفر من ذلك في كل شهر مال عظيم"وقال ابن خلكان في ترجمة أبي حامد محمد بن يونس الشافعي" وتوفرت حرمته عند القاهر أكثر مما كانت عند أبيه" من الوفيات (٢ :٥١) وقال ابن أبي الحديد(فليت شعري كم مقدار ما يتوفر على أبي بكر وستة نفر معه . . . أترى أن يكون المتوفر على أبي بكر وشهوده من التركة عشر عشر درهم ؟) عن شرح النهج (٤ :٩٢) وفي ص١٣٦منه قول زياد بن أبيه (ما يتوفر على من تهالك غيرهم على العمارة وأمنهم جوري أضعاف ما وضعت عن هؤلاء الآن) وقال القفطي في تاريخ الحكماء (ص١٧٠) ما نصه(فلو طرخس كان فيلسوفا مذكوراً في عصره يعلم جزءاً متوفرا من هذا الشأن) وقال

في ص٢٦٣ (وكان لأبي الحسن هذا أدب متوفر وشعر حسن) فيرى الناقد والقراء أنا ذكرنا من الناطقين ب (توفر) أو (متوفر) زيادا وبشارا وابن حمدون والأصفهاني والشريف المرتضى وابن أبي الحديد والقفطي وابن خلكان ، فأولهم من رجال صدر الإسلام وآخرهم من جيل القرن السابع ، ومجموع الصفحات التي طالعناها حتى انتهينا إلى تلك الكلمة (خمسة آلاف صفحة" فأين فتحة واحدة للقاموس من هذا الاستقصاء الدال على الغرام بالعربية والحفاظ عليها وإنقاذها من العابثين بها الجاهلين لأسرارها ، ومما قدمنا يظهر للمتحري أن "توفر" قد وردت في المعاجم اللغوية ولكنهم لم يفصلوا استعمالها بأنها للناس وللمال وبقية الأشياء فظن الناقد أنها مقصورة على الناس وأن "توفر المال" تخالف "توفر فلان على العمل" وليست من معناها فقول زياد"يتوفر على . . . اضعاف" دليل على ما قلنا ، وكذلك قول الشريف"ليتوفر اللبن على الحلب" .

١٦. وقال الأب"تعز بهذه الخسارة" فقال الناقد "صوابه عن هذه الخسارة " ونحن لم يبق لنا صبر على مثل هذا الجمود ولا شوق إلى بسط الكلام ، فعلينا أن نقول له ما قال ابن أبي الحديد في شرحه "٤ :٢٦٠" ما صورته "دخل كعب القرشي الهاشمي على محمد بن عبد الله بن طاهر يعزيه في أخيه" وتعزى مطاوع"عزاء"ووضع الباء مكان "في" مألوف معروف . وقول الناقد منقوض .

١٧. وقال الأب (وآله الكريم) فقال الناقد (والصواب الكرام) قلنا : هذا الرد غلط من وجهين أولهما أن (الآل) اسم جمع فإن استعمل للآدميين جاز إفراد وصفه على اللفظ وجاز جمع الوصف على المعنى ، وهذا شيء يدرسه النشء في المدارس وثانيهما أن (الكريم) يجوز وصف الجمع به واسم الجمع ، مع بقائه مفردا ، لأن فعيل للوصف المجرد من الحدث ، فمن ذلك الرقيق قال في المختار (والرقيق المملوك واحد وجمع)

وقال (وقد يقال للجمع والمؤنث صديق) وقوم قليلون وقليل قال الله تعالى (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثرتم) قلت : وقال السموءل :

تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل

وفي سورة آل عمران (وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله . .) فقول الأب العلامة (وآله الكريم) من الكلام الكريم ، وقوله تعالى (ربيون كثير) يؤيد ما ذكرنا من جواز نعت الجمل بفعيل ، وبقية الأمثلة توضح الحجة لأن النعت والخبر مشتركان في الجمع والإفراد .

١٨- وقال الأب (ويترك دونها حسنا) قال الناقد(الصواب : ما دونها حسناً) لماذا ؟ لأنه قضى على العرب ألا يستعملوا (دون) إلا ظرفا وأن يتركوا (دوناً) بمعنى غير حسن وهين ، ولكن الراهب العلامة لم يذعن لقضاء الظالم فاستعمل (الدون) قال الزمخشري في الأساس (وشيء دون هين) وقال ابن أبي الحديد في الشرح (٤ : ٣٩٦) وقد يكون من هو دون الدون) فاستعمل الظرف مع الوصف ونقل الجوهري قول الشاعر :

إذا ما علا المرء رام العلا
ويقنع بالدون من كان دونا

١٩- وقال الأب العلامة (يقاسي الأهوال) فقال الناقد صوابه : العناء أو المشقة أو التعب قلنا : إن العناء قد يسبب الأهوال وإن الأهوال تسبب العناء فاستعمل الأب في كلامه ما آل إليه الأمر ، كقوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا . . . وإنما هو يعصر عنبا ولكن لما كان العنب يؤول إلى خمر سلط عليه فعله ، فللراهب في عبارة القرآن قدوة ، قال الفيومي في مادة برى من

المصباح المنير وبريت القلم برياً . . وهذه العبارة فيها تسامح لأنهم قالوا : لا يسمى قلما إلا بعد البراية وقبلها يسمى قصبة ، فكيف يقال للمبري بريه فالكلمة هي بما يؤول إليه مجازا مثل عصرت الخمر ومن الدلائل السماعية على صحة قولنا السابق قول الزمخشري في الأساس وعقبة هولة صعبة فقد قابل الصعوبة بالهول . وعلى هذا المجاز الصريح الصحيح قالوا أكل من المأكولات اللذيذة وشرب من المشروبات فهل يفهم الناقد منه أنهم أكلوا من الفرث وشربوا من الأقذار بعد قاس غيرهم ؟

٢٠- وقال الأب يكلف بقسط منه ، ونكلفه بوضع مثل هذه الفهارس قال الناقد والصواب قسطاً منه ، ووضع مثل هذه الفهارس وظاهر حجته أن كلف ورد في المعاجم اللغوية معدى إلى مفعولين بنفسه وإن تكلف مطاوعه جاء فيها متعديا بنفسه ، ولكن هذه الحجة لا توهن كلام الراهب العلامة لأنه استعمل الفعل مراعيا أصله فهو مضعف (كلف به من باب طرب) وقياسه (كلف به فتكلف به) لكن العرب لما كانت تحب الاختصار حذفت الباء وأوصلت الفعل إلى مفعوله الثاني بنفسه ، فليس استعمال الأصل ممنوعا ، ومن ذلك قول العلامة ابن أبي الحديد في شرحه (٤ : ١٣٦) ما صورته (وربما احتجت فيما بعد أن تكلفهم بحادث يحدث عند المساعدة بمال يقسطونه عليهم . . .) واستعمل مصدره واسم مفعوله على الأصل أيضا قال أبو جعفر الاسكافي (متى كان الصبي عاقلا مميزا كان مكلفا بالعقليات وإن كان تكليفه بالشرعيات موقوفا على حد آخر) نقله ابن أبي الحديد في شرحه (٣ : ٢٦١) والقائل من معاصري الجاحظ الناقضين لبعض كتبه ، وقال ابن أبي الحديد في موضع ثان (١ : ٤٦٧) كما لا يكون الإنسان مكلفا في الدنيا بما يخص) .

وقد شاع الأصل هذا حتى أن ابن العبري استعمله في مختصر الدول (٣٩٥) قال (الترخان هو الحر الذي لا يكلف بشيء من الحقوق السلطانية) . وماذا درس الناقد البائس وهو لم يعرف بعد أن (الباء) تدخل زائدة على المفعول أيضا قال الإمام علي في حديث له (وفيه ثلاث

أعين أنبتت بالضغث) قال ابن قتيبة (قوله أنبتت بالضغث أحسبه . . . والباء زائدة تقديره أنبتت الضغث كقوله تعالى(تنبت بالدهن) وقال ابن أبي الحديد المذكور (وتقول ملك زيد بفلانة بغير ألف والباء هنا زائدة وإنما حكمنا بزيادتها لأن العرب تقول : ملكت أنا فلانة أي تزوجتها) عن الشرح (٤ ، ٣٦٣ - ٨) ومنه"استشفعه واستشفع به ورماه ورمى به وألقاه وألقى به ودفعه ودفع به وقذفه وقذف به وأخذه وأخذ به" فطعن الناقد مردود بهاتين الجنتين : مراعاة الأصل والمجاز ، وقد ذكرنا سابقا قول الجرجاني "ويكون المجاز بزيادة كقولهم بحسبك درهم وقوله تعالى : وكفى بالله شهيدا ، المعنى : حسبك وكفى الله" .

٢١- وقال الأب "لا يمكن لأحد" قال الناقد "صوابه لا يمكن أحدا" قال هذا وغيره لأنه لم يجده في القاموس ولأنه كتبه في تذكرة الكاتب فكان على رأيه فريضة على الناس ، ولو كان قد عرض ما في التذكرة على أعلم منه لوقاه شرَّ هذا الارتباك ونبهه على ما لم يقف عليه ، فأمكن له الشيء ، غير أمكنه الشيء ، ويا عجبا للذي يجهل هذا من العربية وينبري للناس يخطئهم وهو المخطئ ، ويغفلهم وهو الغافل ، فالهمزة في أمكنه "للتعدية وفي أمكن له" للوجود ومنه "أمكنت الضبة والجراد : ظهر منها المكن" وأثمرت الشجرة : ظهر فيها الثمر ، فأمكن له الشيء : ظهرت له المكنة منه أي التمكن : ومنه تمثل ابن أبي عتيق بقول عمر بن أبي ربيعة : وصورته "أمكنت للشارب الغدر" جمع غدير ، أي ظهرت له أمكنتها (راجع الأغاني ١ : ٢٢٩) كقولهم في الأمثال" أسمحت قرونته وقرينته" أي انقاد وسمح وقالوا"أصحب فلان : ظهرت منه الصحبة وزال منه الإباء ، وهذا شيء نعلمه تلامذتنا ، ولرب معترض يقول"أليس للغدران أمكنة ظاهرة حتى تظهر" فنقول له"إن هذا التعبير منظور فيه إلى جزيرة العرب وأمثالها مما يضل فيه الراكب فيشتد به العطش لخفاء أمكنة الغدران عليه ، فإذا اهتدى إليها فذلك ظهور منها له بعد خفاء وهذا مستفاد من الأصل أي قول ابن أبي ربيعة :

سلكوا خل الصفاح لهم

زجل أحداجهم زمر

قـــــال حـــــاديهم لـهم أســــــلا
أمكـنـت لـلـشــــــارب الـغـــــدر

فكلام الناقد ساقط بدافع العقل والنقل ، ولو قال قائل "لا يمكن له كذا" مريدا "لا يمكنه" ما جاز للناقد أن يخطئه ولا حق ، لأن اللام هذه للتقوية تدخل على معمول اسم الفاعل والمصدر واسمه وأفعل التفضيل وعلى معمول الفعل المتقدم عليه والمتأخر عنه على لغة ، وما هذا سبيله فلا يقال له "غلط وصوابه كذا"فشاهد المعمول المتقدم على فعله من هذا النوع قوله تعالى "إن كنتم الرؤيا تعبرون" وشاهد المتأخر قوله "عسى أن يكون ردف لكم" قال محمد بن يزيد المبرد في الكامل (٣ : ٤٧) ما نصه"والذي يستعمل في صلة الفعل اللام لأنها لام الإضافة تقول : : لزيد ضربت ولعمرو أكرمت والمعنى : عمرا أكرمت . . . إن أخر المفعول فعربي حسن ، والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال الله عز وجل : وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه : قل : عسى أن يكون ردف لكم . إنما هو ردفكم" فالذي عابه على الناس في تذكرته عربي حسن .

٢٢ـ وقال الأب (المرادفات) قال الناقد (والصواب : المترادفات) وأنا ما أدري ماذا أراد الراهب بالمرادفات أجمع مرادفة أم جمع مرادف ؟ فإن كان الأول مراده فلا محل للاعتراض وإن كان الثاني فنرد قول الناقد بأن(المرادفات تجوز قراءتها بفتح الدال على اعتبار أن غيرها قد رادفها وبكسر الدال على عدها مرادفة لغيرها ، قال الفيومي في مادة كتب من المصباح المنير (وكاتبت العبد مكاتبة وكتابة فالعبد مكاتب بالفتح اسم مفعول وبالكسر اسم فاعل لأنه كاتب سيده فالفعل منهما فكل واحد فاعل ومفعول من حيث المعنى) فذكر أحد الفرعين في كلام الراهب مستوجب لتذكر الثاني ومغن عن ذكره ، قال ابن فارس في الصاحبي (ص ١٨١) (العرب تصف الجميع بصفة الواحد كقوله جل ثناؤه إن كنتم جنبا وهم جماعة) وباب نسبة الشيء إلى أحد اثنين وهولهما

معروف متعالم في كتب فقه اللغة ، فلا حاجة بنا إلى ذكر البديهيات ، وكان الأولى بمن يناقش الناس هذا النقاش أن يحاسب نفسه أكثر فيسألها عن قوله في حاشية ص٣٠ من التذكرة (وهذه كما لا يخفى معربة) أعلى العلماء لا يخفى أم على الجهلاء ؟ وعلى العقلاء أم على المجانين ، وعن قوله (بل يشاركهم فيها حتى الحوذي) بحذف الفاعل ليشارك مع ذكر المعطوف عليه ، مما لايؤيده سماع ولا يعضده قياس .

٢٣- وقال الأب "المؤدى المطلوب" فقال هذا الناقد "صوابه المعنى المطلوب" فما أسرع زلله وما أقل رشده! من أراد أن الراهب العلامة أراد اسم المفعول لا المصدر الميمي فيكون كالتأدية ، بل لو أراد اسم المفعول من قولهم "أدى اللفظ المعنى" فالمعنى مؤدى لكان من أفصح كلام العرب قال الزمخشري في باب الحال من المفصل (ص٦٣) ما نصه والحال المؤكدة هي التي تجيء على أثر جملة عقدها من اسمين لا عمل لهما لتوكيد خبرها وتقرير مؤداه ونفي الشك عنه"فاستعمل المؤدى مكان المعنى قبل ثمانمائة سنة بل أكثر منها ، ثم جاء الناقد ليهدم ما قبله الفصحاء وبنوه على الفصاحة لماذا ؟ لأنه نظر في القاموس فلم يجده ، فليصن نفسه عن هذه الترهات ، وليشفق على العربية أن تتلاعب بها الصروف وتضحك منها هوازئ اللغات ليقل لنا هل خطأه أحد بقوله في (٣٠) من التذكرة "يظل دون مدلول الكتابة" وهل قال له من أين لك المدلول ؟ فإنه من"دل اللفظ على المعنى" فهو مدلول عليه ، وحذفت الصلة فقيل مدلول ، مع أن "المؤدى ليس فيه حذف صلة! وهذا الوهم الذي وهمه في المؤدى في تذكرته وفقنا الله لتطهيرها وإصلاحها . وليت شعري لم لم يصلح الناقد قوله في التذكرة"مع أنه لا ينقصها شيء مما في اللغات الأخرى" كما في ص٢٤ منها فقد استعمل "ينقص "بمعنى يعوز" وله حاجة ويحتاج إلى ، فأخرجه عما وضع له أو استجيز عليه ، فهو لا يؤدي المعنى حقيقة ولا مجازا ، لأنه يفيد البخس والتقليل ، يقال (نقصه جعله ناقصا ونقصت فلانا حقه : بخسته إياه) وفي القرآن الكريم (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ؟) وفيه (قد علمنا ما تنقص

الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) و"قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان" وقال صفوان الأنصاري يذكر واصلا :

وما نقصته الراء إذا كان قادرا
على ركبها والدفظ مطرد سرد

أي لم تجعله ناقصا لقدرته على تركها . فصواب عبارة الناقد : ليست بها حاجة إلى شيء مما في اللغات الأخرى . . . " و "لا تحتاج إلى . . . " و "لا يعوزها . . " قال الفرزدق :

لئن فركتك علجة آل زيد
وأعوزك المرقق والصناب

ومن الكلام المنسوب إلى الإمام علي "عليهم بالأدب فإن كنتم ملوكا برزتم وإن كنتم وسطا فقتم وإن أعوزكم المعيشة بأدبكم" وقال القطامي :

وكن إذا أغرن على قبيل
فأعوزهن كون حيث كانا

وقال رجل من النمر بن قاسط كما في الأغاني"٢ ، ١٨٢" :

أرى إبلي بجوف الماء حنت
وأعوزها به الماء الرواء

وقال قدامة بن نوح"كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لاحقيقة لها" ورد ذلك في الأغاني "٣ ، ١٦٣" فإذا احتج بأنه استعمل (ينقص) على الأصل ، كان كلامه لغوا فما معنى "لا يقللها شيء مما في اللغات الأخرى ؟" وما مقتضى الحال الموجب لهذا المقال ؟

٢٤- وقـال الأب "أتاه الله من المزايا مـا حـقق" قـال الناقـد "والصواب : أتاه الله بالمد أو أتاه بما حقق" : قلنا ظاهر "أتاه" في عبارة الأب العلامـة أنهـا "آتاه" بمعنى أعطاه فسقطت المدة في الطبع ، أما استبداله "المد" بالمزايا . فتحكم وتلعب ، لأن المزايا جمع مزية وهي التي ترجح صاحبها على محرومها من أنواع الفضل ، قال الشاعر :

وعندي لأصـحـاب العـراب مـزية
على فـارس البـرذون أو فـارس البـغل

فالمزايا أحوال حسنة في المرء تظهر فضله على من ليست فيه ، فشتان ما هي والمد ، ثم إنه قال في التذكرة (ص٦٧) ما نصه ولم يسمع المد بمعنى الإمداد إلا في الشر فكيف جاز له أن يكلف الأب استعماله؟ إن هذا إلا إفساد للعربية وربك لها ، فأسفنا عليها عظيم وحزننا عليها طويل وسيكفيها الله العابثين بها .

٢٥- وقال الأب (اهدوني مؤلفاتهم) قال الناقد صوابه أهدوا لي أو إلي سعيا في سبيله المعروفة ولتطبيق ما في تذكرته من الفرائض اللغوية واعتمادا على أنه لم يجد أهدى في القاموس معدى بنفسه إلى مفعوليه ، وقد قدمنا له قول الجرجاني عن المجاز . . . وبنقصان كقوله تعالى واسأل القرية وقوله عز وجل واختار موسى قومه (سبعين رجلا) والمعنى من قومه قال المبرد في الكامل (٢٦:١) في تخريج قضاني بمعنى قضى على ما صورته وقال الله تبارك وتعالى . واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا أي من قومه وقال الشاعر(وهو إياس بن عامر أعشى طرود) :

امـرتك الخـيـر لكن مـا ائتـمـرت به
فـقـد تركت ذا مـال وذا نسب

أي أمرتك بالخير ، ومن ذا قول الفرزدق :

ومنا الذي اختـيـر الرجـال سـمـاحـة
وجـوداً إذا هب الرياح الزعـازع

أي من الرجال فهذا الكلام الفصيح (أ ه وقال الأخفش) لأن قولك اخترت الرجال زيدا ، قد علم بذ كرك زيدا أن حرف الجر محذوف من الأول وقال السليك (يصيدك قافلا والمخ رارا) قال فيه المبرد أيضا في الكامل (٣ : ٢٩) ما أصله (وقوله يصيدك أي يصيد لك) ، ومن هذا قوله تعالى "وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون" أي كالوا لهم أو وزنوا لهم ، يقال : كلتك ووزنتك أي كلت لك ووزنت لك لأنه قد قال تعالى أولا إذا اكتالوا على الناس يستوفون) وذكرنا قبل هذا من باب الحذف والإيصال ما فيه عبرة للغافلين عن سعة العربية المنكرين لمرونتها الساعين على إضعافها وسجنها في ظلمات الجمود ومطامير الوحشية . ثم إن (أهداه الشيء بمعنى أهداه له وإليه) وارد في كلام الفصحاء قال بشار :

لم تهـــــدنا نعـــــلا ولا خـــــاتما

مـن أيـن أقـــــــبلـت ؟ مـن الحـش ؟

ورد هذا البيت في الأغاني"٣ : ٢١٥" وإنما صح استشهادنا إياه لموافقته سنّة العربية ونهج الفصحاء كقولهم (هداه الطريق وله وإليه وقصده وله إليه وحسده على الشيء وحسده إياه وكتم عنه الأمر وكتمه إياه ومنعه منه ومنعه إياه ووقاه منه وإياه وحذره منه وإياه وألزمه به وإياه وزوجه بها وإياها) .

٢٦- وقال الأب العلامة "حين يحاول شكر مصر على الحفاوة ، فالشكر لكم على رقة شعوركم" قال الناقد "صوابه يحاول أن يشكر لمصر الحفاوة وأشكر لكم رقة شعوركم" فعاب صحيحا واستقبح مليحا . وحسب المنصف في دفاعنا عن قول الراهب الأول : أن نذكر ما قاله في تذكرته عن شكر (ص٩٧) قال "وأما تعديته إلى المشكور به بعلى في قولهم . شكرته على فضله فعلى تضمين الفعل شكر معنى الفعل "حمد" وحينئذ يمتنع دخول اللام على المشكور له كما ترى "فقد اعترف بصحة ما عابه على الراهب العلامة ، فما الذي حمله على تلك الفعلة ، وهذه التسامحة منه في شكر ليست من طبعه ولا من بنات ذهنه بل من

تخريجات الشيخ إبراهيم اليازجي ، فذهن الناقد أضيق من أن يرتاد للعربية هذا المراد قال إبراهيم اليازجي كما في ص٦ من لغة الجرائد وأما تعديته إلى المشكور به بعلى فيجوز (كذا) على تضمين الشكر معنى الحمد وحينئذ تمتنع اللام فتقول : شكرته على إحسانه كما تقول : حمدته على احتسانه) فلو كان الناقد من أصحاب هذا الرأي الصالح لبارت سوقه عند من لم يتعلموا إلا فتح المعجمات للتفتيش عن الكلمات أما قول الراهب الثاني (فالشكر على رقة شعوركم فمن صريح كلام العرب كقوله تعالى في سورة الفاتحة (الحمد لله رب العالمين) فما حمل الناقد إذن على تغليط قول الراهب إلا جهله لأساليب كلام العرب وإلا فكيف يجوز لمدع خدمة العربية أن ينكر مثل هذا الكلام ؟

٢٧- وقال الأب (شواعري وشواعر مليكي الجليل) قال الناقد (فشواعر جمع شاعرة مؤنث شاعر فما يريد بها هنا ؟ الله أعلم قلنا : الشاعرة هي الشعور ويصاغ المصدر على (فاعلة) من الفعل الثلاثي قياسا (مجلة المعرفة ١٤٦٨) لسنة ١٩٣٢مثل الآمرة والجازية والعائدة والخاصة والكاذبة والداعية واللائحة والبارقة والناهية والناعية وغيرها كثير ، وجمعوا الآمرة على أوامر والناهية على نواه واتخذوا لهما مفردتين من الأصل هما (الأمر والنهي) وقال ابن أبي الحديد في شرحه (٢ : ١٢٣) يفسر النواهي والأوامر (والأوامر جمع آمر ، وأنكره قوم وقالوا ههنا جمع أمر كالأحاوص جمع أحوص والأحامر جمع أحمر . . والنواهي جمع ناهية كالسواري جمع سارية والغوادي جمع غادية . . ويضعف أن يكون الأوامر والنواهي جمع أمر ونهي لأن فعلا لا يجمع على أفاعل وفواعل وإن قال ذلك بعض الشذاذ من أهل الأدب) والصحيح في الآمرة ما ذكرناه آنفا فكلام الأب العلامة لم يخرج عن صريح كلام العرب ، ومع هذا يجوز له أن يعد الشواعر جمع شاعر لما يشعر به كالخواطر جمع خاطر والهواجس جمع هاجس والبواطن جمع باطن ، أفيرى الناقد أن لغة العرب محرمة عليهم أم أننا غير محتاجين إلى القياس ولا حق لنا فيه لخروجنا عن صبغة البشرية أم أن العربية وضعت مرة واحدة ؟ ليقل لنا أي معجم لغوي ذكر لفظ (المعاجم) في مادة عجم

حتى قال هو في ص١٩من التذكرة بما نصت عليه معاجم اللغة . أليس قوله على القياس وما قيس على كلام العرب فهو منه كما أسلفنا ذكره ؟ .

٢٨ـ وقال الأب العلامة (الاسقاطي) قال الناقد (الصواب السقطي كما لا يخفى) فأوجب جائزا ورفض مرخصا فيه ، فالاسقاطي والسقطي والسقاط كخيار سواء وللناس الخيار ، فإن كان يرى (الاسقاطي) غلطا فقد كان واجبا عليه أن يصحح في حاشية١٠١من تذكرته قوله (قال ابن الجواليقي البغدادي ويذكر للناس أن هذا العالم الذي نقل قوله في الفرق بين العام والسنة لم يدرس باب النسبة فنسب نفسه خطأ فمن الحقيقة أن النسبة إلى الجمع المحترف بسماه مقيسة مطردة ، ذكرنا ذلك في مجلة المعرفة (٢ : ١٧٤) وعددنا من المنسوبين إلى الجمع : الأثوابي والأمشاطي والأنماطي والإصباغي والجلودي والقدوري والجواليقي والكرابيسي والمحاملي والقماطري والخواتيمي والخرائطي والطوابيقي والطرائفي والعمائمي والساعاتي والمغازلي والطنافسي والفوطي والكتبي . فهي حرف رجال مترجمين في التاريخ بهذه النسبة وقضوا حياتهم بها ، ومن هذا الباب قولهم (موسى بن عبد الله القراطيسي) وموسى بن الحسن الجلاجلي ومسدد بن يعقوب القلوسي ويعقوب بن إسحاق القلوسي وعلي بن عبد الله البزوري وعلي بن عبد الله الغضائري وعلي بن عمر الخيوطي وعلي بن محمد الحصري والقاسم بن بكر الطيالسي وعمر ين محمد المناخلي وعثمان بن صالح الخلقاني ، على أن العلماء أجازوا النسبة إلى الجمع بوجود العلمية كالنجاري والأوزاعي والمعارفي والكلابي أو الميل الغالب كالأخباري والشعوبي وبوجود غيرهما ، بل أجازوا الشواربي والشاماتي ، فاعتراض الناقد غير صحيح ، والنسبة قد تغيرت عما كانت عليه بحسب المرافق المدنية فقد قالوا (يحيى الحصكفي) نسبة إلى جصن كيفا و(الكفرطاني والنهر ملكي خالصي والخبزارزي نسبة إلى خبز الأرز والماوردي إلى ماء الورد) والحاجة تدعو إلى القياس ومن أنكر القياس لم يلتفت إليه الناس وحطم الزمان إنكاره وأفكاره .

٢٩ـ وقال الأب "بياع السماد" قال الناقد (وقد كررها ثلاث مرات والصواب : (بائع) قلنا : إن وجود الرجل خطر علي العربية فيما ترى ، وغيرته عليها مشوبة بظلم وقسوة وجفاء ، أيريد أن يفسد على العرب لغتهم ؟ ويمنع عليهم الاشتقاق منها والسير في مذاهب أصحابها . لماذا اشتقوا صيغ المبالغة ؟ لأنهم احتاجوا إليها فهم محتاجون ونحن في أنفسنا حاجات فأي أعجمي يحرم علينا أن نسلك تلك السبل الواضحة وأن نسير بلغتنا مع الزمان وتجدد الحاجات ، ومن ذا الذي يحق له أن يمنعنا من صيغ المبالغة لاسم الفاعل ؟ كنا قد قلنا في مجلة الكلية"١٨ : ٣٤٤"ما صورته"ومن وسائل ترقية العربية : قياس المبالغة من اسم الفاعل ، فالمبالغة من أخلاق البشر التي لا محيص عنها ، والباعث عليها إما الحب الشديد وإما الكره الأصم ولا نحسب أن لغة من لغات البشر منزهة عنها أو مجردة منها ، فمن المبالغات التي تعتري المفردات مبالغة اسم الفاعل وهي مقيسة فقد قال ابن عقيل في باب (إعمال اسم الفاعل) من شرح الألفية ما صورته : يصاغ للكثرة فعال ومفعال وفعول وفعيل وفعل فتعمل عمل الفعل على حد اسم الفاعل فعلى هذا لا يجوز لنا ان نغلط القائل : رأي رجيح وتلميذ كسول ولا تثبت شبهة أمام القياس .

. قد جاء في المزهر أن كل فعيل جائز فيه ثلاث لغات فعيل وفعال ، (كغلام) وفعال (كخفاش) فالطويل إذا زاد طوله قيل طوال فإذا زاد فوق ذلك كان طوالا . وجواز القياس فيه صريح ، وقال الزمخشري في الفصل (قال سيبويه : وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل) أفيرى الناقد أنهم قد حق لهم المبالغة في أمورهم وأننا لا يحق لنا ؟ فماذا عنى بقوله في التذكرة (ص٢٤) عن العربية وحسبها أنها ممتازة بالاشتقاق الذي يزيدها حسنا وجمالا ويسهل على علمائها أن يضعوا ما شاؤوا من الألفاظ للدلالة على مستحدثات العلوم والفنون إذا لم يجدوا لها كلمات موضوعة من قبل ؟ ونحن مع هذه المقدمة للفظ (البياع) نزيد الناقد اهتداءاً بأنه قد ورد وسمي به قال مجد الدين في القاموس المحيط (وعلي بن محمد البياع

المحدث مشددا وكذا علي بن الحسين البياعي فحسب المنصف اشتهارا من الاسم أنه لقب به ثم نسب إليه ، والظاهر لنا من الناقد أنه يكره قياس العربية ـ وإن مدحه ـ لأحد أمرين ، إما أنه قد حفظ جملة من الألفاظ اعتدها غلطا من الناس ولكن القياس يبيحها ، فإذا أباحها هو ذهب ما عنده وفقد كنزه ، وإما أنه يجهل القياس وعدو الإنسان ما يجهل ، ولقد ثبت لنا أنه يجهله مذ ابتدأ تذكرته بغلط وصدرها بسقط ، فإنه قال : (وقد اصطلح (كذا) المضمار منذ أول نشأته على كلمة هاوٍ وجمعها هواة من الفعل هوي يهوى أي أحب واشتهى فهي من كل وجه أصلح للاستخدام بمعنى أماتير فما ضر كتابنا لو وافقوا على هاوٍ وهواة ؟) فكيف يوافقونه هداه الله ـ وقد خالف السماع وتنكّب عن سبيل الاشتقاق ؟ أما المسموع فهو الهوي كالعمي والشجي ، قال يزيد ابن الحكم بن أبي العاص الثقفي (خزانة الأدب٢ : ٢٩٦) :

أراك إذا لم أهو أمـــــرا هـويتـــــه

ولست لما أهوي من الأمـــر بالهـــوي

وقال الزمخشري في الأساس (هويه يهواه وهو هوٍ وهي هوية) واتبع هذا القول البيت الذي ذكرناه غفلا من اسم صاحبه ، وقال مجد الدين في القاموس المحيط (وهوية كرضيه فهو هوٍ (أحبه) فهذا السماع الذي جهله الناقد فأصلح الغلط لغيره ومن هذه حاله كيف يتطاول على الكتاب بقوله في التذكرة (ص١١٠ ما نصه ويقولون أثنى عليه ثناءاً عاطرا أي طيب الرائحة والمسموع عن العرب عطر كحسن) فأين كان عن الهوى ولماذا لم يعلم نفسه قبل تعليمه الناس . ثم ألم يعلم أن هوى من باب عطر وهما مشتركان في فعل وصف وأن الذي يوجب أن تقول عطرٍ يلزم أن تقول هوٍ ؟ وقال في التذكرة (ويقولون عاشق وله . ولم يسمع عن العرب بل نقل عنهم ولهان وواله وآله على الإبدال) قلنا : فلم لم يذكر الهوى المسموع عنهم بدلا من الهاوي أي الساقط والصاعد ؟ وأما القياس فيوجب الجمهور أن يكون هويا ولكن الناقد لم يعرفه ـ كما قدمنا ـ قال المبرد في الكامل (١ : ٢٣٤) ما نصه فالهوى من هويت

مقصور وتقديره فعل فانقلبت الياء ألفا فلذلك كان مقصورا وإنما كان كذلك لأنك تقول : هوي يهوى كما تقول فرق يفرق وهو هو كما تقول هو فرق ، وكان المصدر على فعل بمنزلة الفرق والحذر والبطر لأن الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل) أ هـ . وقال ابن عقيل (وفي فعل بكسر العين غير متعد نحو أمن فهو آمن) أراد القليل وبعد هذا قال (بل قياس اسم الفاعل من فعل المكسور العين إذا كان لازما أن يكون على فعل بكسر العين نحو نضر فهو نضر وبطر فهو بطر وأشرَ فهو أشرَ) وقال قبل هذا كله (فإن كان الفعل على وزن فعل بكسر العين فأما أن يكون متعديا أو لازما فإن كان متعديا فقياسه أيضا أن يأتي اسم فاعله على فاعل نحو ركب فهو راكب وعلم فهو عالم . . . فظاهر كلام ابن عقيل أن (أمن) لازم ولكن جاء في القرآن الكريم (ومنهم من تأمنه بدينار لا يؤده إليك (وأول الآية ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك فلماذا لم يقولوا في الهوى (هاو) وظاهره التعدي ؟ قلنا إن مثل هذه الأفعال لازمة في الأصل حتما ولكثرة الاستعمال الموجبة لنزع الخافض تعدت فقد قالوا (ألم منه وألمه وأمن منه وأمنه وبطر منه وبطره وخشي منه وخشيه وفرق منه وفرقه وسئم منه) فهوي من هذا الباب ، على أننا لا نمنع أن يقال (هاو) لأحد أمرين أولهما نص جماعة من العلماء على اطراد بناء فاعل من كل ثلاثي مجرد كما نقل الفيومي في خاتمة مصباحه عن ابن الحاجب وابن مالك وثانيهما قول الزمخشري في المفصل (فإن قصدت الحدوث قلت : حاسن الآن أوغدا وكارم وطائل . . . ومنه قوله تعالى : وضائق به صدرك) فإن جاز هذا في (فعل) بضم العين جاز في (فعل) بكسرها ، وأجاز ذلك السخاوي وابن عصفور كما في خاتمة المصباح ، فاللوم على الناقد الذي غلط الناس في مثل ما غلط هو فيه على رأيه ، وهذا يسمى (التفاصح) وقانا الله شره .

تقدم في قول الناقد "اصطلح المضمار" والإصلاح مصدر اشتراك ولكن مقتضى الحال يدل على أنه أراد بالمضمار نفسه ألا تراه يقول في التذكرة "فأصلحها بإثبات ما أظنه صوابا أو ما أراه واردا على أصح الوجوه وأرجح الآراء" فاستعماله الاصطلاح في غير موضعه ، وأعجب من ذلك قوله في التذكرةص٩١"ولم يرد اصطلح في كتب اللغة إلا بمعنى

يناقض اختصم فماذا أراد بقوله اصطلح المضمار وبقوله في ص١٠٤من مصطلحات دواوين الحكومة والثالث من اصطلاحات التجار ؟ وقال كتب اللغة ولم يفتشها كلها ، فإنه لم يقرأ ما ورد في التاج عما انتقده .

٣٠- وقال الأب على البلاد العربية أجمع قال الناقد والصواب : جمعاء وقد زرنا الراهب العلامة ثانيةً فسألناه عن هذا التعبير فأعلمنا أنه قد سقط منه لفظ"كلها"حين الطبع فأصل عبارته البلاد العربية كلها أجمع فأجمع توكيد كلها ، هكذا قال .

قلت : إن في التوكيد غرائب منها قولهم جاؤوا الجماء الغفير وظاهر الجماء التأنيث فاستعمل المذكر وقال ابن فارس لأنه محمول على معناه وفي الباب قوله جل وعز : سعيد ، والسعيد مذكر ثم قال : إذا رأتهم ، فحمله على النار . ولهذا نظائر كثيرة وفي مادة كتب من المصباح قال أبو عمرو سمعت إعرابيا يمانيا يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت : أتقول : جاءته كتابي ؟ فقال : البس" بصحيفة" ولولا صدق الراهب في أن "كلها" سقطت لادعى أن الأصل (البلاد العربية جمع) ففي المختار (رأيت النسوة جمع ، غير مصروف وهو معرفة بغير الألف واللام وكذا ما يجري مجراه من التواكيد لأنه توكيد للمعرفة) .

٣١- وقال الأب (في عهد الرومي) فقال الناقد (والصواب في عهد ابن الرومي) قلنا : هل من فرق بين الرومي وابن الرومي ؟ وهل يكون ابن الرومي غير رومي ؟) ثم إنه قد قال في التذكرة(ص٣٠) : قال الفرزدق في الحسين بن علي بن أبي طالب) فهل قال له أحد :إنك قليل العلم بالأنساب والتاريخ حتى المشتهرات منه ؟ فإن الممدوح هو زين العابدين المسمى علي بن الحسين بن أبي طالب ، فما له ولمثل هذه التصديات الباردة ؟ إن هذا الشاعر قد قال :

ذكر الأخفش القديم فقلنا
إن للأخفش الحديث لفضلا
وإذا ما حكمت والروم قومي
في كلام معرب كان عدلا

فهو رومي بقوله (والروم قومي) وقد يقول قائل إن الرومي إذا أطلق على ابن الرومي التبس بغيره من الأسماء لأن الروم كثير ، قلنا : إن وجود (ابن) غير مانع للالتباس إذا حصل فقد كان في الناس ابن رومي وأبناء روم غير ابن الرومي الشاعر علي بن العباس ومنهم (عبد الواحد بن عبد الله المعروف بابن الرومي) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (١١ ـ١٧) ومع هذه الحجج المدحضة لقول الناقد ننقل نص نعت هذا الشاعر بالرومي قال أبو الفرج الأصبهاني في مقتل الطالبين ص٢٢٠ بترجمة أبي الحسين يحيى العلوي الشهيد وزيارته (فمنه قول علي بن العباس الرومي يرثيه) والرومي الكبير هو (جريح) تصغير (جرح) و(جرجيوس) لا العباس وإن كان كل منهم روميا ، قلنا هذا لئلا يوجب معترض أن يكون (الرومي) ههنا لقبا للعباس بن جريح .

٢٤ـ وقال الناقد في الراهب العلامة(لأنه لا يزال إلى الآن (كذا) يرتكب كثيرا من الغلطات اللغوية ويأتي بجمل وتراكيب مفرغة في قالب الركاكة ونابية عن منهج الفصاحة والبلاغة . .) وقد بينا لأولي الألباب أن القائل ليس ممن يحق له هذا القول ولا من المميزين لغلط اللغة ولا من الفصحاء والبلغاء وتذكرة الكاتب مباءة للتعابير الركيكة والنقد الظالم الداحض ، فإن كان كما ادعى فليقل لنا أي عربي فصيح قال كقوله في نقد الراهب (لما زار القطر المصري في الصيف الماضي ألقى خطبة) جامعا بين (لما) الظرفية والظرف (الصيف) فالفصحاء يقولون (لما زار القطر المصري خطب) أو (زار القطر المصري فخطب) وسبب ذلك أن (لما) يجب أن تكون ظرفا للجواب(ألقى) ويجب أن يكون وقوع ما بعدها في وقت جوابها ، فما محل قوله (في الصيف) ؟ فهذا مما لا يفهمه محروم السليقة العربية . ومن قال من الفصحاء (ألقى خطبة) ثم ليقل لنا أي فصيح قال كقوله (لأنه لا يزال إلى الآن) وهل من عربي يفهم من قوله (لا يزال) أنه للماضي حتى يمده إلى الحال ؟ فالفصحاء يقولون(مازال إلى الآن) وإذا أرادوا الاستقبال ممتدا من الحال قالوا لا يزال لأن (لا) النافية للفعل لا تؤثر في زمانه فيقال للماضي (لاصدق ولا صلى) وللحال مع الاستقبال (لا يذهب) قال في المختار (إذا قال : هو يفعل غدا ، قلت : لا يفعل غدا) وهذا من البديهيات في التعبير .

الفهرس

قل : هؤلاء السياح جواسيس ولا تقل : هؤلاء السواح جواسيس 30

قل : هذا رجل رُجعي ولا تقل : رَجعي 30

قل : الجنود المرتزِقة ، والجنود المرتزِقون ، وهؤلاء المرتزِقة ، وهؤلاء المرتزِقون ولا تقل : المرتزَقة ولا المرتزَقون ، بهذا المعنى . 31

قل : دحرنا جيش العدو ، فجيش العدو مدحور . ولا تقل : اندحر جيش العدو فهو مندحر . 32

قل : هذا الحزب محلول ، وهذه الجمعية محلول إذا كانا قد نسخ قيامهما بأمر آمر ، وقهر قاهر ، من غير أعضائهما . ولا تقل : هذا الحزب منحل ، وهذه الجمعية منحلة إذا كان قد بطل قيامهما وزال قوامهما ، من تلقاء أنفسهما . 34

قل : تأكدتُ الشيء تأكداً ولا تقل : تأكدت من الشيء 35

قل : ملأ الوظيفة الشاغرة ، وينبغي ملء الشواغر . ولا تقل : إملاء الشواغر . 36

قل : تخرج فلان في الكلية الفلانية ولا تقل : تخرج من الكلية الفلانية . 36

قل : الطبيب الخافر وطبيب الخَفْر ، والجندي الخافر وجندي الخفر . ولا تقل : الطبيب الخَفَر ولا الجندي الخَفَر . 37

قل : نُقول الموظفين ونقلاتهم ولا تقل : تنقلاتهم . 38

قل : القَطاع ولا تقل : القِطاع ولا القُطاع . 38

قل : تعرَّفت الشيء والأمور ، وتعرَّفت إلى فلان واعترفت إليه ، واستعرفت إليه ، وقالت العامة . تعرفت بفلان . ولا تقل : تعرفت إلى الشيء والأمور ولا تعرفت عليها . 39

قل : هذا يرمي إلى الإصلاح ويستهدفه . ولا تقل : يهدف إلى الإصلاح . 41

قل : الشيء الذي ذكرته آنفا أو سالفاً أو المذكور آنفاً . ولا تقل : الشيء الآنف الذكر . 42

قل : فلان يبهرج البضاعة ويزاول البهرجة وهو مبهرج بضاعة . ولا تقل : فلان يزاول القجغ والتهريب . 43

قل عرَّض فلان للتعذيب والعقوبة والأذى وجُعل عرضةً لها ولا تقل : تعرَّض لها . 44

قل : هؤلاء الطَغام والطَغامة ولا تقل : الطغمة . 47

قل : دعسته السيارة دعسا وداسته دوسا . ولا تقل : دهسته السيارة دهساً . 49

قل : إنسان شيِّق أو شيِّق القلب وكتاب شائق الموضوع ، وموضوع شائق . ولا تقل : كتاب شيق الموضوع ولا موضوع شيق . 50

قل : ضدُّ وضداً وضدٍّ ولا تقل : "ضدَّ" دائما . قل فلان يكافح الاستعمار ويحاربه ولا تقل : يكافح ضدَّ الاستعمار ويحارب ضده . 52

قل : يرأس اللجنة والقوم ولا تقل : يرئسها ولا يرئسهم . 53

قل : أمَلَ فلان النجاح يأمله ولا تقل : أمِلَ النجاح يأمله . 54

قل : استُشهد فلان في الحرب ولا تقل : استَشهد فلان في الحرب . 55

قل : خرج فلان عن القانون أو حاد عنه أو عدل عنه أو نكب عنه نكوباً أو نكّب تنكيبا أو تنكّبه تنكّباً . ولا تقل : خرج على القانون . 55

قل : كان الحاكم جبّاراً ذا حكم جبّاري . ولا تقل : كان دكتاتورياً وكان حكمه دكتاتورياً . 56

قل : ثُكنة الجند والجيش . ولا تقل : ثَكنة الجند والجيش . 57

قل : جَدَب المعاهدة والقول والرأي واستقبحها وذمَّها . ولا تقل : شجبها . 58

قل : القانون الدُولي ولا تقل : القانون الدَولي . 60

قل : السكك الحديد ولا تقل : السكك الحديدية . 61

قل : استُهتر فلان بالدنيا واستُهتر بالخمر . ولا تقل : استَهتر 62
فلان ، ولا فلان مستهتر .

قل : الغاية تسوغ الواسطة تسويغا وتبرِّرها إبرارا . ولا تقل : 63
تبريرا .

قل : أنا آسف وأومن بالله ولا تقل : أأسف عليه وأؤمن به . 64

قل : الهُويّة ولا تقل : الهَوية . 65

قل : أزْمة ولا تقل : أزَمة ولا أزمّة . 65

قل : مصير الأمة ومصاير الأمم ، ومكايد السياسة ومكينة ومكاين . 66
ولا تقل : مصائر الأمم ومكائد السياسة ولا مكائن ولا مصائد .

قل : توغّل ووغَل في البلاد وتخلل البلاد . ولا تقل : تسلل فيها 67
وإليها .

قل : الباب مفتوح وهو باب واحد . ولا تقل : الباب مفتوحة ، 67
والباب واحدة .

قل : أجاب عن السؤال إجابة وهو جواب عن الكتاب . ولا تقل : 68
أجاب على السؤال إجابة وهذا جواب على الكتاب .

قل : غصّ المكان بالزوار يغصّ بهم غصصا . ولا تقل : غُصَّ المكان 69
يغصّ بهم .

قل : هادنه على وَفْق شروط ولا تقل : هادنه وفق شروط . 70

قل : كابد العدو خسارة كذا وكذا ولا تقل : تكبد العدو الخسارة . 72

قل : أثّر فيه والتأثير فيه ولا تقل : أثر عليه والتأثير فيه . 74

قل : المترفون والأتراف ، ولا تقل : الارستقراطيون والارستقراطية 78

قل : جواز السفر وأجوزِة السفر وجوازاته ولا تقل : باسبورت . 93

قل : هو جَهْوَري الصوت وجَهير الصوت ولا تقل : جَهُوري الصوت . 94

قل : خِطبْة الزواج ولا تقل : خُطبة الزواج . 94

قل : يودّ فلان أن يفنى في خدمة الوطن ، ويودُ الفَناء في خدمة الوطن . ولا تقل : يريد أن يتفانى في خدمة الوطن ، ولا يريد التفاني في خدمة الوطن . 94

قل : جندي ماشٍ وجنود مُشاة . ولا تقل : مَشاة ولا مَشّاة . 95

قل : في الأقل وفي الأعم وفي الأغلب وفي الغالب . ولا تقل : على الأقل وعلى الأعم على الغالب . 95

قل : مازال الخلاف قائما ولم يزل قائما . وما زلتُ أقرأ . 96

قل : هو عائل على غيره وهم عالة على غيرهم . ولا تقل : هو عالة على غيره . 97

قل : دعا لكم بالرِّفاء والبنين ولا تقل : بالرَفاه والبنين . 97

قل : حقوق الطبع محفوظة على المؤلف وعلى الناشر . ولا تقل : حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ولا للناشر . 98

قل : تساهل عليه وتجاهل عليه ولا تقل : تساهل معه ولا تجاهل معه . 100

قل : هذا هوي طوابع . وهؤلاء هوو طوابع ، وهو الهوي ، وهم الهوون ، ولم يكونوا هوين من قبل . ولا تقل : هذا هاوي طوابع ولا هؤلاء هواة طوابع ، ولا هم الهواة . 100

قل : ينبغي لك أن تعمل ، ولا تقل ينبغي عليك أن تعمل . 102

قل : هذا تلميذ مستتم ، وهذه تلميذة مستتمة وهذا تلميذ إكمالي ، وهذه تلميذة إكمالية . ولا تقل : هو مكمل ولا إكمال ولا مستكمل . 103

قل : عُمران البلاد ولا تقل : عِمران البلاد . 105

قل : الخُطَّة الاقتصادية ولا تقل : الخِطة الاقتصادية . 105

قل : نقد على فلان قوله وانتقد عليه قوله : ولا تقل : نقد فلاناً وانتقده . 106

قل : وردت علينا برقية مفادها كيت وكيت . ولا تقل : مَفادها . 106

قل : اعتذرُ من التقصير أو الذنب . ولا تقل : اعتذر عن التقصير أو الذنب . 107

قل : الدين الإسلامي السَّمح ، والديانة الإسلامية السَّمحة ، والرجل السَّمح ، والمرأة السَّمحة . ولا تقل : الديانة السمحاء . 109

قل : رأيته البارحة ، لليلة التي قبل نهارك والبارحة الأولى للتي قبلها . ولا تقل : رأيته الليلة الماضية ولا ليلة أمس . 111

قل : بالإضافة إلى الشيء أي بالنسبة إليه والقياس عليه . ولا تقل : بالإضافة إليه بمعنى زيادة عليه ومضافا إليه . 112

قل : فلان ذو كفاية في العمل . ولا تقل : فلان ذو كفاءة في العمل . 113

قل : وقفت تجاه فلان وبإزائه وقبالته . ولا تقل : وقفت أمامه . 114

قل : حاز فلان الشيء ولا تقل : حاز عليه . 115

قل : كشف عن الأمر الخفي خفاءه . ولا تقل : كشفتُ الأمر الخفي . 116

قل : رد فلان القولَ . ولا تقل : رد على القول 117

قل : صادره على المال ، أو استصفى أمواله ، أو استنظف أمواله ، أو استولى عليها أو استحوذ عليها وصادره على السلاح . ولا تقل : صادر أمواله وسلاحه . 118

قل : رأيته ذا مساء وذا صباح . ولا تقل : رأيته ذات مساء وذات صباح . 120

قل : أمحمد في الدار أم مستأجرها ؟ . وقل : أمقيم أنت أم مسافر ؟ وقل : أأردت هذا أم لم ترده ؟ . ولا تقل : هل محمد في الدار أم مستأجرها ؟ ، ولا تقل : هل مقيم أنت أم مسافر ولا تقل : هل أردت هذا أم لم ترده ؟ . 120

قل : ذهبا معاً ، وجاءا معاً . ولا تقل : ذهبا سوية ولا جاءا سوية . 121

قل : ذهبوا معا ، وجاؤوا معا . ولا تقل : ذهبوا سوية ولا جاؤوا سوية . 122

قل : هؤلاء الضباط البسلاء والباسلون . ولا تقل : هؤلاء الضباط البواسل . 123

قل : فلان من شذاذ الرجال . ولا تقل : فلان من شواذ الرجال . 124

قل : نقطة ونِقاط ونُقط ونطفة ونِطاف ونُطف . ولا تقل : نُقاط ونُطاف . 124

قل : لا أفعل ذلك ، ولن أفعله . ولا تقل : سوف لا أفعله ، ولا سوف لن أفعله . 124

قل : بالأَصالة عن نفسي ، والوكالة كالأصالة . ولا تقل : الإِصالة . 125

قل : كان عمله مَرْضيا ، وكانت طريقته مَرْضية . ولا تقل : كان عمله مُرضيا ، وكانت طريقته مُرضية . 127

قل : كُسرت سن من أسنانه . وإحدى أسنانه مكسورة وسنّه كبيرة أي متقدم في العمر . ولا تقل : أحد أسنانه مكسور ولا سنه كبير . 128

قل : فعل ذلك على الرغم من أنف فلان . ولا تقل : فعل رغم أنف فلان . 129

130 قل : أحاطوا الكتمان بالمحادثات وينبغي إحاطتهم الكتمان بالمحادثات ، ولا تقل : أحاطوا المحادثات بالكتمان ، وينبغي إحاطتهم المحادثات به .

131 قل : وزّع بينهم الجوائز ووزّعها فيهم . ولا تقل : وزع عليهم الجوائز . إذا أعطاهم إياها مفرقةً .

132 قل : وفّقه الله للخير والإنجاح . ولا تقل : وفّقه الله إلى الخير والإنجاح .

133 قل : الهندسة العِمارية والمهندس المِعمار . ولا تقل : الهندسة المعمارية ولا المهندس المعماري .

134 قل : هو رجل أبله ، وهي امرأة بلهاء . وهم رجال بله وهن نساء بله . ولا تقل : هم رجال بلهاء .

136 قل : قاسَوا عذابا أليما ، وتمادَوا في سكوتهم . وسمَوا أنفسهم شجعاناً . ولا تقل : قاسُوا عذابا ، ولا تمادُوا في سكوتهم ، ولا سمُّوا أنفسهم شجعانا .

137 قل : فعلت خصّيصي وخاصة وخصوصا . ولا تقل : فعلتُ هذا خصيصا .

138 قل : توفر عليه . ولا تقل : توفر له .

139 قل : الارواء والتروية لسقي الزرع والغرس . ولا تقل : الرَي والري ولا الرّوى .

141 قل : كان ثوبه أدكن وكانت جبته داكنة . ولا تقل : كان ثوبه داكنا ولا كانت جبته داكنة .

141 قل : رأيت أضواءاً وسمعت أنباءاً . وطفت أنحاءاً وعرضت آراءاً أو عددت أسماءاً . ولا تقل : رأيت أضواءً وسمعت أنباءً وطفت أنحاءً وعددتُ أسماءً .

142 قل : استصحب فلان زوجته في السفر أي زوجه . ولا تقل : اصطحب فلان زوجته في السفر .